

حول اللفظ والردود و «أهل الجنة وأهل النار»:

النص المزور

ماذا يقترف المثقفون حين يتناقشون؟

يوسف بزي

الإطلاق. ورغم كل الجهود الجبارة التي بذلها علماء الحديث الشريف عبر مئات السنين فإن مسألة تدوين «الحديث» لا تزال في الكثير من الحالات موضع شك وريبة.

أما القصص المتناقلة استظهاراً وحفظاً، من دون تدوين أصلي، فغالباً ما تكشف فيها التلاعب والإضافات والحذف والتحويل والتحويل والتأويل والتفسيرات، وقد أصبحت جميعها جزءاً جوهرياً من لعبة النص وبنیان الرواية.

والثقافة على تنوع مقاييسها إنما هي صقل للكلام والأفكار تهيئاً لصوغها مادة مكتوبة. أي أن الثقافة غالباً ما هي صناعة ومهنة التدوين والتحرير المؤقت، المشغول بأنثة وصبر، استدراكاً منها لمسؤوليتها وديمومتها كإداة لتلمس للتاريخ والتداول كما هي، بكل أصليتها، مؤرشفة ومكتملة ولا مجال للتبديل في طبيعتها، فالكتابة - أي التدوين - إنما هي شهادة مغلقة تؤخذ بكيئتها الصلبة وبداغة حقيقتها. وباختفاء المادة المدونة ربما لا نستطيع اكتشاف حضارة ما، ورغم أن تواتر الحكايات والقصص قد يعطي إعجازات وإشارات كثيرة إلى حدث وحادث وتعبير وإرث وتاريخ، إلا أن ما هو مدون وحده يقدم الدليل أو يعدمه.

لا يسعنا إنكار أن ما هو شفوي، له ثقافته وأنساقه، وأدابه ولباقاته وقواعده، وغالباً ما يكون التدوين أو فعل الكتابة له أصله الشفوي، الذي عليه ارتقاء مراتب متعددة والردود بمراحل كثيرة من التحول ليصبح لغة مكتوبة له قوام التدوين وبنیان الإنشاء. ولا يلزمنا جهد كبير لنستنج أن ثمة ثقافتين (شفاهية - كتابية) منفصلتان وإن كانت هناك قنوات غير محصورة تربطهما وتديم اتصاليهما وتبادل تأثيرهما ببعضهما البعض. فنحن في اللغة العامية إنما نستعمل ثقافة عامة تسع معانيها وتفسق وترجح وتنحرف وفق مراتب اجتماعية وبيئية (الضواحي، القرى، المدن أو الأمي والمتعلم والجامعي أو



■ يجمع المشتغلون بالكتابة والثقافة

عامة على ممارسة اتفاق غير معلى، لكنه شديد الوضوح، يضع حدوداً ما بين كلامهم الشفوي وكتاباتهم. والحدود إنما علامة تمييز وتباين وفصل لا لبس فيه.

والفصل بين التداول الكلامي الشفوي

من جهة وبين الكتابة من جهة أخرى، له تيريرات عديدة، كل منها كافٍ إذا أخذنا بعين الاعتبار أن كل «شرفة» أو كلام يصدر مباشرة، دون وقت طويل من التفكير، لهو أخف مسؤولية من الجملة المكتوبة. والأهم هو أقصر عمراً وكذلك محدود الانتشار. ومن هذه الناحية نستطيع، دون تمحيص، أن نؤيد أو نعارض أو نحكم بعبارة غير دقيقة، سرعان ما تتلاشى أو تضحل في السيان ولا تقبل الأرضة والحفظ والبقاء، فهي على كل حال أصوات تبدد في الهواء. ولعلنا بعدم قابلية الكلام المنطوق للاستظهار والتوثيق الدقيق وتواطؤ المستمعين على أخذ الكلام بخفة نسبية لا تقارن بجدية التصريح المكتوب ومسؤوليته. وعلى هذا الاعتبار فإننا نتساهل مع أنفسنا طلوفاً ونزولاً في جلسات الليل وبجائس المقهى، بل ثمة إجماع أن «لا جارك على الكلام». وغالباً ما تكون الشهادة القائمة على السماع ضعيفة جداً وقد لا يؤخذ بها على

الغني والفقير. إلخ) في حين أن الكتابة وإن كانت تستجيب لهذه التأثيرات إلا أنها تتغلب بطرق أخرى وتعبر عنها بمظاهر متجابهة، فاللغة القصصية كائن تاريخي ثابت المعاني والدلالات بنسبة عالية. والحديث الشفوي حين يترجم فهو يترجم مباشرة وبالصوت ولا تملك القدرة على استرداده وضبطه وإبطائه مثلاً. فعمل في الكتابة، التي تتعرض قبل إعلانها لعمليات تشذيب وحذف وتصحيح قدر ما نشاء. وعلى هذا الأساس تختلف المسؤولية هنا وهناك اختلافاً شديداً.

ولا غشابة أن نشر ثانية إلى أن عموم المثقفين عادة ما يحملون الآراء الشفوية مسؤولية أقل من الرأي المكتوب. وعلى الأغلب فإن الخلط بين الأمرين يؤدي إلى جملة مواقف واستنتاجات اعتباطية، أما إذا أصبحت الثقافة المكتوبة رديفاً دائماً فواصل للثقافة الشفوية فعند هذا الحد قد نجد صعوبة في تمييز الثقافة وتنسيقها وترتيبها والأخذ بها فهي عند ذلك تصير ملائمة بدائية ومشاعة وعمومية إلى أقصى حد ومن سمها الخفة والثلاثي والميوعة.

تلك مقدمة ضرورية، في رأينا، إذا أردنا تفسير ما حدث عندما كتب حكم البابا على صفحات هذه المجلة^١ وعندما وردت ردود عليه في عدة صحف وفي البريد المرسل إلى «الناسد» (وبعضها شائتم). إذ قيام حكم البابا بكتابة مقالة لا أساس لها إلا الكلام الشفوي والتنمية، وتقوم جملة مطارحاته على آراء اعتباطية شفوية ومفهومة (من مفهية). وإذا جرت المقالة المكتوبة على سادة كلامية لا سبل لإثبات صحتها، تكون النتيجة أنه تم الخلط قصداً بين نسقين وثقافتين ولغتين في نية واضحة للوصول إلى حصيلة مضادة أن الثقافة والمثقفين إنما يؤخذون من حوادث عارضة وخواطر عابرة، لا من نصوصهم ونتاجهم وكتاباتهم ومقالاتهم. ويعني آخر رمى إلى البابا إلى مساواة النص بصاحبه ومطابقة السلوك على الإبداع واستواء الكاتب مع كتابته في منزلة واحدة، وقد يفضي ذلك إلى اختصار الثقافة على تنوعات ونوافل الحياة الاجتماعية. وهو إذ يهتم حزبياً بيمينه، فذلك يبدو لنا ذريعة ليجد مرجعية ثقافية لتأطير ما هو غير قابل للتأطير أصلاً، أي التنمية والاختلافات الاجتماعية، فما يراه مستنداً إلى خلفية حزبية وسياسية معينة، هو في حقيقة الأمر قد ينطلق على مطلق حزب وجماعة سياسية شرقاً وغرباً. عدا عن كون ربط العلة والمعلول هنا غير واضح وغير قابل للذقة والبرهان. فلا يسعنا أن نقول إن الآراء الاعتباطية والتعميمية والضعفية إنما هي سمة شيوعية خالصة لا توجد في جماعات أخرى، وكل قول على هذا النوال إنما ينتج عن ثقافة تبسيطية لا تتقبل الاجتهاد والتمحيص، بل لا تتقبل ما هو من طبيعة البشر ونسبي

الإنسان. ويتم هذا الموقف عن جنوح إلى مثالية وطوباوية تسمى جاعلة لإنكار الظواهر الوضعية وإرجاعها إلى علة مؤقتة تنحصر بجماعة أو بتيار سياسي ما.

وعلى الأرجح فلنأثر في فعلة حكم البابا تشابهاً قوياً مع النمط البوليسي في التفكير الذي يجس دوماً بتفسير الظواهر وفق منهجه الذي يرى العالم مؤامرات متتالية لا قرار لها ولا نهاية، في معركة أبدية بين الفضيلة والشر، بين ثقافة نقيّة وثقافة الواقع. مع ما يتطلب ذلك من جعل المثقف وقفاً على صورة خرافية تستكر أهواءه وبداية بشرته. ويسعى البابا في مقالته إلى جعل الحزب مسؤولاً عن كل هفوة وكل سلوك غير سوي لأشخاص على علاقة بالحزب.

وإذا لا يستطيع أن يعين برهانا على قرارات حزبية بالتصرف على هذا النوال أو ذاك السلوك. ولا يستطيع أن يقيم صلة لا تقبل الشك بين تصرف ما وأخلاق الحزب ومبادئه. فلنأثر لا نستطيع الموافقة أصلاً على إرجاع سلوك بعض المثقفين ومشافهاتهم إلى أصل أيديولوجي، بل لا يمكن الركون إلى هذه «النمجة» كحجج لا تقبل الجدل والتفديد. فما أوردته البابا قد نشعر صحتة بنسبة أو بأخرى وأيضاً نشعر عملية تضخيم وتكبير تعني فوق مزاجية كاتب المقالة ومقاصده.

وأصل إلى الاعتقاد أن ما ينسب إليه البابا إلى تمهيمه هو بدرجة أو بأخرى يشبهه على نفسه من خلال مقالاته نفسها، إثباتاً كونه قائماً على شبهة كلام وقيمة فحسب. ونخلص إلى القول أن ما اقترفه حكم البابا يوحى لنا بصلّة نسب وقرى مع ما نسميه «بالترقير»، «والترقير» يستلزم مهارة معينة وثقافة معينة، وعقلية معينة. وهي عقلية تنصت على جهوزية عالية لتدريج الشبهة والأتهام والتكفير والتخوين، وعقلية تتناسل ولا تتوصل من مناح بوليسي خطاياها ونصها وفجورها وأعدائها الضمعية التي تتر عنفها بغنايتها «المثالية» وحلمها به القارة.

إنما الأقبح من ذلك مجموع السردود^٢ التي نشرت في الصحف، فهي في دفاعها عن «المثمين» لا تغض اتهامات الكاتب، بل هي بدورها تنفي أي صفة شرية عنهم وترفعهم إلى مصاف القديسين وتبزي، الحزب على طريقة أنه صورة الكيال والزنازة سياسة وثقافة وموقفاً. وهذا جنوح وإن كان على الضد من فحوى مقالة البابا، فلنأثر هو مرآته ومن طيته نفسها ومن ثقافته عنها، خاصة وأنها لا تتعامل مع المقالة وترد عليها إلا عبر تضخيمات أخرى تبحث في غضايا تنويعت نشرها ومكانها ورمالها السيرة، وكأنها ليس من حوادث عارضة ولا صدف، في عالم تربية المؤامرات والنوايا الخفية، ما يجعل الردود بدورها تشبه المقالة في عقليتها، فتقدم على وضع جملة

الشفوي
صوت لا
نملك القدرة
على
استرداد

سوف ينشر في العدد القادم ٧ تموز/يوليو ١٩٩٤ من «الناسد» ملف خاص بتردد على مسافة حكم البابا



«النافذة» في موضوع العمالة والتشاور والتشويه والنيل من الأمة وشرفها الثقافي تحقيقاً لأحزاب خفية! وتتضمن الردود بنسبة «تقرير» بوليسي لا تتورع عن جعل المجلة (لا الكاتب) رأس حربة لطعن الثقافة الوطنية والعربية، وإذ تحتل الرد على الكاتب وترفع معركتها وتشهرها على المكان الذي نشرت فيه المقالة، فذلك لا اعتباراً أن اكتساح حلقة «المؤامرة» والبرهان عليها إنما يتم عبر الغيبات البوليسية لا فنياً هو حقيقي وملمس. والردود نفسها تسعى لجعل الثقافة والنقاش والكتابة والمشاركة مفارقة بمواقفها لعيوب العالم والبشر، وكل شائبة إنما هي غير خفيفة بالأعتراف بها كطبيعة تتساوى مع طبيعة السوي. وتلك ثقافة ومثالية لها عنفها وأيديولوجيتها وقمعها وتستوي على خطاب ينكر العالم ويسعى حشياً لصورة توتاليتارية لا شك في اكتساحها وأصوليتها.

إني أجد أصداء لثقافة وكتابة كانتا إلى أمد قصير تنظران إلى طرق العيش في المدينة وكأنها صفات عهر وانعدام أخلاق فحسب، وتتناولون اجتماعيتها وقواعدها بنميمة القري، وهي عمود كل اتصال وكل خبر في تلك الحيلة الريفية. حيث الشفوية عباد الثقافة ونتائجها. إنها ثقافة لا تتقبل السياسة والاجتماع إلا بعد تحويلها إلى غضايا تتسلسلها المقاهي من اللسان إلى الأذن ولا تتقبل التصور والكتابة إلا بعد أن تجد لها أصولاً في السلوك والحقائق. فلا يتم فارقة بين الحقائق والروايات، بين الشاعر واليهود، بين البطل والفتنة. فيختلط الأمر عليها اختلاطاً مبهماً لا يفضي إلى بيان وأصول تدوين. والثقافة بهذا المعنى تنكر صفاتها هذه، وتحاول عدم الإقرار بها، ولا تتوقف عن تحيل ذاتها كشأن أصلي لا تشوبه شوائب المدينة وأمزجة ناسها المتبدلة، وفي اعتقادي أن في أصل الترفع عن الديمقراطية والتفوق منها ذلك التحيل عن الذات الكاملة والشفافة الساجزة، وإذا ما نظرت تلك الذات إلى سلوكيات عادية، اعتبرتها حياة ووضاعة وأمرأ يستحق القمع، كما يجوز التعامل معه باعتباره خارج الثقافة، وهنا تبدى لنا فضاء حاد بين تصور الثقافة المروج له والثقافة نفسها.

إن ثقافة مكتوبة لا تقيم حداً وتقيماً لها عما هو شفوي وظني، لا تستطيع تصيب كتابتها في مكان أعمل مما هو عارض ومندثر، ولا تستطيع كذلك إقامة تراتبية لغاتونية البراهين والحقائق، ولا تستطيع أن تتجاوز الكلام ليشوي الحوار.

نستنتج من كل هذا، أن بادرة البابا، النادرة الحدوث، وما تلاها من ردود، كان لها إيجابيات عدة، وأهمها على الإطلاق، سمة العانية والشفافية، فسلكت عنه والمستور، قد يكون أحياناً نقياً للمعلن عنه، وأي حل للتناقض والفتن والفساد لا يكون إلا بتلك العانية، حيث تضطر معها في سلوك

ديمقراطي نوعاً ما إلى عدم القبول بأي تناقض بين كواليس الثقافة ومسرحها، فربما تكشف يوماً أن هذه الكواليس هي نواة ثقافتنا وقلوبها النابض وعقلها الخفي. والخوف كل الخوف أن تفوح رائحة الفضائحية من تلك الكواليس، فتلغى على الرائحة العطرة البثوة على المسرح/ الواجهة للثقافة أشخاصاً ونصوصاً. وعلى هذا الأساس، في رأيي، فإن الغرض من نشر المقالة قد تم بل ووجد ميراث نشره، الذي استدرج وردواً، كشفت بدورها ومن غير أن قصد ذلك، أن العلنية مسألة لن تتسبب الثقافة العربية ممارستها في المستقبل القريب. فرغم كل عيوب العلنية، هذه العيوب المتجسدة في مقالة البابا تجسداً متطرفاً، تبقى أقل ضرراً من السلوك البوليسي، السلي في أحسن أحواله لا يميز للثقافة، بمعناها الواسع، أن تتوضع في حياتنا وعشنا.

إن فقدان رباطة الجأش لدى صاحب المقالة - الذي أثبت مقدرته على تدبج «النميمة» - ولدى الذين تولوا مهمة الرد وكيل الاتهامات أفصح عن ميل قوي في الخطاب الثقافي إلى التثبيخ بالخطبة العسكرية التي تهجس «بالمواعرة» في كل نطق وكل عبارة. فمن إثر الحيلة والجلد والتمترس في وجه العدو والأخر والغريب أقيمت السواثر والسدود ونصبت الأسلحة ونُحِتَ الخناجر وراه الظهور، إنما مع إسهامات ناشئة يحمل الوجوه. وفي حسي فإن هذا مدعاة للتأمل في أحوال ثقافتنا لا تجد إعلان صورته إلا عبر نص مزور، عدائي، يفتني ويقنع وجوهه الكالحة.

وعلى اختلاف المقام والمقال، لا يسعني سوى تذكّر الرعب والذهول والاندهاش التي صاحبت صدور كتاب رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان، والذي كسر من صورة القدسية والمقالة فوق الإنسانية التي رسمتها الأحزاب وجوع المثقفين والناس للشهيد الأدبي كنفاني، كما أتذكر المصير البائس لمي زيادة والأمثلة لا تحصر، لأدل مرة جديدة على ذلك الميل القاتل الذي يعامل الثقافة معاملة للنص الديني المقدس، ويرى إلى المثقفين رؤيته إلى الأنبياء والقدسين.

وبعض النظر عن اقتراءات البابا يبقى المعنى من هذا اللفظ الذي أقمته مقالة «أهل الجنة وأهل النار» إنما يعيدنا إلى التساؤل عن جماعات المثقفين التي يفترض أن تكون طليعة ديموقراطية تنتع بتقاليد حوار مرعبة الإجراء ولا تتساوى عندها القضيحة والحقيقة. ولا تتسارى المشافهة بالكتابة. ولا تتسارى الحيانية بكلام المقاهي، والأهم من ذلك كله أنه يفترض في الطليعة أن لا تتوسل «التقرير» بياناً للثقافة ولا تطابق الشخص عن كتابته، ولا تتبع نقد السلوك منهجاً لقراءة الإبداع. □

- (١) «أهل الجنة وأهل النار» - حكم البابا - «النافذة العدد ٦٨ شباط/فبراير ١٩٩٤»
- (٢) راجع جريدة «نشرين» - دمشق ١٩٩١/٣/١٠ و١٩٩١/٤/١٠ ومجسّال الشريعة - دمشق ٢٤/٢/ ١٩٩٤ حول سبيل القاتل لا المحصر.

الضيف الثقيل

المفردات الجاهزة تقصف حياتنا

نعيم علوية

كاتب من لبنان

الكلام في المدينة ضروري للتنفس أكثر منه في الريف. لتتكلم، لتعزّده أهل بيتنا أن يترشّروا. كان الكلام وليد أعمال الحياة، وليد الحركة الحية. وكان يميدها إلى الجسد اختلاجات متحمّزة كلما حُست الأجساد عن الحركة. وكان الكلام القسي الصامت وكبلاً للكلام الطليق في تحريك الجسم كلها وربطت الألسن. وما هو الجسم مشدود بأخزمة المقاعد في السيارات والمكاتب، ولها هي الألسنة مقمصة بشاشات التلفزيونات وأصوات الإذاعات والتابري الواعظة. وما هم أولادنا يزدادون صمتاً، والهواء الفاسد يُقعد الشباب. والكلام الصامت شمعة من حصان.

إني الأصغر (٧ سنوات) ساكت. تكلم يا بابا، شرشر، الصمت للعجائز. جاء أخوه فأخذها بالزح، وصار يردد: دددا. فقلت له: غير، عندنا الحروف كلها، عندك حروف بعدد أيام الشهر. فأخذ الصغير حرف الميم وورده. قلت: هاتوا نسم أشياء الطبخ. فأصر بعينيه إلى الأشياء وصار يسميها: مجمل، كاسه، صحن، ملاعق، لبن، حنفة، بطاطا.

لاحظت أن الولدين لم يسرعاً في لفظ أسماء الأغراض بالقدر الذي تنوعته عن يميني أشياء معروضة أمامه وهو يعرف أسماءها. لم أفهم سبب هذا البطء. فتوليت النظر إلى الأشياء وتسميتها. قلت: عفشة كرمي طاوله، وأدركت أنه عندما قلت (طاوله) كانت عيني على السجادة، وكنت أريد أن ألقظ كلمة (سجادة). فكيف قلت (طاوله) إذا؟

ارتد الانشياء إلى ما جرى في الذهن. كلمة (كرمي) ولدت



■ دخت في السهرة الفائقة شاي

سجابر، فلم يضايقي قدر سيجارة واحدة أذعتها وأنا وحدي. فإني تفسير ترى لهذا الفرق؟ كانت السهرة جولة في موضوعات كبيرة. ولأمن الكلام أعماق المخاض الحساسة، وانكشف لنا أن

الواحد منا جاري في واد والعصر يقضي أن يحري في واد آخر. كان لوركا ويقت كل أساني يرى نفسه أساني لا غيره. كثر الكلام وتشعب وتدقق، وكانت الرثان تفرغان وتعيان هواء جديداً ليكون مدداً لكلام جديد. فالكلام الذي يخوض سباقاً بين سفن الأراء لا يُقيي روايب من زفير كسول يسطى في الخلايا.



مدد صموئيل النقة
الجاهزة
يفقدون
حريتهم

ويقصدون أن يعبروا عنه بما يجول به لما يطعمه. إن التكليم الذين يقعون أسرى الأسر اللغوية الجاهزة يفقدون حريتهم، ويقولون ما جالس به التيار الذي جرفهم، فيعمدون كمثل الغيم الذي فاض عن بحر وعادت أسطوره سيرلاً وسواقي لتصب في ذلك البحر. كأن الجائعة تكرر إنتاج ذاتها بغض النظر عن الظروف.

وهذا الموضوع نفسه انعطف من مجرى إلى مجرى. انعطف من مجرى الأولى به أن سلاخ التداوي جسدياً ونفسياً بالكلام، إلى مجرى البحث عن العواطف التي تنأى بالقول عن واقع الحالة التي يعاينها القائل. كان الكلام في الأول علاجاً، فالتقلب مريضاً، فابشرنا تشخيص واحد من أدائه.

اللغوي الجاهز مضت الأحوال التي قبل فيها. ونراه بسطو على الحالة الحية التي تعانيتها ليحتل لساناً. لا يريد أن يقضي مع اقتضاه ما اقتضاه. فهو كالأرقي التي تمسك بحلول لمشاكل فانت، وتريد للمشاكلة الراحة أن تعالج بتلك الحلول النصوص، ما لم تقف الإرادة بالمصاد للقول الثابت فإنه يُعزَّر على الحالة الحية التي ليست منه، ويقولها مجدداً شبيهة بيهاء طمعتها. حتى إن الكلام الجاري في أمر لا يتقطع مع الحالة الطارئة، بل يتكلم مدلولها بغيرها المختلف. يحدث مثل هذا حين نغاني ما نغاني من فراق صبيب، فيهمج على السنتنا، مما يكن من محفوظات، أقوال سلف أن قالها ناس عناون من فراق أجسامهم معانيات غير معانياتنا. كم من غصة صرقت بهاجمداً لله! وكم من حب توفد به الحب كلو نعيم! وكم من فراق قطع به ديا ولوز أول! وكم من صبر مرزوي به والصبر مفتاح الفرج! إن الأصل عون، لكنه يتغذى بلحمنا الطري.

تولد عندنا الحالة النفسية توافقة إلى غزو النفوس، كأنها تقصد أن تسويم بنا، أن يمالئنا في النفسي ليهالولنا في الواقع، ليكبر بهم جسمنا ويقوى فنحلل المكانات التي نريد. الحالة النفسية، بتوقها إلى تسوية النفوس بنفس صاحبها، مثل الحيوان الموي والبوضة، فهذهان أيضاً يعطشان، إلى حد، الآي على الماضي ما لم يحدث للأجنة، بل للمواليد، لفتح نفسي غني ومتنوع. وهذا ما يطرح على المهتم السؤال: أي مواصفات لا بد منها للمربين؟ أي غذاء لا بد منه للأطفال؟

تولد الحالة النفسية توافقة إلى اليقاء. وإذا لم تستر أم بقائها دامتها الحالات النفسية المتدفقة. لذلك تجدنا تتعلم بأسرع ما يواتيها من كلام أو فنون تعبرها إلى الآخرين ليكون لها مقام في تقويمهم. وغالباً ما يتقدم لها بالخطبة النص المحفوظ فيصحبها مثل الفتنة التي خافت أن تظن بلا عريس، فقبلت خطبة شيخ رث.

وعلة الحالة النفسية هذه علة عميقة، يبدو أنها مركزة في السليقة، إن لم نقل في الطبع. فإذا ركزت تفرك في ما يحدث

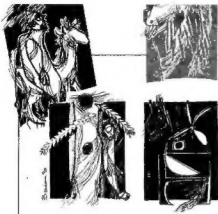
كلمة (طاولة) قبل أن تتمكن صورة السجادة من توليد كلمة (سجادة). وبدا لي أن الكلام متصل ببعضه اتصالاً قد يكون أقوى من اتصاله بمدلولاته. فقد رأيت كتلة عصبية غنصنة تقوم بتوليد كلمة بأثر من ولادة أخت لها سبقتها. ورأيت تلكذا وبسطاً في استجابة الأعصاب للغوية لتوليد اسم السجادة بتأثير صورة السجادة. كان الأعصاب الحاملة صورة السجادة واقفة على باب الأعصاب التي تنطق بالأسماء تنتظر منها أن تتخلج باسم لمولودها (صورة السجادة).

يتبين أن الصورة الحسية القائمة في شبكة العين ليست هي التي تحطى بالاسم. بل إن ما يحطى بالاسم هو ثمرة هذه الصورة، أي النموذج الذي أعطاه الدماغ هذه الصورة العينية. كان الصورة في العين تظل بلا تصنيف حتى تظهر في الدماغ ضمن بنات جنسها، وتحديداً ضمن وحدات الفرع التي أقر الدماغ بأنها واحدة منها. بعد هذا تأخذ الصورة الاسم الذي أوسع لها عملاً بين مدلولاته. فهي (سجادة)، أي واحدة من السجاد الذي لا حصر له، والذي تعين سياته الفردية ضمن جملتين، جملة من الأشياء التي تشا بشكل محدد حيزاً من الفضاء، وجملة زمنية لكل عنصر من عناصرها أبعادها الثلاثة: الحاضر والماضي والمستقبل. أعاد جمع العناصر التي تؤلف وحدة حال تكثف عن أبعادها كلها تحرك العمر بأحدها.

إذا هناك عمل عصبي نفسي يستغرق مدة أطول من المدة اللازمة لتكوين لفظ (طاولة) بلفظ (كرسي). لقد دأبت كلمة (كرسي) على الاتصال بكلمة (طاولة). وهذا الاتصال اللفظي الدؤوب جعل من الكلمتين وحدة لفظية تشبه وحدة الحروف في الكلمة الواحدة. ويعني ذلك أن الأعصاب اللغوية كررت تنفيذ موجة من الاختلاجات التي ما أن تعود حتى نرى التركيب اللغوي المؤلف من كرسي وطاولة قد قام في الذهن واندرج في اللسان. صار هذا في أعصاب الدماغ اللغوية استعداداً حركياً قهزاً. وكلما فتح باب هذا الاستعداد، أي كلما قام جزء أساسي منه استكمل الأجزاء الباقية. فإذا قام منه لفظ (كرسي) يقوم لفظ (طاولة) ويكمل سلسلة الموجة الاختلاجية المؤلفة من (كرسي وطاولة)، تماماً مثلاً تقوم كلمة (الله) بقيام (بسم). فما أن تقول (بسم) حتى يتواصل الاختلاج العصبي الدماغية اللغوية لينجز اختلاج لفظ (الله).

هذا التوالد اللغوي القائم على استمرار اللفظ للجملة التي هو عضو دائم فيها يتم بسرعة لا تتدأبها سرعة تولد الألفاظ بالمشاهد أو المحسوسات أو المغفولات غير اللفظية. ففي توليد الكلام بما يلقه من كلام يسر يتخطف ألسن المتكلمين، ويتأى بهم، كثيراً من الأحيان، عن الموضوع الذي يعانسونه

كم صبيب صبر
أسبق
بـ الصبيب
مشتاح
الشرح



في أعلى النخلة

أحمد عبد الحسين

العراق

■ كيلاً أكيلك وميزاني يفرح بخوابك فما تنقصين
إلا قوّة

العسل وزفرقة الحيوآن على ماء بارد، بارد
ومشود

إلى فصله المبادي، إلى المصباح في أعلى
النخلة، إلى

زجاج الزجاج، .. وميزاني يفرح ..
قرب اصطفاك اليد القويّة بالبوق وذبح

الحرس وراء
المستودعات، وجهي ينام ويوقظني مراراً حتى

لا أنا
فتسبّيني ولا أنت فيسّطىء بي مأوك البارد،

بل
شاماً إياك في كوكب يأفل

شاماً إياك في قفل المسجد صرّ لي كخاتم
على قلبي

كخاتم على لساني
أيام كانت خواتمك تنعش القلب واللسان. □

للحالة التي تنشأ لديك فإنك قد تجدها تولّد في ذاكرتك حالة
أو حالات لها بين صلة. وربما كانت الحكمة من ذلك أن
تعرف، بخبرة الآخرين، سبباً لحالتك. لكن الحالة التي
تولدت في الذاكرة لا تولد عارية، إنما تولد ومعها النص الذي
سلف أن عبرها به صاحبها إلى الآخرين، أو يوقّي ذلك
النص. فتعشق حالتك الرائعة النص الذي تعشقه الحالة
الآتية من الذاكرة. فتنتقل من خلاله، وإن معسراً، إلى
النفوس. فاللغات والفنون موارد جماعية اجتماعية، ومن خلالها
تنفذ الأحوال العابرة إلى أنفُس الحاضر والغائب والآتي من
الجماعات والمجتمعات. وهي لذلك تشكل مطلع الطاعين إلى
الانتشار والخلود، وتشبه الأولاد بالنسبة إلى الآباء والأمهات.

نحفظ النص الأدبي، نقتي اللوحة والتمثال والأيقونة،
نتعلم الرقصة والتمثيل، نغني ونعزف ألحان الشعير، نبي على
غرار ما بنوا، وكل ذلك يستوعب حالتنا الخاصة ويمطسها في
حالات الذين جادوا بقطع فنية ساحرة. فما أن تولد الحالة
الشعرية حتى تنتفع لها أذرع الساحر الغابر فتصوي في حفت
وتنحل في حلوله وتقصد علميتها. إنها ترضى لذاتها مصير
غيرها، كمن يرضى أن يصلي ويحج ويموت على غرار أقمته.
وبهذا نقصد الدعاة الجديد، ونقصد الموجة الجديدة، ونقصد
الأشعة المنيرة لتحليل قد.

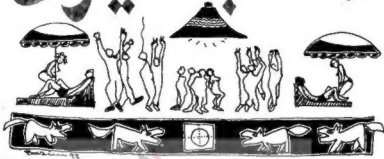
كيف نحافظ على هياكل وراثتها، وننتقل عن على خيالها
إلى خيمة ندي جديد؟ كيف لا تكون «قرية» الأجداد وصيها
الزربة الصالحة لنمو البذور ونشر الجذور؟ بإرادة كبرياء ذوي
اليوغا، وبشامل كتأمل المسحورين، وبصبر كصبر المسكين
بأعذاب الحقيقة، نرثو إلى جنان نفوسنا، نؤلّ لها جميع
كفاهاتنا، ونستجيب لوصوتها وفوحها وحركاتها والوانها،
ونصوغ من جميع ذلك نشورنا المستني.

فقط طوعنا ذخيرنا التعبيري الموروث والمكتسب لنؤلف
صيغة نظل نشتر ممتان تلك الحالة الناشئة التي حرصنا على
أمنها، فلم يجرفها السيل، وجنينها الانجذاب إلى كسوة
مستغارة تذهب بجدها وفراحتها. أقننا فيها حتى صار سراها
يلورا يرفض بملاعها وهو مكين. لم نحويها إلى الدخول في
أمانها ولسان أمثالها، فأخذت عبارتها باطمئنان، وانصاعت
بحرية. فإذا ارتوى عطش النفوس عاشت فيها كتهيد لاف،
ينمو بمقدار ما نصب فيه العيون. ألا يبدو أنها السّنة التي توطّد
بها الأجناس أصولها؟ أمي سّنة مغلقة يا ترى؟

لو لم يكن في مقدورنا أن نكون أسياداً على محفوظاتنا، ولولا
القدرة على استدامة الحالة الحية حتى نفوقها بحرية، لما كنا
واللهار أبد الدهر على موعد، نوقظ أو ينتظرننا حتى نفيق. هل
يعلم أن تدحوا كل يوم ليظل أماننا الأول؟ أيها الغد سلام،
ربما لا نلتقي غداً. □



أيها اللبنانيون ...



يحيى جابر

اتسم أنت في أرض الحريات
اتسم لهذا الشعب الصامد الحوي الذي ينسخ الأفكار
ويقلد ويؤور، من الروشة الطيبة حتى الوسكي.
اتسم لهذا اللبناني الشاطر، التاجر.

اتسم للمواطن
عندما يصفق للكهرباء ويغني لها. يتأمل شارة المرور ولا
يصدق كيف يشتعل الأصفر والأحمر، والأخضر.
شعب يلوح لكب القبايات
بينما الجلبة ترغرد للبشر الارتوازي.

اتسم أنت في بلدي الأخضر
ثمة شجرة يثمة زرعوها على الرصيف. . التهمها التسول
ليلاً.

أبطال وحرامية

يا أصدقائي في اللغة العربية فقط.
يا من تعشقون بيروت التي كانت سيادة العواصم هنا هي
الآن شرشوة العواصم.
سأروي لكم بعض حريتها وجنونها.
عن رجل وسط الحرائق، يسرق يد امرأة مبتورة، يدا من
مصاغ وأساور ويركض بها.

جميع الشخصيات الواردة في هذا النص هم آلياس حقيقيون
ولا يتون إلى الجبال يصقة.

كرم الضيافة

نحن شعب كريم ومضياف، وعمل مائدة جمهوريتنا تنتشر
مشات الجبوش، ومشات المازات من الجزمات من فيجي حتى
غانا ومن نيبال حتى استوكهولم.
نحن شعب التعايش الأخوي على مذبة مة ألف قتل.
نحن شعب التسلمح السديني على أنقاض المساجد
والكنائس.
نحن شعب ديموقراطي في الحصص المتساوية من المجازر،
والحرائق والمعاقين.
نحن في بلد العشرين ألف خادمة سيرلانكية والعشرين
ألف فيليبينية.

نحن في بلد الاصطياف لعاهرات روسيا ويوسلونيا
ورومانيا.

اتسم أنت في بيروت. .
اتسم أنت في لبنان. .

حيث المشجعون في ملعب كرة القدم بعد الخسارة يخطمون
المدرجات والمراحيض ويطاردون الحكم التونسي حتى المطار.



نجوم الظهر

عليه رقيقي سابقاً، هو صديقي وما زال يحب النساء بالزي العسكري أو ثياب الحداد.

برعاية

الحب في بلادي برعاية كوكاكولا
وهذه الرعشة برعاية تشكليس...
وهذه الكتابة برعاية الدولة.
ما أريده فقط أن يرعاني الله بحبانه، وأنا أعلم جيداً، أنه
لن يموت أحد من الجسوع، ولن يلفظ أحد أنفاسه من
العطش.
سنموت من شيء آخر، يسمونه الذل أحياناً والسلام أحياناً
أخرى.

حرب

لم تنته الحرب
ما زالت أنام بجانبي،
أنام بأذن مفتوحة، غفلة قصف مفاجيء.

لم تنته الحرب

ما زالت كلنا جلعاني أحدهم،
أرفع صوتي
أفكس حاصري عن سلس مفقود.

معتصمون

أيما المهاجرون المقيون إلى بلادنا.. سأحدثكم عن
العراقي وأدم حاتم الذي كانت نوابه زجاجة النيذل. وفي
الصباح يفتش عن آلة دكتيلو لقصائد كتبها عن ظهره الذي
أحرقوه بالسجائر في بغداد.

صديقي مات البارحة، غموراً، مطموراً، مدفوناً في مقبرة
للكلاب الشاردة مثلاً

وسلموا جواز سفره إلى القنصل
أرسلوه في تابوت.

الأهل في بغداد يشيعون جواز سفر.

ملاحظة

أنا شخص يكره بلاده دولة وشعباً... هذه الأيام ودعنا في
أيام أخرى سوف أحبهم وأحترمهم.. وشكراً. □

عن صديقي نبيل، المصور الصحافي الذي قال للمرأة
المفجوعة قرب الانفجار ولولبي أكثره حتى يحظى بصورة
مميزة..

عن محمد عطية الذي يسرق عظام مقابر والمياكل
العظمية، لأنه يريد صنع إنسان من لحم ودم.
عن الفتى حسن الذي ذبح والده المحدث، وإنهجه الحي
بمقتل الرجل - المرأة.
عن يوسف الذي عاد من المعتقل في إسرائيل، ليجد
زوجته قد طلقته وغادرت إلى البرازيل.

عن ذلك الرجل الذي خرج من الحصار بلا قدمين ولا يد
بقي، وما تبقى من اليد اليسرى رفقه علامة نصر للمصورين.
عن نديني في الحانسة السلي كلنا شرب عشرة كؤوس،
أشربني كيف صلم الأذان في تلك المجزرة وقطعها بالموسى.
وما زالت أصوات الضحايا في أذنيه، فبات يصرخ: ومن
يقطع أظفي.. لتختفي الأصوات.

اغتصابات

أذكر من الحرب الماضية، ذلك الفدائي الذي اغتصب
مريم في الحقل قرب القاعدة، ثم أفرجوا عنه لأن أرضه
مغتصبة.

أذكر من السلم، أن جندياً نيجيرياً في الأمام للتحقيق،
اغتصب فلاحه حرساء، وحين جمعا الجنود لم تتعرف الضحية
على معتصبها.

تذكرت المغرب اللبناني الذي اغتصب الزنجية في نيجيريا،
وعاد بأولاد من خدم في قصر بناء على رأس جبل.. أما الجبل
فكان قاعدة عسكرية للقذافيين!
من يعتصب الآخر؟!

أزياء

أنا ورفيقي كنا نحب نساء لبنان في الزي العسكري،
ننتهي النساء وهن في زي الحداد.. الأسود.

يا «أبو علي»
يا رفيقي في نوبة الحراسة
وإن حضنت جذع الصنوبر
وإن قبلتها

لن تتحول الشجرة إلى فخذ امرأة.

هيا نطلق النار

على عدو لا نراه.

وحين نزلت الدولة إلى الشارع، لم أخف من الدورية، «أبو»



حياة يجعلها الموت أجمل مما هي

أنسى الحاج

لكل منها دون الأديان الأخرى. الله هو للجميع فعلاً
خارج كل الأديان.

ما ينقص الملاك هو التوبة. قد نُحِبّه، لكنه لا يُكِنّا.
كذلك القديسون الأفاضل، الذين بلا شائبة.
لكنّ القاتب (أو النادم) هو الاثنان: الأرض والسما.
لأن جذوره في الرذيلة. وفضل فضيله أكبر.
الملاك الذي يخضع خضاً هو من يُعادي السفوط. أو
ذاك المكبوت. أو الذي سقط فعلاً وراح يضارع ما تبقى
فيه من نعمة أو ما ابتدأ ينهش من لعة.

لماذا الموازنة بين اللاعنف على طريقة المسيح أو غاندي
و«العنف» أو نشوة القوة على طريقة نيتشه؟
لأنهما يلتقيان في رفض التسويات الفاترة والحلول
الجبانة.

لأن الأول يحترق القوة والثاني يحترق الضعف. القوة
المسحقة الاحتقار (قوة العضل والعدد والشر) والضعف
المسحق الاحتقار (ضعف البشاعة الكيانية، ضعف
غياب أي سحر، أي ضوء، أي حقيقة، أي
حياة...).

وكلاهما على حق، والواحد منهما يكمل الآخر.

الله هو
لجميع
خارج كل
الأديان



■ فإني صوتك بسبب لحظة. انفتحت أمام روحي
أدراج الضياء كبحار من الضباب المقدس.
لا نتعلم الفلق، مثلياً نتعلم الموت. لا نستلم إلا
لموت واحد، وشرط ألف شرط.
بضعة حروف صغيرة، نبرة، احانة، ويستهي الأمان.
لا نتعلم الحياة. نهزها نظاماً ولا ننتمي إليه. لا نغلق
ما يجب أن يُغلق عندما نحضن لحظة حبيبة.
العواصف تخشى في جيوبنا.

هل أنا متواضع؟ إذا رضيت بأن أكون عضواً في
مجتمع متواضع؟ هل أنا جبان، إذا رضيت بأن أسكت
مع الخائفين؟
يعذب السؤال صاحبه. يعذب أصحابه، يحلoli أن
أظن. أن أظنهم كثيرين. لا لجمال الكثرة بل لتوزيع
الذنب على أكثر من صغير.
والجواب معروف.

كم تظهر الأديان مجاملة حين يدعي أصحابها أن الله
للجميع... فليس في شرائع كل منها وأدعيته إلا الصلاة
من أجل نصرته «محازييه» دون سواهم، و«الدعوة على»
الكافرين به والمشرّكين.
لا، في نظر الأديان الله ليس واحداً للجميع بل هو

هناك نرجسيّات لا معنى لوجودها أمامك غير أن تمنح فيك راحة صدرك.

مرة قلت أن أول عهدي بالكتابة كان علاقة مع الفراغ. فقد حاولت أن أكتب ولم أكتب شيئاً. لم أشعر بشيء في داخلي يريد أن يخرج. قمت وجلست أمام مرآة كبيرة أحقق في صورتي عني، إذا وصفت «مادني» على الأقل، أتوصل إلى شيء من «الروح».

لا لأذكر كتبت في النهاية، وليس هذا هو المهم، بل الشعور الصلب بالفراغ الذي لم يفارقني لا وأنا أقرئ في ذاتي الداخلية ولا وأنا أحقق في صورتي خلال المرآة.

عندما رويت ذلك قبل سنين جواباً عن سؤال، اعتقد أني استمتجت من التجربة درساً ضد الافتعال. شيء كهذا.

اليوم أرى كم كان استنتاجي سطحيّاً. الدرس غير ذلك. إنه الفراغ عنه، لا بترانه.

خطأي يومها أني حاولت إيجاد شيء آخر للكتابة عنه، أو انطلاقاً منه، غير هذا الفراغ الذي كان يجتلي.

ولكني أنصت النظر رأيت كم أن ما نحسه ناهلاً من بيوت الأستلاء هو في الواقع ابن الفراغ.

الفراغ الذي يعكس الأشياء ويرسل أصواتها أو أصداها.

الفراغ الذي يستقطب الحوادث والأحداث كما تستجلب الحرية الصواعق.

الفراغ الذي «يشعر» الفراغ الذي «يشفق»، الفراغ الذي «يعيش» و«يفرح» و«يتألم». الفراغ الذي يمتلئ، أو يحبس أنه إلى امتلاء.

الفراغ الذي، كسرير البحر، يشهد ما فوق سطحه يحدّ ويخزّز، وهو دائم العمق...

ساعوني، كان يجب أن أحب كذبكم، كذبتكم، فلا أعتقد فضيحة فضيلة.

لم أعرف أن استحق أخطاءكم.

أوقعني غروري في حبّ وهم الحقيقة.

في أشدق وحش الفنّ يأتي أفضل منكم. □

الذي يتحدث عن «ظاهرة» اقتلاع الجذور في العالم العربي ويردّها إلى الاستعمار الغربي (متماسياً ما كان قبله من احتلالات واجتياحات ماحية بدورها للتاريخ ومدّمة للصلاصة) تفوته ملاحظة كون مجتمعات هذا الاستعمار الغربي قد استهدفت هي أيضاً على مدى حقبة عديدة لعمليات اقتلاع جذور...
مقتلعو جذور يقتلعون جذور سواهم.

لم يثبت على التاريخ غير الفلاحين والأسيين والأشجار.

ولكنّ ما عيب اقتلاع الجذور؟

ليس ضياع من هذا النوع اعتقافاً؟

اعتناق فاقد التوازن؟ ليكن، لم لا.

وما عيب فقدان التوازن في عالم لم يعد توازنه يتجع غير الارتطام بجدران؟

.. ولم لا يكون الخلق، أيضاً، «تربّ» نور ما (نقل نور فيض، أو جنون، أو نور فوضى اخترق النظام، أو نور خطأ، أو سهو، أو سقطلة، أو حقوة...)
تربّ نور كهذا إلى صلاصة المادة، جاعلاً منها حياة لم يكن مدهوثة بذاتها؟

ليس في الخلق الأدبي والفني كذلك ما يشابه هذا «الانحراف» عن نظام الغياب؟ ما يشابه هذا التوسّع «الروحي»، هذا الامتداد من ذاكرة إلى ذاكرة؟

يكون الله، حينئذ، قساح أول شرارة من حجارة الكون الصّماء، قد فعل يديدين ستمتا هدهوداً لا تزعرعه حياة، حياة يجعلها الموت، صنيعتها وحارسها ومهلها، أبلع مما هي.

ثمة أدباء، شأنهم في ذلك شأن سائر الناس، لا يشير فيك تغنيهم لأنفسهم في كتاباتهم سوى تركزة الأسنان وربة في صفهم.

البعض لا يناسبه غير التقشف، والبعض يلزمه أكثر ليغدو قابلاً للهمز: يلزمه أن يعتق نفسه ويمتينا، أو أن يسرها ولا يتحدث عنها.



ما ينقص
الملاك هو
التوبة



نافذة مشتركة

علاء خالد
شاعر من مصر

بكفين أعرف رغبتيها؛
سيظل معقوصاً
حيث نهاية الأصابع
بعد أن ينتهي الجنس
وتحتفظ يداها بسواد شعري
في الجيوب البيضاء للمعاطف
وعلى الحواشي الكبيرة

سيظل إلى الوراء
حيث انتهت الأصابع المستقيمة
وتركت حنيها
كعملات منسية بين طيات الكراسي
إلى الوراء
بكفين غالبتين
حتى يعود إلى قطعه من الليل،
خلف الوسادة
من الفرح بكل حياة مطفأة
كل فرح يعود إلى أصله، نبأ،
خلف الديدن
من الضوء الخفيف
الذي عاش بين جسدنا
كنافذة مشتركة
لم يطلع عليها الصباح. □

■ ليوم
وقد أن أخضع ملاسي،
أمام كل الكتب التي قرأتها،
وأمام صديقتي،
وحدثت حوري طائفاً عن جلدي،
الذي رأيته في الظلام
ومحسسته في حركة ذراعتي
كانتا مضمومتين أكثر من المعتاد
حتى بعد أن رحلت صديقتي من البيت
واختفت الانفراجة البسيطة
التي كانت تفتح باباً سريعاً للهواء
لأكثر من قلب بين ذراعتي
والأحاديث التي تبادلناها
رأساً لرأس
والشعر الذي سيمر مراراً
إلى الوراء
ومعه جلد الوجه



قصة من العراق:



حكايات الموتى والمنفيين

■ من كثافة اليرميكات والمواحسن الضاغطة، القاهرة أغلب الأحيان. من التحارب الصعبة، المبريرة، والحروب والحدوف المستمر والقمع المطور وغير المنظور. في قسوة العيش واصطخاب اللمة تبدأ القصة بالتحول الآن، في العراق، بحر الكتابة بمصيبة شديدة الوقع، وتصميم صعب، وقدرة مائلة على التعبير. فربما كلما زادت مصاعب وغاطر الكتابة والتعبير وكلما استعصى القول، كلما بدا التأليف القصصي يعتمد على حيل أسلوبية ومصنوية ونبرة أكثر ذكالة وتديراً!

إيها سببت عامة للقصة التي يكتبها العراقيون الشبان اليوم، في المأسى أو في بلدهم تشابه في موضوعاتها وهواجسها التي تكاد تحصر في عناوين معينة: المأسى، الحرب، الكت، الحدوف، إلا أنها تنوع تنوعاً مدعلاً في طرائقها ولغتها وتقنياتها وبشكل خاص تنوع في مداخلها واللات في هذه القصص ابتعادها عن مباشرة عناوينها وموضوعاتها بالطرق والأساليب المألوفة، ثمة واقعية مقبلة، ثمة غرائبية مؤسدة عن الواقع، ثمة شاعرية قاسية في نثرها وسردها.

وما اختيار «الباقه» هذه القصص من بين مجموعة كبيرة وردت إليها تساعاً إلا محاولة للتعريف - قدر الإمكان - وشهادة واقية - قدر المستطاع - على واقع القصة العراقية المعبر الذي بدأ يرفع القصة العربية عمداً بإمكانات ومواهب مثيرة للانتباه. ■





جبارياسين

آخر الملوك اليهود

■ في شباطي درت في موح عبده، بك درب الواحي التي عرفتها بل عسي، كانت في بلادتي اليهود المقهه سلاطه والسوادي اقرب إلى طعي من خساد التي تحد ادبي في السهول وقرب ضفاف الانهار عشت طفولتي قبل أن تسني هد التيه الذي ما رلت في كيهه والسحابة رغم ذلك فقد عرفت الخيال ونسقت سموحي من بيت في معبد ذكرى م، زلت أحملها كما تحمل عشق امرأة ليلة واحدة

في قرية الفوش، على مسافة قريبة من مدسة الموصل عرفت الجبال لأول مرة هناك قيل لي وأنا اقرب من القرية المحونة على سفح الجبل، أن في إمكانية قضاء ليلة في الدبر تسلفت المسح في عز الظهيرة حتى وصلت إلى بوابة دير القديس هرم. كان المساء قد حل حيسا استعني شيخ ملتح ورحب بي بمودة كما لو كان يعرفني. من هيتني عرف الراهب مسعاي لم يسألني عن اسمي، بل قادني إلى غرفة متوحنة في الصخر وليس لها من نافذة إلا بابها الخشبي القديم. قال لي أنها غرعتي لهذه الليلة، ثم تركني بعد أن أوقد شمعاً أتارت جوف الخيل ومضى

أذكر أني نمت على سرير حديدي. حلمت أحلاماً كثيرة ثلاثت حيساً أنبظي الراهب في ساعة من الليل، ومضى بي عبر عمر طويل مكشوف على الليل. لم أر تجهاً واحداً في السماء تلك الساعة لكن التباغات كالزبابا كانت تدق من قرية الفوش التي بدت بعيدة مساعتين. في غرفة مثل غرعتي، لكها أكبر مساحة وجدنت ثلاثة رهبان شيوخ ينتظرونا حول مائدة

عشاء. قالوا لي إنهم يعيشون هنا منذ شباهم وسيقتضون الباقي من حياتهم مما حق يفرقهم الموت وهم في صلاهم لله وليسوع والعذراء. بعد ساعة نقرقنا وعاد بي الراهب إلى غرعتي الصخرية. نمت لي، بأبد جم ليلة سعيدة، ثم تركني واتصرف بعد أن صلب. بقيت وحلي أنطلع في تجاوب الصخر المنحوت وبور الشعمة المترافض على الحدردان. لم يكن يسيراً علي معرفة الوقت وأنا في تلك الفجوة التي بلا سائدة لكن الصمت الذي كنت فيه، كان صمت ليل بهم يعمر الصخور التي تلقى.

وأنا أبحث عن فكرة أطرد بها يقظتي وقعت عيني على كتاب نائم في فجوة حفرت في الجدار على صورة نافذة لا نطل على شيء. نهضت من سريري ومضيت إليه. تناولته فحنته أول الأمر إنجيلاً، لكي وإن أنته تصوره قرأاً كانت صفحته الأولىان مزخرفتين ومرفشتي كما في سورتي الفاتحة والبقرة في المربعات التي بين الزخارف كانت الكلمات مكتوبة بلغة أجهل معانيها، لكن الحروف لا تكن غريبة علي. كانت حروف معضولة عن بعضها في روح وفي أخرى تندو كما لو كانت أرفقاً تتابع في نظام محسوب. كانت لغة آرامية أجهلها رغم معرفتي الأولية بالأمجدية قتلت الصفحات تساعاً، وبقيتها، كالتيه الكلمات تخط في الصفحة الواحدة، بينا الزخارف نقل حتى تظهر في صفحات الأخيرة مخطوطاً متلوقة، تحيط فحسب بالتوضيح المتوخة. في صفحاتها الثلاث الأخيرة تحتمى الزخارف تفسد وتعد الزخارف الآرامية إلى حروف سريانية غريبة بعدد من الصفحات الأخيرة قصبت أميل في مسجها في دفتر صغير كان لي حقيقي مصمت سسوت طويلة والأوراق في حوزتي ثم ها بن قرر ترجمته حرفياً سالفندر الذي تنبئه لي معرفتي باللغة السريانية المتداولة بين مسيحي شبال العراق

تقول الصفحات الثلاث ما يسلي دود أدق تاوويل من حابي الصفحة الأولى

واحر للملوك اليهود * لك احمد تعرف مازب ورحلاص للحقيقة التي أنت خالقتها. وضع من خلاصات الأخبار أن سيدنا المبعوث يسوع ما بلغ أبداً عهده فيها اقتنطع ونقض ميراثه قل طربس الآلاه

شهد من الخللصين ومن كان بحضرة بيلاطس أن سيدنا يسوع وصله دافياً وتباح الشوك على رأسه. ساهماً كان، سيدنا، والملائكة تسنده وورره فرمره نلف جسده الديوي الباحل.

نقض بيلاطس وحذق إلى سيدنا وقال له: أنت ملك اليهود؟



أحابه سيدنا نازلاً إليه (يلاطس): هذا ما نقوله أنت.
ثم اتفق سيدنا وموسى في آذني يلاطس. موسى طويلاً حتى
كدنا أن نعتقد أن سيدنا عاد يتكلم على جسد الحاكم. سمعنا
خفيف أجنحة تصطفق في أروقة البلاط الكبير وقمنا حياء
نوقف خفق الأجنحة قفص لون الرخام. جلس سيدنا على
الأرض وفك الجود الرومان وثاقه. لم يتكلم ولم ينظر إلى أحد
من الحضور. حين غادروا بإشارة من الحاكم ظل سيدنا هناك.
أغلقوا الأبواب خلفنا وفي أورشليم كان حشد كبير ذلك
(اليوم)

الصفحة الثانية

(آخر الملوك اليهود + لك الحمد. اختبايا عندك والحقيقة
ملك لك. أنت خالفها وأنت مؤوها وأنت ناقضها. عيشك
كل خلق لك يسير إلى ما كتبه من موت وحياة. شهد من
المخلصين من تابعيك أن سيدنا يسوع حل الصليب ومضى إلى
طريق الآلام صعداً. حشد من الناس كثير ذلك اليوم غمر
شوارع أورشليم. احتجم الناس على الطريق وكان عوياً كـ
وصراخ للأبرار وفرح كثير وجهه للحاضرين. حسب سم
سيدنا تمت إلى حدي رومان وبنت عن فرعة الطريق
سلح بحصيرة من المعدن. هم الحدي وساعد سيدنا على
البهوض ولم يكن من أتباعه يوماً. هم في أذن سيدنا وقم لك
حلاً مروحاً بمرارة ليشرب. ولما داني لم يزل أن يشرب
الجدي مرة أخرى في أذن سيدنا ومن شهد سمه بقول
يا قيرواني وصلنا المجمع. (دمنة مسحة دم). كتب
مريم هناك والمجدلية ويوسي وأم ابني زبدي وساء كثيرات من
أورشليم والناصرة واليهودية ينظرون من بعد ويكبن. أمه
مغني عليها من الآلم ومريم الأخرى مرتدية الحداد منذ هذه
الساعة

عندما مر سيدنا يحمل صليبه، ما زال، أمام سيدتنا أمه
مريم ولم يلفت إليها ولم يتصرف بها. لم يتصرف بالشاريات
حول أمه سيدتنا ولا بالمجدلية مضى سيدنا وقد اجتاز جلجلته
المرتفعة حاملاً صليبه. على التلة التي نصب عليها الصليب
كان الغيوم سوداء والسحاب مندرجة. فترق المنة وفقدتهم لما
رأوا ذلك. كان سيدنا يصعد والشمس التي لم تعلم ما حدث
تنحي إجلالاً لمن سيفقدان من خطايان في الحياة وفي الآخرة.

الصفحة الثالثة

(آخر الملوك اليهود + لك الحمد تعلم كل شيء
والمخلصون لك عيون تشهد حقيقتك وما كتبه لنا في حياتنا
وموتنا، في ملكوتك الأرضي والسمائي. الكبير منا والصغير
المولود والشهيد والخاص من صنع عيشك. شهد من
المخلصين من تابعيك أن سيدنا يسوع لم يترك قصر يلاطس
ذلك المساء. وشهد من شهد أن القريسيين والكهنة دخلوا

القصر في الليل مستورين بالظلمة. وفي الفجر الذي تبع موت
سيدنا على الصليب شوهد سيدنا في السبت يخرج من باب
القصر وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالنجاج. فمن خوفه
ارتعد الحراس وصاروا كامرات. وحده مضى حتى تحوم
أورشليم وفي المساء شوهد سيدنا كالبرق يلوي على طريق
الناصرة

شهد من المخلصين من تابعيك ومن كانوا معه عند جسدنا
أن يودا الفارسي مات في ذلك اليوم عندما شق جسده
في شجرة وقاضيت روحه كما أراد الله وقد وفي بالعهده. صاح
لديك ثلاثاً في عسه وفي آذنيه أصاء نور كثير.

شهد من حاضرين من السابك ومن كانوا عند المجمع
الله أن سيدنا صعد بعد سنة من العمر يموت على سريه في
لباسه بيضاء. كحل أن يترك سيدنا ارتجفت شفتيه بكلمة
رددها ثلاثاً العهد، العهد، العهد ثم أغضض عينيه. صاح

الديك ثلاثاً وغمر البرية ظلام كثير

ملاحظة إلى القاري:

بد قررت في نهاية حجابي التي توشك أن تنطفيء سبر ساعة
وأعصري، ترجمة هذه الأوراق، فلأني علمت أن الدبر الذي
قضيت تلك الليلة فيه صار تسمية منياً. في الأحداث الدامية
التي عمت البلاد لسنوات طويلة، وقع البدير ضحية للخراب
وغادره أو مات الرهائن الذين سكتوه. يعلم الله إن كانوا قد
ماتوا في صلاهم لله وليسوع والعداء في ذلك البدير الذي لم
أز فيه صلاتاً غير ذلك الذي رسمه الشيخ الرابع وهو يغادر
عرقتي. أما تلك المخطوطة التي قضيت ليلي الوحيدة هناك
بصحبته، فلا بد أن النار قد أتهمتها كما أتهمت كل شيء
هناك.

حين عدت بعد سنوات من نهاية الأحداث، دهمت لزيارة
المكان فلم أجد غير صخور فوق بعضها، عطنها الحشائش
والأشجار وشقائق العنان الكثيرة في تلك الأصقاع. جلست
على الصخور أربب المجال وأفكر في الصدفة التي قادني يومها
إلى البدير. كانت صدفة جميلة لكن حياتي بعدها لم تكن
كذلك □



جمعة الحلفي

قضية جبار لفته

عندما دخل جبار لفته حمام المعتقل، وبعد دقائق قليلة تسمرت من فتحة باب الحمام السفلي، بضع قطرات من دم أحمر قاني مثل لون الرمان الناضج، ثم انسابت بهدوء كماء جدول صغير آمن. فاحتدم النقاش في المعتقل على غير العادة.

كانت أمسياتنا، في الأيام الطويلة الماضية، تمر رتيبة وفعيلة في الغالب، عدا تلك الليالي الشحيحة، التي كنا نتوسل فيها حلمد الأسود، الصحافي المخضرم، لكي يغني لنا بعض أغاني محمد عبد الوهاب، التي كان يجيدها بطريقة مذهشة تجعل حتى حراس المعتقل يتركون مؤاباتهم ويأتون ليشمعوا الغناء من خلف الكوة الضيقة للردفة. أما مشاغل المعتقلين وأحاديثهم فلم تكن تتعدى تلك المناقشات العابرة أو تلك الذكريات المملة. كان مندر العاني مثلاً، وهو ضابط شاب لم يمض غير بضعة أشهر على تحرجه من الكلية العسكرية، يجتدي يوماً ويتكرر غريب عن خطبته سميرة، وكيف كانا يلتقيان كل يوم خيس في حديقة الزوراء الكبيرة وسط بغداد. وغالباً ما كنت أقبل بالاستهزاء إليه مضطراً وهو يكرر عليّ حكاياته عنها وبالنفاصيل نفسها، فقد كنت أشعر أنه حين يجتدي عن ذكرياته تلك، إما كان يتخفف بذلك من مزاج المعتقل الثقيل ومن ضحك الردفة الضيقة. كنت أشعر أنني أسمع في تفرج كربه ولذلك كنت أتركه يواصل سرد حكاياته الملهمة، متعدياً الإحصاء إليه بكل اهتمام.

أول شيء ألقته كنت أقدم بهدوه نحو مدرّب العسكر العريق حسن منّا (هكذا يبدأ مندر) أخرج من جيبه عليه دخان الروثان وأقدم له سيجارة منها، فيبادلي العريق حسن بابتسامته الودودة وهو يردد بصفي: أكيد... أكيد تريد مني شيئاً أسأله مندر. لكنني لا أبالده الإلتساع بل أبداً الكلام بهدوه بعد أن أجعل من صوتي رخيماً وحنيناً: أبو فلاح أمي... أمي أبو فلاح مريضة جداً وعليّ أن أذهب لروثيتها اليوم قبل أن تموت. فردد العريق حسن بأسمى وتشجيع: لا سمح الله... لا سمح الله... روح أخي مندر، بس رجاء إذا صادفك سيادة للقدم... أنا غير مسؤول... مفهوم!

أما سميرة (يوصل مندر حكايته) فقد كانت تقول لأهلها أبي سأغفل إلى الشمال وعليها رؤيتي قبل السرور وهكذا كما نشر الزوراء شيئاً شبراً مع كيس من الحب الأبيض. أو... أه كم كانت تلك الأيام جميلة! وكم كنت أحلم! (يسرح مندر بالحديث وكأنه يعلم حقاً) لقد كنت أتصور في أيام الخميس تلك، أن عليّ أن أعيد صياغة الكون، أن أعيد ترتيب النهار على نحو جديد، أقصره قليلاً وأجعله أكثر هدوءاً، من أجل أن يتاح للعشاق والشعراء غمضة الوقت بأكثر قدر ممكن من اللذة والتأمل والصفاء، أو أن أجعل من زرقة السماء قبيل إلى

■ كان الوقت عصراً، وكانت الشمس التي نرتقيها من كوة ضيقة، وهي تغرب كل يوم، تسارع إلى الانخفاء وراء الأفق، عندما دخل جبار لفته حمام المعتقل وبنه دقائق قليلة تسمرت من فتحة باب الحمام السفلي، بضع قطرات من دم أحمر قاني مثل لون الرمان الناضج، ثم انسابت بهدوء كماء جدول صغير آمن.

في تلك الليلة، وصل غير السادة، احتدم نقاش من نوع خاص لم يلقه معتقل الأمن العام في بغداد. كانت ردهتنا الضيقة المجاورة للباب الرئيسي، تجمع بالمعتقلين، الذي جاؤوا من الردفات الأخرى، كي يستمعوا أو يشاركوا في ذلك النقاش العصائب. لم يبق أحد لم يشارك في الحديث، حتى محسن فرحان، الذي كنا نتندر على نومه الطويل والثقل، كان من أشدّ للحمسين للنقاش. لم يتم محسن فرحان في تلك الليلة، مع أنه كان مولعاً بدونومة العصرة كما يسميها. كان يقول لنا: يا جماعة... الحل الوحيد للخلاص من كآبة المعتقل ومن صراخ الحراس، هو النوم... ناموا يا جماعة ناموا، نصبون على قرار إفراج إن شاء الله!

هكذا كان محسن فرحان يردد على مسامعنا كل يوم تقريباً وهو يرم بغطية وجهه تلك البطانية المتهرئة، التي اشتراها من عزيز الكردي. نزيل الردفة المجاورة. لكن محسن فرحان ظل، في تلك الليلة سهراً حتى الفجر، مهموماً ومكتئباً. فقد كان الوقت عصراً، وكانت الشمس التي نرتقيها من كوة ضيقة، وهي تغرب كل يوم، تسارع إلى الانخفاء وراء الأفق،

البضغع أو إلى النهري الفاتح.. أن ألون الريح يعض الزهري مع شيء من الأصفر البرتقالي، وأخيراً أن أترك للمطر حرية المظول الهادئ، وقت العصر، مع تعديل بسيط في الغروب.. أو.. أو (يصحك منذر) كم كانت تلك الأيام جميلة! وكم كنت أحلم!

وفي يوم من أيام الخسيس تلك يكتشف العريف حسن منها مصادفة أن منذر العاني كذب يكذب عليه وإد أنه متوفاة منذ كان طفلاً في الخامسة من عمره، فيحذره في ذلك اليوم من أن هذا هو آخر خيس يسمح له فيه بالخروج من المعسكر.. يا للحظ العاتق! (هكذا يقطع منذر حكايته دائماً ثم يواصل السرد) تصور.. التي نفس يحدث لسيرة عندما يقف شقيقها الأكبر ويقول لها بكل خشونة: هذه آخر مرة تسمح لك فيها بالخروج من البيت فمضت أشهر وأنت تقولين أن منذراً سيتقل في الشبال.. هل تعلمين علينا؟.. كان ذلك آخر خيس يلتقي فيه منذر وخطيته سميرة في حديقة الزوراء الكبيرة وسط بغداد، وبعد وقت قصير من ذلك الخيس يحتفل منذر ويأتون به إلى الأمن العام مفيداً بعد أن ينزعوا لنجات الذهبية عن كتفه الصغير.

ماذا تفعل سميرة الآن؟ كم يسل نفسه، كان منذره في كل يوم وبعد أن ينتهي من سرد حكايته، يسألها: ماذا تفعل سميرة الآن؟ وكنت أتطلع إليه بعطف دون أن أجيب عن سؤاله بالطبع لأنني ببساطة لا أعرف سميرة ولا أعرف ماذا تفعل الآن. أنا متأكد أن سميرة تقرأ الآن (يجب منذر نفسه ويواصل) إنها تحب القراءة في الليل.. نعم.. نعم.. ولا بد أنها تقرأ في ديوان مظفر النواب، إنها تحب الشعر وقد حصلت على نسخة من هذا الديوان جليها صديق كان في زيارة لسوريا.. إنها النسخة الوحيدة في العراق.. تصور.. آه.. آه.. عمر وتعمد الثلاثين لا يعلان.. عمر وتعمد وتعديت ولا طابش جلبت وديت ولأمره شلت عنيك تعرف البيت.. وكالوولي عليك هوائي.. كالولي كالولي يا عبي يا مطر يا عبي يا سميرة هكذا يتم منذر حكايته اليومية بترديد قصيدة لطيفر النورث ثم يعاخلي مطلب طريف قائلاً بوشوسل: الله يجليك.. الله يجليك عيلي أغنية هذا هو إصاف منك فينك هلكد تظول؟ فاداً بالعماء عاطفاً عليه أما هو فيمص عينه لينسمع بهدوء ثم يبدأ بالزوم شيئاً فشيئاً، وقبل أن أكون قد أكملت الأغنية يكون منذر قد استغرق وزام

ولكن في تلك الليلة، عندما دخل جبار لفته حمام المعتقل، وبعد دقائق قليلة تسريت من فتحة باب الحمام السفلي، يضع نظرات من دم. آخر فاني مثل لون الرمان الناضج، انشابت

يهدهو كما جدول صغير آمن، واحتدم النقاش في المعتقل، سمى منذر العاني أن يحكي لي حكايته الأثرية عن خطيته سميرة، فقد اندمج في ذلك النقاش الصائب الذي استمر حتى العجر.

إنه هروب من الحياة.. وسط جو الكآبة الخيم على المعتقل، جاءت عبارة منذر هذه، مثل ضحكة صاخبة في مجلس عزاء، فقد أشاح بعض المعتقلين بوجوههم نحو الباب وطأطأ البعض الآخر رؤوسهم، عدا عمن فرحان فقد نظر إليّ كمن يريد أن يستشهد أحداً على واقعة مريبة، ثم تحدث وهو يتمتع مع نفسه: إنها أسهل الطرق لاحتصار مصائر الناس.. هروب من الحياة.. إنها تذكرني بعنوان لعيلم مصري. لم يستغ منذر تعليق عمن الساخر على كلامه، لكن جو الوفاق السائد جعله يرد بهدوء: لكن أستاذ عمن ماذا نسعي انتحار إنسان.. وإنسان متاضل بالذات؟.. أنا أحترم جبار لفته مثلك تماماً لكن ماذا في وسنا أن نعتبره غير هروب من الحياة.. من النضال.. من مواجهة التعذيب وال.. أنا أعتبرها أقصى حالات الشجاعة والإقدام (رد عمن مقاطعاً واستطرد) حين يمسك الإنسان بسكينة صالحة وعز

وريده وينظر إلى دمه وهو يتدفق، مثلاً فعل جبار، فهذه في اعتقادي أقصى حالات الشجاعة وبطل لا بدانيه فعل آخر في الإقدام. أنا أعتقد أنك إذا لم تكن نوحاً من أنواع الشجاعة (عقب منذر يهدو ثم اجتهد) لكنها شجاعة سليبة يا أستاذ عمن، فالشجاعة الحقيقية هي أن يواجه الإنسان الظروف والمخاطر وأن يعطي المثال للآخرين على إمكان المضي قدماً بالنضال وتحقيق الأهداف (هنا استشاط عمن فرد بانزعاج) أنني منذر يمكن نهي هذا النقاش لأننا لن نتفاهم بهذه الطريقة.. فانت تتحدث عن الإنسان وكأنه جهاز روبوت، إنسان بدون أحاسيس بدون مشاعر بدون مشكلات روحية ونفسية.. أنني هناك أزمة روحية علمة، كوني. هناك الآلاف في الغرب يتحرون رغم أن حرياتهم غير مقيدة ولا يشكون من قمع أو إرهاب أو أي شيء يتعلق بحياتهم المعيشية أو السياسية، فهذا نسعي هؤلاء.. ها.. هاريون من النضال وأي نضال؟ ولكن أنا لا ألتحد من الإنسان العادي (رد منذر يهدو مرة أخرى) أنا ألتحد من الإنسان المتاضل، الإنسان الذي نلذ نفسه لهمة إنسانية نيلة. أنني منذر أروجك نهي هذا النقاش (كرر عمن طلبه إياه النقاش لكنه واصل الحديث) أنا ليس لدي فرق بين إنسان وإنسان آخر. كل البشر لديهم الأحاسيس نفسها، لكن بعضهم يرفض حياته رغم شعوره باللاجئ والإحباط والاندحار، وبعضهم الآخر ينهي هذه الحياة بسكينة صالحة أو بشيء آخر.. وما هو رأيك



مأخوفاً، في تلك الليلة، بقطرات الدم التي تسابت من فتحة باب الحمام السفلي، مثل لون الرمان الناصع، وكما جندول صغير آمن، عندما دخل جبار لفته حمام المعتقل، وكان الوقت عصراً وكانت الشمس التي كنا نرقبها من كوة ضيقة وهي تغرب كل يوم، تسارع إلى الاختفاء وراء الأفق. كان انسياب قطرات الدم تلك يذكرني بدهو جبار لفته، وخاصة في تلك الأيام التي سبقت انتحاره. فلم يكن جبار يتحدث إلا نادراً وكنا نغازحه أحياناً ونحاول حمله على الحديث لكنه لم يكن يستجيب إلا بحدود الرد على سؤال أو أن يتسم قليلاً ثم يعود إلى صحته وعوسه.

مرة سألت جباراً عن رفيقه فاخر مدلل (أو كما كنا نسميه ابن دعوته) فقد كانوا قد اعتقلاً معاً وكنانا يستدعيان إلى التحقيق معاً أيضاً، لكنهما وفي كل مرة يعودان معاً من التحقيق، كان يبدو عليهما الإرهاق من آثار التعذيب وكذلك الإنزعاج من بعضها البعض، وكان ذلك يجلب انتباهي على الدوام. وفي آخر مرة ذهبنا فيها إلى التحقيق عاد جبار بدون فاخر الذي لم يره بعد ذلك. ورغم الأسئلة المتكررة التي كنا نوجهها إلى جبار، فقد كان يتهرب أو يترك الردعة إلى ردة عزيز الكردي، الذي كان يعطف على جبار كثيراً ويحاول شد أزره. كان عزيز الكردي وحده من يعطينا صورة متخيلة عن ماضي التعذيب الذي يتعرض له جبار وفاخر، دون أن تكون له أية صلة بالامر طبعاً. كان يأتي إلى ردهتنا حال يعودان من التحقيق، ينظر إلى عيني جبار المتورمتين ويقول له: أكيد هدي ضربات الحفير ملازم نعمة.. إنه لا يفرب إلا على العينين، ليس كذلك؟.. وهذه.. هذه (يؤشر عزيز على شفة فاخر المفلوطة) إنها بكل تأكيد من بوكسات (ضربات الكف المضمومة) الحفير عريف حامد.. فيومي فاخر موافقاً وهو يتسم بصعوبة. كان البعض من المعتقلين وهم يتلدنون سخرية عزيز الكردي ولكنة الكردية المحبة لا يصدقون كلامه لكن البعض الآخر كانوا ينهشون بحمده وبقدرة على معرفة أسماء الجلازين وطريقة تعذيبهم للمعتقلين، وفي الواقع لا يتمتع عزيز بغير المزاج المرح والساحر وحصيلته متخازة من أيام التعذيب التي جعلته يعرف بالضبط أين يفرب ملازم نعمة للمعتقل والعريف العريف حامد. كان عزيز يعطف على جبار لفته كثيراً ويحاول إضحاكه وإدخال السرور على قلبه، خاصة في تلك الأيام التي أصيب فيها جبار بالكآبة بعد عودته من التحقيق بدون رفيقه فاخر. وفي كل مرة كان ضحية سخرية عزيز الكردي هو عمن قرحان، فقد كان عزيز يجعل منه موضوعاً للتكيت بسبب مومه الطويل والثقل، كان يأتي إلى ردهتنا في اللحظة التي يبدأ فيها عمن نومة العصر يف



الجنود العراقيين

أنت؟ (يسأل منظر يتهم فيرد عمن) أنا اعتبر النوع الثاني أكثر شجاعة وصدقاً مع الذات، لأن النوع الأول، في اعتقادي، يكابر من أجل مذلات صغيرة وثافهة لا أكثر وأقل. ولماذا لا تتحرر أسنذ عمن؟ (نقل سطر في محاولة لإخراج عمن الذي رد بكل بدوه) لا أنتحر.. لا أبني سلالة أنت شجاعاً يا سيادة الملازم، هذه كل القصة.. لا أكثر ولا أقل. لم يكن هذا النقاش هو الوحيد الذي كشف لنا عن اختلاف وجهتي نظر منظر العاني وعمن قرحان، فقد كنا يختلفان على الدوام، أو يتأكدان في الحقيقة، فقد كان منظر يتضابق من نوم عمن الطويل والثقل فيتندر على هذا الموضوع في كل مناسبة، كان يقف على رأس عمن في اللحظة التي يعم فيها بالنوم ويقول: هل تعرفون لماذا ينام عمن كل هذا الوقت؟ إنه في الواقع يريد أن ينسى حاضره، وأنا بالطبع لا أنكر أن الحاضر مرير وكثير، لكن عمن لا يدرك أن النوم وسيلة اليائسين ليعبر الحاضر أو للقفز عليه. (فيرد عمن بعد أن يخرج وجهه من تحت البطانية) وكيف تريدنا أن ننسى هذا الحاضر المرير والكثير يا سيادة الملازم؟

أنا أعتمد (يرد منظر) أن عبور الحاضر يتم بمواجهته أسنذ عمن لا بالنوم، لأن النوم على الحاضر يسبب لك سوء فهم في مستقبلك! (يتزعج عمن فيرد كالمهزوم) أهني هذي وسيلتي الوحيدة، ماذا أفعل؟. أما أنتم دعة تضير الحاضر وامتلاك الماضي والمستقبل، فأتارك لكم كل شيء.. أتركوني في همي الله يجليكم.

هكذا كانت النقاشات تبدأ ولا تنتهي، أما أنا فقد كنت

يترقق في عينيه: ماذا أقول لك من أين أبداً.. ومن يصدقني؟ (حدث جبار برجاه وتفرع) قتلت له: أنا أصدقك يا جبار.. ثم يملك، فأنا أعرفك جيداً وأعرف كم أنت طيب وصافق، ولكن قل لي ما الذي حصل لفاخر لقد أجبرونا في جلسة التحقيق الأخير على أن نضرب بعضنا البعض. كيف حدث ذلك؟ تسامت منهشاً فرد جبار قائلاً: هذا الذي حدث.. لا أعرف كيف ولكنه حدث.

في البداية امتعنا عن ذلك لكنهم ضربونا بقسوة، كانوا يضربون من يتعجب بقسوة لا تصدق ويطلبون منه تنفيذ أوامرهم. وبعد ذلك، سألت جباراً فقال: بعد ذلك فعلنا، أو قل نفذت أننا ما طلبوه مني فقد قفرت، وكنت اعتقد أن فاخر أقدر الشيء نفسه، أن ضرباً لبعض قد يكون أرحم وأقل قسوة مما تعرض له على إلهيم، فممت بضرب فاخر أول الأمر لكنه لم يرد عليّ فضربوه بسبب ذلك، ضربوه بوحشية وحقد، ومن شدة حزني عليه رحت أضربه وأطلب منه أن يرد عليّ. أن يصري بأشلي لكي يكفوا عن صرعه، لكنه كان يمتنع في كل مرة دون أن يقول شيئاً، فصاروا يضربونه بقسوة أكثر وصرت أب صرعه أيضاً لكي أخلصه منهم. كنت أضرب وأضرب وأصرخ به اضربي.. اضربي يا فاخر ثم أقوم بضربه، أضرب وأضرب وأصرخ به وكانوا هم يضربونه ويضربونه ويضربونه، حتى ماذا يا جبار، سألتهم فمعنى يحكي ودموعه كانت تهول على يديه المسببتين في حظه: حتى.. حتى بدأ الدم يتفرج من فمه ومن أنفه وحتى من عينيه.. لا أعرف من أين صار الدم يتفرج، لم أعد أرى شيئاً غير الدم، لقد سبغ بلعه فقط مغمياً عليه، وبعد لحظات سقطت أنا أيضاً. لقد سقطنا معاً، ماحر من شدة

على رأسه ويقول: والله والله لو أن السيد العام (هكذا كانوا يسمون مدير الأمن العام) يعرف أنك تنام كل هذا الوقت لأطلق سراحك فوراً.. أكل ونوم يا مال الكوم.. شنو قابل فاخرين فتلق؟ فيحاول عسن تجيب الحديث أو الرد على عزيز لكنه لا يتألك نفسه فيضحك وهو تحت البطانية، ثم يرد عزيز على ضحك عسن: أبه طبعاً تضحك.. غداً يطلق سراحك تصبح متأسلاً برأس الناس.. من يلدي أنت كنت غلصها نوم بنوم؟

كانت لدى عزيز كودي حكاية طريفة لم يبق أحد في المعتقل لا يعرف تفاصيلها وكان، كلما يريد روايتها، يقوم بتحميل بعض الأفعال المضحكة فيها فيجتمع المعتقلون حوله من كل الردهات يقول عزيز: أول أسبوعين من اعتقالي أكلت ضرب لا يتحملة الحمار حاشاكم.. ومرة أشرف على التحقيق معي السيد العام نفسه. كان عسراً ومتجهياً إلى حد خفيف في ذلك اليوم وكان الجلائدون من حولي يستعدون للحفلة. بدأ الضرب أول الأمر بالمعوي والأيسدي ثم بالصنودات ثم بالفلقة، لكن أحياكم صمد بقدرة قادر، وأخيراً ومن شدة انزعاجه ونفاد صبره قام السيد العام نفسه وركلني على بطني ركلة لم أتألمت أعصابي معها، ففطرت فطرطة ترددت أصدائها داخل غرفة التحقيق، وإذا بالسيد العام يجلس على الأرض من الضحك، وبعد أن هذا قال لي: اتركوه. اتركوه هذا القواد ما راح يطلع منه غير الضباط. وبعد ذلك اليوم انتهى التحقيق معي. وهكذا يضحك المعتقلون على حكاية عزيز حتى تسمع عيوبهم. لكن في تلك الليلة، عندما دخل جبار لمتة حمام المعتقل وتسربت بعد دقائق قليلة بضع قطرات من دم آخر قائم مثل لون الرمان الناضج واحتدم النقاش داخل المعتقل.

لم يأت عزيز الكودي إلى ردهته ولم يرو حكاياته الطريفة للمعتقلين. فقد ظل يبكي ويبكي بحرقه وآلم في زاوية ردهته الممتعة. وكنت الوحيد الذي لم يشارك في النقاش، كنت مذهولاً بذلك المشهد، ينك القطرات الحمراء من الدم القاني التي تسابت يدهو كما جدول صغير آمن، فذكرتني يدهو جبار لمتة وصحته في أيامه الأخيرة، قتل يوم واحد كما أعتقد، من انتحاره. ألحمت على جبار بالسؤال عن رفيقه فاخر: ما الذي حدث لفاخر يا جبار.. هل أطلقوا سراحه؟ هل اهتمف عليك؟ هل أعدموه؟ إنحكي.. إنحكي، لماذا تنهوب كلما سألتك عنه؟ ألا يحق لنا أن نعرف شيئاً عن مصير صديق ورفيق كان يأكل ويشرب ويسهر معنا طوال أشهر عديدة؟؟ وبعد لحظات فوجئت بجبار وهو يبكي، كان ينشج بحرقة وأنين لا حدود لها.. ثم نظر إليّ وكان الدمع لا يرال

صدر حديث

الفتح العربي الاسلامي في سيرة مالك بن الزبير

للمؤلف

سليمان الحسن





رحيم كريم

تجاوزات

■ إستيقظت من نومي مألوفاً بربوب جرس باب منزلنا .
الربوب شمع منسل واحتلقت بأصوات نهاز بدت لي خطئتي
مثل أصوات سكرى كها صبرت وقبع أقدام ثقيلة فوق
دراجات سلم النوبة

- لا تحيط ولا قوة إلا بالله .. ما هذا ، أنا في دهبوس ؟
فتمسكت أنا بالشيء فوق السرير العريض الذي تشاركني
لوم عبي زجج نصيعة ، ذقت الاثني والعشرين عاماً ، التي
وزعت فيها قبل ثلاثة شهور ، مولودنا البكر غافق ..

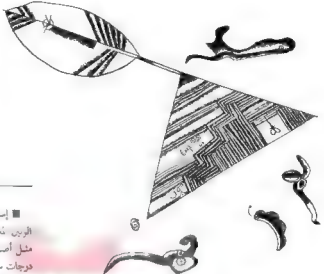
هممت بأن أذهب إلى باب المنزل ، وأفتحه ، لأرى بأن عيني
ماذا يحدث بالضبط في سباتنا هذه الليلة ، لكي بقيت في
مكاني ، مؤثراً الإنتظار والترحب ، مسدداً لسرطاني بقلق
والزعاج ، خلال غلام الليل الواهي نحو باب الغرفة نصف
المفتوح ، حيث كانت تأتي من جهتي ، تلك الضوضاء للفجاجة
المقلقة . وأفاقت زوجي أيضاً ، سمعتها تهمس بشيء من
الخوف وهي لما تكذب تجلس :

- يا ستار يا رب ، ما هذا ، من الذي يدق علينا في مثل
هذا الوقت المتأخر ؟
التفت إلى شحبه وقتل :

- أرجح يا نصيعة أنهم مجموعة من أولئك المختازير ، الذين
لم أكن أستبعد أبداً مجيئهم غير المرغوب فيه إلها ، خصوصاً في
الآونة الأخيرة ، بعد أن تنوعت أساليبهم الإستفزازية وازدادت
موحية تعدياتهم . كيف ينسون بداية كبتائنا يشغل ثلاثاً من
شعفا المستأجرة آناس أجاب : ١٩

قالت هي مقاطعة :

- آو ، صحيح .. إنهم هم على الأغلب ، وما العمل يا أبا
غافق ؟



الامه المبرحة وجروحه المعينة وأنا من تهمتي والموافقي بالهار
والخزي .. وماذا بعد ؟ كاد ذلك آخر عزال وجهته ففاحر الفرة
يائساً : ماذا بعد ؟

عندما عدت إلى الوعي ، أحست شيء غريب معني
الشيعة فكيف كما لم أيسك من قبل ، لقد كان علي أن
أحترس .. هذا ما انتهت إليه متأخراً وبعد فوات الأوان ،
وهكذا صار علي لا محالة ، أن أدفع الثمن من نفسي .. لقد
أحسست في تلك اللحظات ، حين تهنت تماماً أن غلطتي
كانت فادحة وأن وهي كان مريعاً . وكان شيئاً عظيماً قد تحطم
في روحي ، شيئاً مهيأ وبراقاً قد انهار دفعة واحدة ، شيئاً
ناصباً وشعافاً وخلافاً قد تلوث في مستنقع الخطأ أو تكسر كما
تكسر قطعة من زجاج . في تلك اللحظات شديدة اليأس
والهجل والمرارة ، فطدت الأشياء ، كل الأشياء ، معانيها
واللوانا وطعمها ، لقد استحال كل شيء إلى حجير .. إلى
رماد .. وهكذا صار علي أن أدفع الثمن من نفسي لا محالة .
وفي تلك الليلة ، كان الوقت عصراً وكانت الشمس التي ترفقها
من كوة ضيقة وهي تغرب كل يوم ، تسارع إلى الاختفاء وراء
الأفق ، دخل جبار لفته حمام المغفل ، حز ورويه بسكينة صلبة
فسررت بعد دقائق قليلة من فتحة باب الحمام السمل بضع
قطرات من دم أحمر قانٍ مثل لون الرمان الناضج ، انسابت
بهده .. بهده .. بهده كما جدول صغير آمن . □

أحت.

- تنتظر، منتظر وبرى كيف ستطور الأمور.

كان الفصل صيفاً وحرارة الجو لطيفة. أزعجت عن رجلتي الإزار الباعم الذي أنتثر به واستندرت إلى حافة السرير القوية من حرارة ملابس الحدادية، بينما تحركت بصيغة بشع قامتها القصيرة نحو فراش طلعها النائم قمت وأما أقول.

- الأصبل أن نخرج الآن من العرفة وملق سايها على الصغبر كي لا يفق.

فردت هي:

- نعم، لنخرج

حسوت، مشتي ليست سليمة! تباً لتلك الأيام القاسية الغاشمة، التي أعطيت رجلتي اليسرى ثم إضطررتي إلى ترك بلادتي وأهلي منذ ثلاثة أعوام خلت، والإلتجاء إلى هذا النض القبي.

خرجنا إلى الدهلين وتوقفنا قبالة الباب الخارجي، متجاوزين، تشدد بكلينا مشاعر الإستياء والحيرة، ثم سمعنا من بين النصوصاء، تشير علي بنية خفيفة:

- أرى أن لا تشعل النور، بغية إياهم بأننا نلف في نوم عميق أو أننا غير موجودين أصلاً ذاك الليل ولقدننا سيصرفون عن بابنا على الأقل. لم أعلق على كلماتها وأفكارها بشيء، بل تجرعت متفقد صوب الباب الخارجي، وقلت بانفعال وتوتر:

- أريد أن أواجههم... أصبح في وجوههم، تكلمكم جنوناً يا متحضرين، إرغوا قليلاً، نوبوا إلى رشدكم!!

لكن نصيغة لم تدعني أفتح الباب، فقد تشبث بي يديها اللاتنتين، وهي تقول في رعب وتوسل:

- إلى أين أنت ذاهب؟! كلا يا أبا غافق! فالخروج إليهم ليس صحيحاً إطلاقاً، هم جماعة ضالة طائشة، لا يجدي معهم الكلام.

فاشتيت... تراجمت معها إلى الوراء، قلت مكرراً:

- لا حول ولا قوة إلا بالله!

وقالت بصيغة تكمل وهي لا تزال تمسك بي:

- لا أعتقد أن أحداً من سكان البناية سواء كان لاجئاً أو مواطناً عادياً، سيقدم على فتح باب بيته أو نافذته ويطل عليهم ليويخهم أو ينصهمهم، الجميع سيحاولونهم بصمت واحتقار! لكن ما أن مضت دقيقة واحدة تقريباً حتى توقف جرسنا عن الرنين، ثم إختفت الكليبات الزاعقة والفصحكات المزعجة... ولم يعد يسمع سوى صدى رنين جرس، لعله جرس شقة أشباب اللاجيء، التي تقع في الطابق العلوي.

فتمت نصيغة الصعداء وقالت:

- الحمد لله، كأنها انفرجت. أرايت يا أبا غافق، لقد يسوا سريعاً، وسيدويون عنا وعن البناية كلها بلا رحمة! عيناى المتفرستاد كانتا تنتقلان بين شحها القبي، وبين الباب والجدران. وأوضعت لها بشيء من الإمتعاض. - المشكلة يا عزيزي لا تكمن أساساً في ذهابهم أو عدمه، وإنما في تكرار حدوث مثل هذه التجاوزات البغيضة هنا وهناك، ونحوها يوماً بعد يوم إلى ظاهرة معروفة في هذا البلد للأسف!

وحاولت هي التخفيف من وقع ما يجري قائلة:

- ما يقوله الناس وما يعرضه التلفار وتنشره الصحف، عنهم، يؤكد أنهم مجرد أفراد معدودين، أو زمر صغيرة ليس إلا، إضافة إلى كون معظمهم من الجهلة والعاطلين عن العمل ومُدمني المشروبات الكحولية!

فعميت بذات الإهتمام والجند وقلت:

- نعم أوافق تماماً على أنهم أقلية في المجتمع لكنهم، بلا أدنى شك، لا يغيرون اتجاهي لوجهه وصقيفة ما يفعلون. ووراء ذلك، ما وراءه!

صكت لحظة - ولما لم تقل هي شيئاً، حدثت أتم

لأكم يحيطون، هؤلاء إياهم اعتقدوا أننا نعيش مطمئنين وسعداء في من حب، لغربة وبني هذه، أو نريد البقاء والإستمرار في بلادهم، إن الأقدار أم لو يعلمون فقط مدى الشوق وأحس لدى يشدنا إلى وطننا وأحبنا... وأن أعظم

أندسيا هي لعمدة

فايدت نصيغة بإيجاز:

- نعم، نعم والله.

إنقطع رنين جرس الجيران، وتلاشت كل حركة، فتكاثف السكون من جديد حولنا عما أوحى إليّ بأنهم قد أصبحوا خارج البناية أو ربما قد ذهبوا عنا نهائياً، فالتفت نحو مدخل المصالون



لا أدري

- ١ -

■ أكره نفسي!

■ لم؟

■ لا أدري.

صاح العريف:

■ كفى... استكروا... واكتسوا الساحة.

ويتناقل اتحنى الجنود يقبضون بأيديهم أعضائاً خضراء لشجرة يوكالبتوس، بمسحوق الأسفلت المشقق ومختلوس النظرات إلى قدمي العريف أبناً ذهبياً.

- ٢ -

قالت شجرة يوكالبتوس لصاحبتها الواقعة جوارها. كانت الشمس لم تزل نائمة والفضة تظفر بزوايا السماء:

■ لقد جاءوا مرة أخرى!!

■ جعلنا نسمع منهم؟

■ لا أدري!

كانت ثلاثة جحود يتقدمون نحو الأشجار. وقف أحدهم حينئذ الوجه. سأل زميلاًه:

■ لم توفقت؟

■ ما ألي بك؟

كان مطروق الرأس يفكر في الشجرة فكلمها ذهب إليها غيباً ليجلب غصناً يكس به يراها كجسد أمه الحزين حينها يوسمها أموه ضرباً، فتركض إلى غرفته تلثم، مولولة، غطوفة الوجه، مشورة الشعر وتحتى، حلف طهره

■ ما دسها؟

■ ماذا فعل؟

■ ..

بحزن جروا غصناً... يحزن قطعوه... ظلت الشجرة تتولى للما، والجنود يحملون الأغصان ويرفون بالفضة ويحرقون الأمانى الصغير المتحيلة.

- ٣ -

كان الغبار يغطي أجساد الجنود وهم يلقون بالأغصان التي اسود أخضرارها إلى برميل قمامة... سأل جندي صاحبه:

■ ماذا تفعل؟

■ لا أدري!!

الموارب، ثم مشيتُ باتجاهه، ومالت نصيعة معي.

أرضية البيت درشت سدالموكيت الطيف الساعت اللون بضع خطوات وصرنا ضمن عائله الواجم المتسع، فبدأ لنا سفق وديت جدرانها وأشباه العديدة المختلفة والمترتبة، مجسمة، أكثر من تلك التي في غرفة النوم أو في الدهليز، جراه نثار الضياء النافذ من الخارج عبر الشباك الكبير الواسع ذي الستارة المخططة المصنعة التي ربطت من طرفيها التندلين إلى الجانبيين. اخترقنا الصالون وتوقفنا لقص الشباك، وأخذنا نحلّق، عبر الزجاج، إلى البيوتات المتباعدة النائمة، والشوارع الرئيسية المستوحش، ومصاييح الأعمدة المسهدة الكافية. وإلى السيارات المركونة، والكشعر والأشجار والسيارة. ثم جلست انتباهنا سيارة فولكسفاغن حمراء كانت قد صفت تحت الشباك مباشرة.

■ لأول مرة أشاهد فولكسفاغن حمراء تقف جوار البناية.

■ قمصت هكذا باستغراب، فهمست نصيعة متوجسة

■ وأنا أيضاً، أتكون هذه ميازيتم؟

فأبدت وجهة نظري وأنا أركز عيني متحسماً تلك السيارة المرية ولكن بصورة غامضة:

■ ربما، ربما، كل شيء جدار الليلة!

■ سكّت هنيهة، استغرقت غفلة قليلاً.

■ وهذا يعني أنهم لم ينجحوا في شيء.

ولم نلبث أن لحنا ثلاثة رجال تسللوا من تحت البناية، وكان أحدهم يحمل بكلمة يديه عجلة الرياضة، التي أمرن بها رجل اليسرى المصابة، والتي تركها عادة أسفل السلم، أمام بابا

وهزتي نصيعة وهي تقول:

■ انظروا، سرقوا العجلة!!

ورددت في عقوبة وبلادة:

■ ماذا، العجلة، سرقوا العجلة؟

غير أن يدي، في اللحظة نفسها، أسكت مقبض إحدى درفتي الشباك، وأنا أحس بصورة غضب شديدة تجتاحني.

تحت الدفقة بصيعة، مغللاً برأسي من فوقهم، وانطلقت من فمي فجأة صيحة قوية مزقت صمت الكون:

■ الشرطة، الشرطة، الشرطة...

ورأيتهم يرتكبون، يصيهم الفزع، فضرب ذلك الرجل العجلة بالأرض الاسمية، وهرعوا إلى السيارة الحمراء، فتحوا أبوابها، قذفوا بكلمات لن نسمعها بوضوح، اختفوا...

صفقوا الأبواب، هددت السيارة، تحركت بهم، ثم ابتعدت بسرعة على طريق الساحل الضيق المتعرج. □



وصاح عريف بجندي يمدق إلى حائط فارغ:

.. ماذا بك؟

.. لا أدري!

وعند فسق بارد وقفت أم تودع ابنها الذاهب إلى الجندية:

.. ماذا ألم بك يا بني.. تبتو مكتشياً؟

أجاب بنيرة تقطر أسى:

.. لا أدري.. لا أدري!! □

سهيلة داود سلمان

حتى إشعار آخر

■ بأصابع متعذرة فتحت المطروف الذي يحمل طابعاً
أجيباً. وعليه خطٌ أسمي وعنوانٌ بأحرف عربية مرسومة
بعثية، وعيون الأهل مصوبة نحووي معقول. إنها رسالة من
ورقتين مكتوبة بالانكليزية.

إتة الحال العزيزة سهد:

رغم أننا لم نلتق أبداً إلا أنني أعرفك معرفة واضحة بمرانا
والق أنني أحفظ ملامح وجهك منذ أول صديق لك أنت
صبيّة صنيّة إلى ما قبل أعوام ليست بقليلة يوم أن تبالنا
الرسائل والصور. كنت إذ ذاك طالبة جامعية تدرّس الأدب
الانكليزي وأردت أن تمرني على التعامل باللغة.. ربما كانت
لعبة تلك، إلا أنني أحفظ بلذتها حتى الآن، فإن كنت قد
نسيت فأنا لا ألومك، لأن الأحداث التي مرّت بك تفقد
صواب أقوى الرجال. صوركم أنت والعائلة كأنها موضوعة في
بيتنا وأمام أنظارنا منذ الأزل. منذ طفولتنا ونحن نرى أُمي
تُظَرّها وتضعها فوق ركب المدفأة في غرفة معيشتنا اليومية، لذا
فهي عاشت معنا. عرفتك صبيّة بضالّتر.. وهفوت إليك
مرافقاً حديثي حلاوة ابتسامة تتوزع على كل صورة من
صورك. آخر صورة لك كانت منذ ثمانية أعوام أو تسعة لا
تقولي إنها عمر طويل، أبداً كأنها وضعت في مكانها بالأس
فقط، كنت قد بعثتها لي بنفسك مع رسالة ما أزال أحفظها
بين أروتي.. أنت تكبريني بعملي وأنا أصغر منك بمثلها.
علمان أو ثلاثة أو حتى عشرة لا أعطاها بذات شأن، فالزمن ما
قوى بركض كالمجنون ونحن نحري وراءه لنلتحق به، نحاول
إيقاه فلا نقدر يسرقنا ونعفي. فنحن مكتوفين لا حول لنا ولا
قوة. والعجيب أننا لا نبالس. السنة يا سهد أشأ عشر شهراً
والشهر ثلاثون يوماً سويحات تخفي بين عشية وضحاها، فتأمل
كم نحن، بين البشر، ساذجون، واليوم إذ تقوم سنوات العمر

وإذ تقوم الحياة بسيا في إمكان حشرة شافهة أو وهايروس لا
يرى بالعين المجردة أن يصع حداً لحياة منها عطمت ونحرت
لا تقبلي أنني أنفلس. هذه هي سطرّي إلى الحياة، أجبها
لكن احتفظها لغدّها. وهي نظرة ليست تشاؤمية فأنا رجل
واقعي

بوسعي أنني أستهل رسالتي إليك بمثل هذه الأمور. أردت
أن أقول إن كانت ملاحظك قد انطبع في خيالي، فلا بد أنك
أيضاً كنت في وقت من الأوقات قد فكرت في عل نحو خاص
ويشيء من الإحساس المتميز، بخاصة حين كنا نتبادل رسائلنا
ونتكلم عن أحلامنا، فأنا ألومن بالتحاطر ولي بعوث في هذا
الجال منشورة في مجلة تخص بهذا العلم رغم اختصاصي في
العصارة الإسلامية التي هي مهنتي، وقد نلت فيها درجة
الدكتوراه من هنا. وأعلم أنك نلت شهادة البكالوريوس في



الأدب الانكليزي، يعني أن ميلونا ليست متصارعة إن لم تكن
متفادرة. ها أنا أطلقك منك على رسل ثغرة اللبس عالية،
فهل أكون غطتاً إن قلت إنك الآن متعشلة تتسائلين: ماذا
يريد مني هذا الرجل؟! نعم ماذا أريد؟ أن أكذب عليك،
بدءاً جاءت الفكرة من والدي مباشرة، وسرعان ما شعرت بها
تمسّ أحاسيسي. بدأت استحسناتاً ثم تحايلاً ما لبث أن صار
فكرة ملحة بل هوساً شغلني وكأني كان كاشناً في نفسي،
وبكلمة واحدة منها انزعج وغفرتي. أُمي التي هي بمثابة عمك
لا تزال على حيوتها كما عرفتموها من قبل رغم ادعائها أنها
وصلت إلى أرذل العمر. لقد أصبح شوقها إلى وطن أيّها
صوفيا حتى إنها تفكر في أن توحي بنقل رفاتنا إلى بغداد بعد
ممانتها. وهي تمني نفسها أن أحقق آخر رغبة لها في الحياة
بالاقتران بك. ربما تتسائلين شمشرة: أي صف من الرجال
هذا الذي يخطط للإفتران بإسراء لم يلتقي بها في حياته إلا من
خلال بعض الصور والرسائل، أمكلاً يكون اللتف خريج





متجهج الوجه عابساً مدهلماً وكان أحداً قد وجه إليه إهانة،
وقال بصوت واهٍ.

- وحرب الثلاث سنوات أفرزت الكثير من البلى . . . وقد
شاع في الأونة الأخيرة ما يسمى برواح «الغيبوبة» بين الموالي
الكرمية، فلماذا لا نطعم في عائلتنا نحن أيضاً. ؟؟
اصغت أمي إلى كلماته وهي مطرقة، وبعد برهة قالت
لهلجة استنكار:

- «هل تسمي زواجاً مثل هذا، إن حدثت وقيلت أخذك،
زواج غيبوبة؟» وهل طلب أن ترسل له صورتي بالفيديو؟
إنجبل يا مصطفى الذي تقدم لطلب أخذك مهاده هو ابن
عصمتك نسائلة محسباً وتعرزونها جميعكم، أم ماذا؟. لكن
كلمات أخي مصطفى متت كبريالي وأشعرتني بالاذلال أول
مرة في حياتي. فاستجيت من فسوري دون أن أبدي أي
ملاحظة وكيف لأكرس لم يكن ليحيي أنا. واعتكفت في غرفتي
وسمعت صوت سداك زوجته تتحدث معه بتأنٍ واصفة إياه
بالأنانية بأنه لم يابه لمشاعر الآخرين، وأن ارتداده سلبية
عسكرية أعطاه الحق في أن يجعل من نفسه أداة قمع،
وتسلطت: وكيف بالله عليك تسمح لك عاطفتك الأخوية أن
تدأ لملأ في نفسها من الممكن أن ينمو ويزهده؟ إن المصائب
التي رفضت فوق رؤوسنا كان نصيب سهاد منها أكثر من
نصيبنا. . . أم أنك تدرى وتجاهل ما تدرى. ؟؟ ثم دخلت
وعلى وانكبت فوقتي وأنا صمدة قد قد على رأسي واعتقدت بما يدر
منه قاتلة لهلجة قاطعة مشمعة:

- «لا تجعل كائناتاً من كان يوشح في أي قرار تجديته في
صالحك، كسر سيدة بمسك، تحري، طبري، اسطلفي،
جبري حظك، لن تخسري شيئاً إن جرت. . .».

كلمات بسيطة نفوحت بها إلا أنها كانت كالفتح السحري،
كنت واجهة سألتي، لماذا لا أبكي؟ فكرت قليلاً وقلت لها: لا
أبكي ليني أستطيع لكنت أرحت، لكنت اغتسلت بما أحله.
قالت: الرجل يضع حياته ومستقبله بين يديك ماذا تنتظرين
تردي عليه؟ قلت لها: لست واثقة من نفسي ولا من مشاعري
وأثق في هذه اللحظات لو أن «الليل» موجودة ولو أن «نوم» لم
يتم، لكان لرأيها تأثيره، ليل يشياها المتدفع وعيوبها،
وعمي نوبل؟! يلح عليه قلبه. . . واغرورقت عيناها وشمرت

الجامعات الأوروبية؟ شرقياً يعيش قروته الوسطى، أو بليداً
متحججاً. . . لا هذا ولا ذاك. . . إني أضع نفسي أمامك كما
أنا. لست مادة خالماً فقد عرفت النساء، هنا وفي بلدي،
وأقمت علاقات حميمة إلا أن الحب الحقيقي لا يأتي في كل
مرة. الفتاة الوحيدة التي عشقتها بعقل وبمخاطفي ماتت قبل
زواجنا بأيام، ماتت في حادث سيارة وقد هزني صوتها وكعاد
يغمري لولا تماسكي. كنت في صدر شبلي وقد مضى على
الحادث مدة طويلة. . . ألم أقل لك أن الحياة لا تستحق منا
وقفات تأمل طويلة. ؟؟ بعدها تعلقت بامرأة من هنا،
أجنبية، أحببتها على الطريقة الأوروبية، عشيت معها سنوات
أربعاً، الحب الجسدي لا يكفي لإقامة أسرة وأنا رغم عيشي
الطويل في هذه البلاد إلا أن دمى الشرقي يبدو لي أنه لا يزال
حاراً. . . أنا لم أعرض عليها الزواج وهي بدورها لم تطلب
ذلك. أحسست أن البرزخ شامع بيني وبينها ثم ما لبثت أن
افترقتا على وفاء كل ذهب في سبيله ولم يبق لي منها أي شيء
على الإطلاق اللهم إلا بعض البطاقات ترسلها إلي في أعياد
كل رأس سنة تقريباً. وهذا إلا أن عدم ست وأقدم بنسبي
خالصاً، مخلصاً، حالتي الحالصا ممتوح لصدور وسمر عن
بقلب سليم دون أن أدعي الحزن. . . فاب لا أبرئ من أعراب
رغم تجلوزي الثلاثين سنة لمحوها

أصدقائي هنا كثر ومعادري أكثر. علاقات مع الجميع طيبة
ولي صداقات حميمة مع عوائل عربية يتعاملون معي وكأني
واحد منهم، ولغة التفاهم بيننا هي العربية إذ يحكم
احتصاصي هذه اللغة العربية والخط العرب هم حرم من
دراستي، أتكلم العربية بقدر ما تستعني في التفاهم وعليك
سيفع الباقي إن رزيت أن تكمل مسيرة الحياة. . . كما وبني
أقمت علاقة صداقة حديثة مع عائلة عراقية لطيفة مرحت من
العراق بعد نشوب الحرب ومن خلالها عرفت الكثير من أخصاب
وطن أمي. . . وحين انتهت الحرب احتفلنا معهم مع مجموعة
من العرب العراقيين، فلا تحسبي أننا ما همزنا عن جذورنا
بل العكس هو الصحيح. . . كنت معكم طيلة سنوات الحرب
الرهية وجلت غصة في قلبي للمصائب الذي حل بكم. . . إنها
مشية الله على أي حال «ولا راد لقضائه» كما ترد أمي التي
تجملت هي الأخرى بعض حزنكم وتماثلت لآلئكم، وهي الآن
تنتظر مني خيراً يفرحها وتعلم أن تكتمل أسرتها الصغيرة بك.

طوى أخي الرسالة بعد أن قرأها وترجم مضمونها لأمي.
ولم يبعدها إلي بل ألقى بها بعد أن طواها فوق الطولوة وكان

تقبلنا الرسائل بعد اليوم . ابرتي إلى نعم أولا

أعد العدة للسفر وأرسل أموري، قدمت استقبالي من الدائرة التي أعمل فيها. قلق غامض يغلف نفسي ويغضب روحي، كلما اقتربت من الموعد، ويقول بيني وبين شحنة الأمل التي تدفعني إلى التطلع نحو المستقبل بتفاؤل... كنت كمن يبحر في قارب هزيل تتقاذفه أمواج بحر هائج، إذ لم تبق لي السنوات التي مضت بي فتاراً واضح الإنارة كل شيء اختلط عتدي. حين نحل السعادة تفرغ بأحبتها، ندفع مشاعرنا ونغشي... وحين يرخي الغم سدوله يسد جميع المنافذ... وبين هذا ودك خيط أوهى من خيوط العنكبوت.

صوت اصطفاك الباب، ثم دخل أخى مصطفى بينما كنت مسترخية أرتشف قهوتي تكاسل. قال:

- أما سمعت؟

- ماذا؟ أحته دون مبالاة

قال ملهش

- حفز لم تسمعي؟! وإتبه من فوره نحو جهاز التلفزيون، ولم يكن قد حان وقت البث بعد، فانطلقت أنشودة وطنية، ثم ظهر المذيع وأمرنا بالوقوف فيه يصرع العراقيين كافة حتى إشعار آخر □

صدر حديثاً

الوليمة



انسى الحاج



بنفسه في قلبي فقلت متأوهة: دليل ونوفل جرحان في قلبي غائران في أعالي إلى الأبد... ٤٠

قالت سعاد:

- ولو كنت في مكانك لتركك كل أحزاني وراء ظهري وفرغت إلى نفاذه، وبهتة مستقبل، وأسندت رأسي على كتفه... فكري يا سعاد إنه ليس بالرجل العادي اقربي كليته ملياً، إنه إنسان... ثم هو ليس بالغريب عنك وإن لم تلتقي ٤١

وقررت أن أصع حياتي بأكملها أمامه. ماضي وحاضري، الآمي وأحلامي علاقتي بأهلي وبالناس وارتباطي، الذي كان، بالرجل الذي أحبه يوماً ثم تغلبت عنه مدفوعة بالعقل ومنسجمة براءة حديدية رغم تعلقي الشديد به بعد أن أدركت أنه ليس بالرجل الذي يسعدني والذي لم يبق الأحداث الفاجعة التي مرت بي شيئاً منه وكأنه ماء سكبته في أرض سباح... واستلمت رسالته الثانية التي كانت لي كحد السيف: سعاد

من الصعب أن أعبر لك عن حجي بردك الإيماني، يشاطرن كل من أمي وأخي صفوت. وزاد من ارتياحنا الأثاب التي وردت عن فتح أبواب السفر عنكم وهذا سيسهل من الأمر كثيراً إذ سيكون سفرنا بلا عوائق... سافرت في الأيام القريبة أن تبرقي في الموعد الذي يلائمك وأصاحبي ذورا لحصولك على تأشيرة الدخول، واقترح أن يكون سفرنا في الأسبوع الأخير من سبتمبر حيث إجازتي السنوية التي سأمدها من أهلك إلى شهرين. سأرسل لك بطاقة الطائرة التي ستحملك إلى، وستجلبني في انتظارك في المطار مع حشد من أصدقائي العرب الذين يهرون على استقبالك معي. ستحلين صعبة عريرة، وأحرص عليك قريبة مني، ابنة خالي، سنزل في فندق وليس في مكسي. مدق جميل اخترته بعيداً عن ضجيج المدينة وصخبها، غرفه تطل على بحيرة ومنزهة... ساحز لنا فيه غرفتين مستقلتين ولتلقى فيه صديقين حتى تعمق معرفتنا والمدة التي يستغرقها ذلك أنت التي ستقربنا. تطول أو تقصر، ليس هذا مهماً. فإن أعجبتك وأمنت بي وقررت أن تتخلفني زوجاً فهناك سفارتنا، معقد في أيها تشارين واختارين. بعد ذلك نغني في جولة إلى جزر تنيك هوم الدنيا وسنوات القهر التي مرت بك. بعدها نعود إلى بغداد معاً لأتعرف عائلة والدتي العراقية عن كثب، ومن هناك نطير حيث أمي وأخي - الذي يمتن الطب... في نظارنا ليحيا بنا على طريقتهما. نكث أسبوعاً بينهما قبل العودة إلى مقر عملي وإلى حباتي التي ستشاركني أيامها. فهل غطيت تعجبك يا صديقي أم أن لديك شيئاً آخر؟؟ لن



شاكر الإنباري

الطائرات

■ يتششون بسفحة الحلة مثل جوار قساسة، أحدهم مشورة بين الخوص واليه إمارته مهيمنة، مالح والمملحة، يتحركون بطه خوص البليات الدسة السيف، قد منح الصدوق المشرشية كشتم إمرأة، الحلة على الصفة والصفة تحيط بالمرمعة إياه من المروء نحو العيطاد والقرى كاسو بطوقون على ثأرها الباصحة بأباد محيلة ملقوة برمال الساطيء وشعبرات الحلفاء وحذافات سيشان النساء. يلقهم كلهم، الحنة والنهر والصبيان هواة واكد ليس له أثر على الموجودات، وبين الحين والحين كانوا يتشون زنبورا على وجوههم فيضربه واحد بطش كفه ويعدده آخر بزيادة من أصابعه بغير السرور فوق دؤبات النصف، يلق حول الحلة مرات عديدة قبل أن يبور في أنفاه الراكد متوجهاً إلى النهر، معلقاً فوق المياه الأتنية من أساك بعيدة المسافرة إلى مجاهل لم يروها، هرويه نحو الصفة التنية بشر فيهم الصرح يقفون واحد منهم وكان يسابع الرود الذي غاب في الأفق، كورته في الصفة الأخرى على الأعلى

اليه في البر بحري مرتبة حاملة معها الطفي والأسهك والفتادوع وعيدان الأجراف وجثث حيوانات طافية يملا مروورها أحاسيسهم بفصول هائل. ذلك كلب ميت. كلا، بقرة بل هو حذع شجرة غروب وحسن يكثر سبه الخدال يصبرون عن تلفظ البر لحظات نصيره ثم يسون بعده كل شيء ما أن يقتني أحسن مدفعه مع التيار بعيدا عن الحصر في فاصلة من فواصل ذلك اللفظ يتجأ صبي منهم ورفاقه

قائلاً، سابلر وأعود حالاً فأتركو، لي قليلاً من الرطب، ثم يسزلق إلى الأرض عبر سبعة طويلة تحني تحت ثقل جسمه. ينط إلى الرمال الناعمة الحارة ويتركز إلى الأرض المشوشة وينزل سرواله الداخلي الثقيل بالطين. تظهر لرفاقه مؤخرته المكورة فيضجون بالضحك، ويقول أحدهم وهو ينجي رأسه بين عذقين كبيرين، يا لها من مؤخرة سوداء، مما يثير غضب الصبي ويدفعه إلى إدارة عضوه له ليرشه بسافورة من السائل الأصفر، قطراتها تل أوراق السعف ويددان الرمل وحبيات الخشب. الفرات الصغيرة تحت رجله ترتشف المياه وتنشع باللون الأسود وتنفتح القضاء برعوة يصاص طيارة تنصبعد إلى الهواء على هيئة ردد رطب. وينسقط احمر لمصرات يرتش الجسد ملقة الافراغ وتنسوشه سيوف الشمس ويحدر إلى الضفة المساء التي نمت فيها ريكات سبها النهر أقمى عن الضفة وسوى مسطحاً وملياً أمامه وأخذ يخط بأصابعه تفاصيل بيت عزش في حياته أمانت الحفوط منه غرفتير ضيقتين للنوم وبقرة أوسع للضيوف يجاورها مطيع صغير وغرن. أحاط بيته بمرور دائري وبدأ يخرق الرمال السائلة بخصات يقطرها على الحفوط، متجاهلاً تكررات وفاة وأبائهم المشيرة إلى الضفة الأخرى. حيث تدسج من الأشام أو جسم طاف في النهر. لم يشع بمر الأغم، هي لم أوزأها إلى المياه، وغض البصر من مد - جبر - لا شفع كان مكنأ عن بيته، يبرعه - جبر - سومة بالأصابع، يمزج الأجزاء المعوجة ويشت الأسس. وكانت اليدان الحمراء تنسج مع الرمال لتفجأ بخروجها السريع من الأسس والحيطان وتفتحت الواحد عبر الكلمة.

وصل الناء إلى الواحد فقام يبحث عن عيدان صميرة يعقد بها الفتحات. صاح أحد الصبية متسائلاً، هل الماء بارد؟ كلا، أجابه ومشي إلى الجرف القريب ووجد نبتة حلفاء تأكلت جذورها فاقطع حذراً بأبسا وكسره إلى أجزاء صغيرة ثم عاد إلى البيت. وضع العيدان على الفتحات وراكم الكتل الرملية مجدداً وأوشك الناء على الانتهاء مكتسباً شكلاً مألوفاً غييه عن النهر والشمس الواجعة ورفاقه الذين نزلوا سائرين نحوه. هب ضح السرير، وهناك خزانة الملايس، وفي تلك الراوية مرارة عريضة طويلة لمعروس كي تشهد فيها ريسها، طلاء وحدها واستدرة حمدها ونسريه شرفه وحدها مروحى على الوعد بشر سدر من حبر مروحى بالورد والأوراق، ويضع الألوان لأحمر. وحتتم، افتراحتهم سرور الليمون ونسب والسرور في الناء، وذلك كي يكثر نطل وترتاح عليها الطيور البيت جاهز الآن لمسكني، فهو - فطرب جلود. قدموا أنفسهم في المياه، ليوتها تدعج جلودهم وتزبل عنها سطرارة

الشمس وغار الليف وبقياء أجنحة العرش، تجرجر بكتاتها
البستههم الداخلة تنسلخ إلى الأسفل كاشفة أعضائهم ليعيون
السماك وبجسات السراطين وديق الغرين.

تحت السطح الأملس المرتعش، تتحرك أسماك صغيرة لم
تكتمل قشورها، تتحرك بين الطليقات الكثيفة وتحقق إلى
الأعمدة اللحمية الراحة لعالم الماء بعيون مدورة لامعة تنحه
نحوها وتحوم حولها، تقترب وتصلبدهم بها، تلامس الشعيرات
الزغية وتحتسب طراوة اللحم فتتردد مدعورة نحو الأماكن
الصحلة وفي غمأ غير منظور يبحث سلطعون بأعضائه ويجاول
الاحتياض حلى حجبرته العظمية. عالم سفلي معزول لا يدرك
شيئاً عن العصابة ير والأطفال والأحسام الطائرة، عالم مكتمل
طوافه وأصدافه لا يحدد توازنه سوى أطفال ودملين غربيي
الأطوار، محكومين بفصول زائد عن الحد لاكتشاف عالمهم
الضيق. إنه يجدهم إليه فينصرون فيه لحظات قصيرة
يتناوشهم بعدها الرعب بمجساته فيفخرون إلى الأعلى مستعجلين
لظهو والمخرج من عتمة الوجود البري.

لا يعمدوا أكثر، يصبح أصددهم محمراً ويعود إلى الشاطئ،
يدخله لأخرون مثل شياطين متلاصمة، ويجمعهم الشاطئ
على رماله وقواقع، ثم يرقدون كالجواهر اللينة
الأنفاس تلاحق، زفير وشهيق، ضيق وإعياء، والظنون
تتملى الساء التي لا غور لها سرورقتها المتاصصة الخالقة من
شواذب الأرض. هناك تسكن الملائكة وترتفع إلىساف، هناك
يعيش الأجداد الذين توفوا منذ أزمان سحيقة. وإلى هناك
تصعد الأدمية، والتأوهات، الخساعات، وفي يوم
ما سيظهرون نحو ذلك الكون التالي بأجنحة من دخان وحيون
زمردية ووجوه متألقة كالدر.

وفي عمرة ذلك الانحطاف العلوي مرتق الغائرات. رعد
أرسلته السياه، وإبل من دمار نقشه عليهم الكون أصابعهم
بالدعر راحت رؤوسهم ترتطم بعضها، وتقوضت أحلامهم
ونملاتهم وترزلق كونهم الضيق الساجدين فيه. هربت الأسماك
إلى قاع النهر وارتعشت سفحات النخلة وتبارى رطبها على
الأرض دخلت الحوام والدواب مهودها الطيبة وقد روعتها
فرقة ذلك السرب الخديدي الذي عار في الأفق كادت
الطائرات بحضورها لظن أن تمحقهم عمقاً، تحوهم إلى تراب
سامع أو أشانت يأكلها السمك لم هم يعمون غشونو إلى
هذه الدرجة؟ كانوا يكترون مهطلي الرؤوس يلاحقون
سظرائهم الطائرات وهي تزجرح كلفائق عملاقة دخابها
الغليظ يفترش البحر ويهوي على أعصاب الغرقاء فظفوها وحوشاً
طلعت من العالم السفلي الذي يجيعهم بأسراره وعجائبه.
تجمعوا أكثر على بعضهم والتفت الساق بالساق وتشابكت

الأيدي وتغولوا إلى كتلة لحمية تتابع بالأم دوران تلك الآلات
الطارقة. ها هي تكبر كلما تقدمت إليهم. حوارح زجاجة
الانتساع ستلتطمهم فرداً فرداً، تأكلهم بأثنيها الحادة. أين
يحتصون وليس أمامهم سوى البحر، وليس حولهم إلا الحقول
المكتشقة لعين الوحش؟

قبل أن تكمل الطائرات رحلتها فوق الرؤوس، غيض
صبي البيت على عجل وأنزل سرواله ووجهه عضوه الصغير
غاضباً نحو الطائرات. وشها بلسان مالي تصاعد في الفضاء
برهة ثم هوى على الرمال، فشرته الجراثيم اللاصقة وقشور
السماك وبقياء السلطعونات الميتة حلق إليه رفاقه مذهشين
ولم يسفروا من مؤخرته السوداء. رأوا في عضوه الصغير أماراة
شجاعة لا تنكر. نظروا إلى عضبه وهبوا هبة واحدة إلى
ملايهم المكونة تحت النخلة، وبانضاء الطائرات وعصوة
الركود ثائية إلى الهواء، تشتت الصبية في الحقول وساد على
الأرض السكون

على الشاطئ كان ثمة سمكة صغيرة لاطية قرب
الأجرام تصيد الأضفان والديدان، رسور أصفر يحوم وحيداً
على عدوق ذببية، وعقد ليرك بيت متهاوي الجدران تبعث
أصرتة بلا ابتظلم وتغشيماته قطيما صغيرة تمكس سهارات
صافية لا حصر لها

صلاح حسن عيال

مرايا السلحفاة

■ تتقاطر البيوت على طريق ذي نهاية مغلفة، غلفة قلناً
يتحرك ببطء تحت خطواتك المرتبكة. ربما حاولت التجاوز أو
الانكساف بالنظر إلى العتبات لكسك، حبشاً، تستوقف عند
إحداهن، فتصطدم نظراتك: يساق مبتورة، مثل قنصة صفراء
محززة، ألقت على القدم البني المرتبكة من أمابهم المكتشقة
مشكلة يارتفاع كاسلهم، حطاً عمودياً وهيباً فوق عجيبة
مستقرة على قاعدة الكرسي الخشبي المقوس المساند كانت
سيقان الكرسي قد نزلت مع القدم الممتد فوق بلاط الباحة،
بمستوى البتر، دون الرصيف الذي تحول إلى سد طبيعي بعد
أن ضاقت الأزقة بمجلري المياه مفرقة الشوارع الاسفلتية
بمستقعات داكنة، كلما هبت الرياح أو اغترقت سكوبها
العريات انبثت منها رائحة حاقنة.

قد تتثير في نفسك الأصابع المستقرة على الوجه، استغشاماً





عميقاً. ماذا يحدث لو تبادلنا الأمكنة؟ تساهل، ثم تمضي تاركاً الأجوحة تتحلل في جسده المتشي إلى صراخ صامت. على سياج المنزل الصقيل نقش صقر اسمتي ذو جناحين مفتوحين، ضاعت قائمتاه في بقايا ذيله العاطس إلى التصف مع طرفي الجناحين المحبوسين داخل كتلة الرصيف. شيء ما يسحبني إلى الداخل، لكنه يحاول الإفلات.

كان التجوال هوية الرجل الميتور السابق، وقد تحول الآن إلى راصد دائم، يربق من بين «ذرفتي» الباب المفتوحين، حركة المارة وهم يتنقلون من رصيف إلى آخر على أحجار متباعدة، لعبور الشوارع الغارقة. إلى البيوت وحركة الأجساد العابرة صوراً مقلوبة على صفحة المياه الخضراء. كان لحركتها الموجبة في العمق إجابات ناقصة ومبعثرة. قالته باب مغلق استحبال لونه الأزرق الفاتح إلى بقع صدئة، استقر الرقم (١٣٣٧) بلونه الأحمر تحت طلائه الأخير. كان البيت كتيبة البيوت ارتفع شاعره وزخفت الرطوبة على جدرانه. كانت تسكنه، منذ عشر سنوات، امرأة تجاوز عمرها الثلاثين عاماً، تحمل تحت جفنيها المراجيع أحلاماً عن عودة غاليتها. أحياناً تتدارك قلبها السافر، الذي يحدقه مودة القط القاص بحث سريها، فتنظر برأسها إلى الشارع كأنه حديقته عماساً، وراء الباب، يثيب دافئة، توضح النار الهادئة داخله، يتألق وجهها المستدير، يفرسها. للتلصص عليها الماخضات أحلام حلقة ترقد في مهدها الغائر كتور. حاول أن يربب بصره إلى صفحة المياه الحائلة. توقد إحساسها، توجست شيئاً داخلها أخذ يلدغ صدرها البارز من فتحة الباب، ومقت الضفر المتحرك يهدو على صفحة المياه المتدبة بلا قناع. لملت أحلامها المتحركة، كجناحي الصقر، واتسجت.

- لا أد أن سرى سيطول.

- ليس كذلك.

- إذن، ستعود يوماً

كأنها خرجت من الماء تواء، جسداً يتزان بالعرق، وحدها في ظهيرة متقلدة. الشارع يمتد تحت أقدامها، على الطريق الضيقة. كأنها في ميناء العقل، يريمان السفن الراسية، كالمقوم، ورايات البواخر وهي تلوح كإشارات السفر. ثمة أفق بالنسبة يطمح وراءها.

- إنها تحبك.

- في السفر تحبب الأمتيات.

- الشمس تجاوزت نصف جولتها. السفن ترجح قلقة الأمواج التي علوت الفلج مع الشاطئ، تنسحب، مثل بلور، منكسرة. طير أبيض يلتقط سمكة بركة من بين غيمة

الماء. حلق بها. حركت زعانفها محاولة إخلاص انفس عليها بعد أن انفلتت، قريباً من بساط الماء اصطفاها ثانية. التفت المياه التواق للقتال بالياه الأسيرة في تجاويف الصخور. تحدثنا بلغة مضطربة، عن السفر، والملحظة التي أبعدتها أمواج الساحل، متقلبة

. كان يوم من أيام الله الدافئة. السها يغيم ضبابية متلاشية، بلا أقطار. بعد سفر طويل عبر سنين أمواجها لا تصرف المدوء أو السكينة. في فضاء القلعة حوت، يمينها والذي لم يهله معها، حبرية المحاصرة هجيات البحر نفسها، تجتمعت كلارك الملح الكروية، تحت نظراتي لشدهشة ألوان نارية حائلة وصخور حمصية، أعلام تلوح وأبواب مغلقة، شرقاً متشابكة الأرتفاعات، نبال مترددة في الأقواس. في القلب كان السر، بقعة انسحبت عنها الشمس الغائرة، بثر تسكنه الأصداء، هو السجن. قبل النزول من فضائها جلت بجناحي التمين جولتين متنايتين خائفات من سر ما سيحصل و. عليك من المدن أطرافها، ومن الناس فقرائها، ومن العبيد أبعدهم عن مسيده... تلك وصيتها تحت وسادة أحلامنا رقدت. قُيِّمت إلى بقعة لا لون لها سوى انتشارها الدامي على صفحة البحر الممتد دون نهاية. علقت عن المبروط إلى الليل خلف القلعة، نزلت. اغسلت برذاذ الأمواج الحاتية على حيطان القلعة أمت إلى صفرة مرتفعة. تركت عندها جناحي المخلصين. في الصباح قُيِّمت أبواب القلعة، ويصفى حارس دخلت أدركت سف القلعة وساحتها المقروشة بجريعات ذات لوزين متناظرين، واجهة مريضة صباب ضخم، شرفات مغلقة، ثريات كالعتاقد. كان بناؤها المدور العالي، مثل بشر، بأربعة أرواح متناظرة على أربع جهات تفصلها شرفات الطابوق المتعاعدة. ليست أحجيتي وقعت محوقي ليومين متيين، وبلا زمن تسللت إلى هديك كأنك المصرة سائحة، سميت. التصر قد حجب ضوءه بعجمة رمادية، هي الأخرى، تتحرك عندما تحاول الأرض إفساد

بعينا كان الحارس، كشاهدة القبر لذا أردتة قتيلاً بطعتين خافتين. كسرت السجن فتحت القيد عن صاحبي. ارتدى بدلة القنصل. وفي لحظة كسا فوق القعدة، أسلم صخرة الجناحين، نزل بأجليل الذي أعدته لإكمال المهمة. وقيل أن برغم الجناحين المؤتمنين، أعلن بوق الإنذار الخاص باجتياز الحدود. تحركت الأقواس. استقل الجناحين وهرب تاركاً البناك تنزل في الفراغ، كوابل من المطر..

تحدثوا، عن إصابته.. لم يسقط، ربما ألقت بعض قشة على ساحل بعيد.

- المحني؟

- جناحي مفتوحان.

- إغسلها في الريح لأجل.

- وتحت أي ظل تسكن؟

أرواح مضت وأنا أحدث قمرى الفضي، مثل طيف، عنها وعن وجعي الذي حفرته سنواتي الفساحلة، وفي يوم مشؤوم أعلن عن اختفاء رجل كان قد ترك شبهه مصلوباً على أحد الأعمدة الرخامية الخرساء. وكثيرة ما كثر من عرائض الزمائل اللواتي شغفن بالطالع، فقد أمطرن نبواتهن سياتلاً لأهية

«إنه الوحيد الذي يحضره بلا راحلة أو عاءه
- مستجملك من الأثرية.

«قال الملك،

ولأنه أيقن أنني لا أسلك السواقي العرجاء أريدني:

- أن يدخل قصري كأن غير طبع، أخرجه

كانت تلك قصته التي نقشها بخالبيه، بحروف - طلسم - لا يقرأها غير معشرنا، بني التمل. وذات يوم يش منه الملك وفلسفت حبيته، بعد أن عرف أننا نقاسمه الجوع، فابعده إلى حيث لا ندرى..

«إعلان،

خرج الرقم (١٣٣٧) من داره الواقعة في لواء البصرة/ المعقل، بتاريخ ٠٠/٠٠/٠٠. ولم يعد لحد الآن.

الأوصاف: قصير القامة، نحيف البنية، أصلع الرأس، يرتدي قميصاً سائياً وبنطلوناً رصاصياً.

«الشرطة أول من يعلم بغياهم وآخر من يعلم بمودتهم». ه. لفت نظري في الآونة الأخيرة كثرة الرسائل الواردة إليا والتي تطلب نشر إعلانات عن أشخاص مفقودين، أطفال وشباب وشيوخ، وإذا اتفتمنا ببقدان طفل فليأذا يثيب الشاب أو الشيخ؟ إن معظم الرسائل تقول: أغلب هؤلاء مصابون بمرض عقلي ولأنهم يسرحون خارج دورهم دون رقيب من عوائلهم، ويحكم أمراضهم فهم ينسون عناوين بيوتهم ولا يحسون حتى بالرغبة في العودة إلى ذويهم، وينشط التحرك

للبحث عنهم، لكن دون جدوى. أما الشرطة فلها رأي آخر في الموضوع، وكصادتها تضع الشك دائماً طريفاً للوصول إلى الحقيقة فهي ترى أن ليس كل ما يبلغ عن فقدانه صحيحاً، والأسباب الحقيقية كثيرة

- ما هي في رأيكم الدوافع الحقيقية وراء غياب المفقودين؟

قال.. تنقسم أسباب الفقدان إلى جنائية واجتماعية وبالنسبة إلى الدوافع الجنائية، تكون إما للتنطع على شخص مطلوب من قبل الشرطة لكونه جنائياً أو لاصاً أو لأي سبب آخر. وربما يكون الماربط متورطاً في جريمة فيسجل أهله دعوى بفقدها للتمويه عن جرمته. أما الأسباب الاجتماعية فتختلف حسب الجنس أو العمر..

أستول الجريدة على فخذله. مط شفته ككلب رفع فخذله متبولاً على الحائط. لم يظهر مقلوباً على صفحة المستنق القريب لوقوعه في زاوية حادة وبعيدة. ضاق يا المنزل، قلبها بدأ يرتجف بسبب الأصوات المحيية الأكلة بالشتي، مثل حلم

- يمكن أن يرأسني

قالت المرأة الفخولية، وهي تتولى كأسف على فراش مقروش بورود عطر ناعمة، هي ذيل الطاووس المطرز، مثل أروار صلب، أحدهم الشبهه بمحبات الصقر قد شوهت عطره ذاك. حركت يديه بإعده قدسيها للمرجتين، بعد أن كتب، عت مسح القهرة اندميه وذل أن يلتقي مات، مثل سمعه مفلة

- اه، لو ياني..

فتحت الباب. كان يدرك ذلك التعمش المشتمت في عينها الشبهتين بقشري بتدق. لم تنظر هذه المرة إلى الصفر. لم ينظر، هو، نحو صفحة المياه. اتكأت بيدها اليمنى على رقعها البعيد بينا اتسابت يدها الأخرى، إلى الأسفل ببرد. □



استغرقت طريقة كلامه، وعصيته غير المبهودة، صحيح
انه كتب أكثر الأحيان وتنادراً ما يتيسم ولكنه ليس قطعاً إلى هذا
الحمد.

- قلت لك أبعدني عن هذه السلاسل.
- أي سلاسل يا مصطفى؟ ما الذي جرى لك لتحذرتني
بهذه العجوبة؟ هذا بعض الشيء وراح يتوسلني هذه المرة:
- أرجوك يا فاطمة فكّي هذه السلاسل الحديدية إننا
تربصني.

كان يتكلم وكأنه مفيد فعلاً وكانت هجته جادة.
- ما هذا المزاج الثقيل يا مصطفى، أين هي السلاسل؟
- ألا تريها؟
- أنا لا أرى شيئاً.
- وهذه السلاسل الحديدية التي تقيد رجلي ومعصمي ألا
تريها؟
- كلا.

- لكننا نقيدني بإحكام صدقي يا فاطمة
- رفعت جسمه عن السرير وأسندته إلى جسمي، كان
وضعه يوحي بما يدعيه وما أن وطأت قدماه الأرض سقط
وارتطم بها، صرخت فزعاً، تجمع الجيران وحملوه إلى فراشه،
واستدعوا الطبيب وفحصه وأكد أنه لا يشكو من مرض
عظري إنهم عرضوا على طبيب نفسي لكن دون جدوى.

في اليوم التالي كنت أمل أن تتحسن حالته وينجو من
الكايبوس الذي جثم على صدره لكنه أفاق كالمجنون وهو يلوذ
لسانه في فمه والكلمات لا تكاد تخرج من بين شفتيه إلا على
شكل ععمة

أجهشت بالبكاء وكادت أصاب بالجنون وزوجي يخشع
ولعابه يسيل مع الزبد ويشير بكتنا يديه المكينتين بالقيدود
الرومية إلى فمه، لم أفهم شيئاً، أحضرت ورقة وقلماً فكتب
بخط مرتعش مرتبك:
- لقد خاطبوا فمي يا فاطمة.
- بكيت وبكيت وهو ينظر إلي كالأبله ويغمغم.

في اليوم الثالث لم يقم بأية حركة، ولم يتنوه بشيء، كان
جسده بارداً هامداً لا حياة فيه وكاد قلبي يطفر هلعاً من
صدري حين رأيت السلاسل تطوق زوجي من قمة رأسه حتى
أخص قدميه.

حاولت أن أهرب إلى حارج البيت، فوجئت بالسلاسل
تقيدني ولما حاولت أن أصرخ وجدت فمي غيباً. □



صلاح زنكنة

القيد

■ - فاطمة.. يا فاطمة
صاح زوجي من غرفة النوم وكنت في المطبخ أهيء له
فطوره.. تشاغلته عنه فصاح ثانية
- فاطمة أين أنت؟
هرعت إليه بسرعة لألقي عليه قوسجنته ممدداً ما زال في
العرائش وهو يرمقي بنظرات غريبة غاضبة، حياء مبرح وحنو:
- صاح الخبز يا..
قاطعتي بنفاد صبر:
- من الذي كلمني يا فاطمة؟
طنته مبرح فأحنته مازحة.
- الحب يا حبيبي - الحب.
صرخ بوجهي مهتاجاً.
- اللغة عليك وعمل الحب، هيا فكّي، وثانتي وأبعدني عن
هذه السلاسل.





صلاح صلاح

رحمة الحجر

■ ... وقفنا على الدكة، جراء صغيرة ميللة الجلد كانت أما العظيمة تدعونا إلى الحلم، الحلم النقي تحت سماء تمتد إلى ما لا نهاية حياتنا. حيث كنا نقف، في تصريحشة الورق التي يسلل لون، أو سقوف. كان الهواء يضرب وجوهنا ثم يمتد هو الآخر جوالاً في متاعاة الساء.

لم تكن أمتنا عظيمة فحسب، إنما أحلامها كما تشاهدنا، سناً أسطورية وألواناً دون أن نكون قادرين فعلاً على فهمها. من الدكة ومن ثراء الأرض المحيطة والمبسطة أمامنا، حديقة مليئة بأوراق اليوكالبتوس والجهنميات، كما تشاهد هارون الرشيد وزيدته ثماني عشرين عاماً أيضاً يلعبون في متعة أحلامنا التي تنتهي دائماً بمقتل الفرسان وهطول المطر ثم وجبات العشاء الأسطورية.

من هناك دعنا إلى الحلم، وكنا نلاحظ أن الريح ترفع فثور هارون وزيدته، ومثل نليف للجنة كانت قشورهم الجنية تطير بحلقة، مرتبكة لتسفر على أرضية الحديقة، وفي أعالي الشجر، ثورة الجهنميات وكياسة اليوكالبتوس وفروه الخفي كان يرحلان أيضاً ضمن اجتراء أحلامنا وتكرارية هطول المطر.

أذكر عدد المرات التي دعنا فيها إلى الحلم. أنا وأخوتي الصغار الخمسة المبشرين بعلم جديد، لأم عظيمة، فمها القرميدي اللون والذي يشبه عنائيد الكرز الأحمر، كان يمدنا عن الحلم، في ثورة الجهنميات وكياسة اليوكالبتوس، تحت الطر ويعيناها المائتان والمحلوطنان يطير أصفر كانتا تضحكنا، تهمسان في أذناهما ونضح بالصحك. في عري الجهنميات والثائفة وبسالة اليوكالبتوس العتيق، وإزاء الريح، ثم تشم حذر الطين وعطر الأوراق الناقمة

نشم أمتنا ندى الياء عن وجوهنا ونستمر ضاحكين في متاعاة الأحداث ولن يذكر أخوتي في أذناهم عدد المرات التي سحنا فيها إلى الحلم. لقد وفتشنا كما الجراء الحديثة جداً على

أحلامها، ولذا لم يعد لنا من بعد هذا فلكك، فكسا ندور غير مبالين، بيارات الهواء، وعشخشة الأوراق اللينة وأمطار آذار الغزيرة والعظيمة.

عيون أخواني الصغار كانت تستلم من الصم الأفروديتي، أغنية طويلة ويلفقاغ توسلي عن الساء التي لا تكف عن البرد. - هل أنتم تأكلون؟

- نعم يا أمتا!

- ولين صوت الملاعق؟

- إنه هنا يا أمتا. في بطوننا المفرقة.

. وضحك ملء أفواهنا الخالية الدفء وكأنا الصحك كان تموقة لجوعنا، ويردنا.

. كنا مسافرين فمعتين في ابتسامتها المفرزة وموسيقى كلامها السحري، جوالين في أثر المملكة التي كونتها بأصابعها وهالات الضباب التي تحيط وجوهنا ووجوه التاليل الملعة تذوب مثل زيبد البحار التي نسمع عنها، أو كنا نخشع من ديدان سرمد، مظهر في الأرض ثم نخرج إلى السطح شراقة حديبة

بدنها الخالية كانت تلملم بقايا أحلامنا ثم تحاول أن تهم في يدي نسي. ندره. سعي في الياء والتي تمتد إلى ما لا نهاية، وكأ شعر ليل لا يتجلى. في الكرم غريب أمام تلك الإجماعة فزناك الجلال والذات الجليدة التي تحاول أن تصنع، عشاً، من أعصان وعروق الجهنميات سقفاً بأيدي تلك الجراء. وكان لمطر عازماً وقيد في اختيار تسله، فكان يغطي أجسامنا ووجوهنا وينش من عمق حياتنا.

- هل أنتم بحاجة إلى دفء أكثر؟

- نحن لم ندأ أصلاً يا أمتا!

- وهذه النار؟!

ولم تكن تدري أن أحلامها كانت تطير بعيداً، هذه المرة مع كل ذرة مطر. وتبكي طويلاً وتصورنا أن المطر لا يبيت من الأعالي والغيوم، إنما في صمون أمتنا ومن عيون كل الوالي مثلاً

وواصلنا الصبح، مترافضين مثل كلة لحم واحدة ونسمع تسجيها الضائع مع خفيف الأوراق وبمزة الأشجار، وكأنا كانت كل جهنمياتنا وأشجار يوكالبتوسنا تنفي وطويلاً هذه المرة. ثم هرولنا أمام عينيها العاريتين ومعين خلف ظهورنا بكاءها

وحيث وقفنا (في نهاية الأشجار - عند الصب الفارغة للتاليل، تحت ساء عارية الدفء) كان هارون يعد لنا سقفاً حقيقياً وريسة تطبخ في قدر كبيرة، ويملاين قسطرات الذموع. □



عارف علوان

وحشة السيدة بالدي

ما زالت السيدة «موتة» تلهث من السلام وغنلتها جلست على الكرسي قرب السرير، أكملت بقية ما كانت تريد قوله لزوجها:

- متى تتخلص، من هذه العادة السيئة؟
وحيث شاهدت كوب الحليب قرب رأسه سألت:
- لم لم تذوق الحليب؟ السكر قليل؟

حملت الكوب وتذوقت الحليب. السكر معقول، قالت، وقربت الكوب من فم زوجها المرتعش، وبدأت تجرعه متمهلة، وهو ممدد على السرير، لا ينطق، ولا يقدر على الحركة، ينظر أمامه بعينين غارنا في وجهه بسبب الهزال الشديد، مع تلك الرعدة الخفيفة في الرأس عندما يبذل جهداً صغيراً ليشرب السوائل التي تعدها له زوجته، وهو الذي الوحيد الذي يستطيع التعلني به. والسيدة «موتة» ترعاه كل الوقت، وتحتضن إليه وهي تدور بين الغرف، كما لو أنه يشاركها الحديث. وأحياناً تلتصق من رعايتها له، لكنها في النهاية قاتعة بهذه الصبغة، لأنها لا تملك خياراً، أو لأنها تؤذي وأجها نجاه بشاياً إنسان كان يوماً ما زوجاً لها، وفي كل الأحوال فإن وجوده، رغم عجزه الكامل، يسليها، ويبعد عنها

تسبب الوحدة

الكرسي هذا اليوم. قالت السيدة «موتة» وهي تفرده الخريدة في حضنها، المملون نصفها الحمايات، عنها، أنظر ها، زيادة طرية السيارات تبغى بالمائة، لتخفيف الزحام، هل تعتقد أنهم سيخففون الزحام بهذه الطريقة؟.. ولا أنا

خطرت السيدة «بالدي» في عمر بين أشجار الصوبر، حيوية، وجهها يطفح بالبهجة، تطرح بيدها حزام كليها «توي»، بيتا الكلب يسبقها بخطوات، حيوي هو الآخر، يركض مرحاً فوق الحشائش، ثم يتحرف إلى اليسار، حيث شجيرات الغار، يجترعها عبر فتحة صغيرة إلى الجانب الأخر، ولكي يعلن لسيده عن براعته يقف ويصيح «توي» تصبح السيدة «بالدي» منبهة. وبدلاً من الانصياع يصرع الكلب نحو شجرة صوبر، يدور حولها وهو يتشمم الأرض، ثم يقف ويرفع رأسه الصغير منتظراً نداء آخر. «.. توي، تعال ها، تعال ها، تعال ها» تصبح السيدة «بالدي» فخوراً بحركات كليها، ومحدرة إياه في الوقت نفسه من التهاذي في الابتعاد، فيقدم الكلب ركنها إلى المعر الذي تسير فيه، ويدور حول ساقيها «.. توي، كن طيباً» ثم يركض، بكل سرعته الصغيرة، نحو رجل وسيدة يجلسان على مقعد في العطل، يقف أمامها، يرتعش من البهجة، ولسانه يبتدل رطياً لأعلى

- يا حيل، تعال، نادته المرأة، ثم قالت لزوجها أنظر ما أجمل خصك.

■ في الساعة العاشرة رالت السيدة «بالدي» قلم الحياطة، كعادتها كل صباح، وأجبتها نحو الباب، تحمل قلنسوا الصعير «توي»، وقبل أن تذهب، ابتدع الاندفع والروح وطهرت السيدة «موتة»، تحمل «مسواكاً خفيفاً، وتجاوز بجهد اجتياز الباب إلى الداخل. علمنا التف الجارتان، في مواجهة لا تبث على السور، وقعت الأولى رأسها بكبرياء وسرت إلى الخارج مع كليها، وألقت الثانية نظرة جانبية، فيها كل معاني عدم الارتياح، ودلفت إلى الداخل، وظلت تنتم بكلمات عامصة على امتداد الباحة، إلى أن صادفت أول جار ينزل السلم فأعلنت أمامه بأبي:

- البنية ستعفن من الحيوانات.

ثم بدأت تصعد السلام بهبط، رغم أنها تحففت كثيراً من أفعال حقتها، وفي الطابق الأول نظرت بإشمزاز إلى شقة السيدة «بالدي»، مقتنعة، دونما حاجة إلى رائحة، بأن عمونة حيوانية تبثت من هذا الباب، وفي الداخل، في شقتها، الفسيحة، قالت لزوجها، بصوت متقطع، أنها التقت في الأسفل بجارتها المتصايب وكليها، وأنها شرحت بموضوع لتجيران الإزعاج الذي يترتب على وجود الحيوانات في البنية، ثم أخرجت جريدة من السلة وتركت المسواق في المطبخ، وذهبت إلى الغرفة التي يرقد فيها زوجها.

- لم أجد مملوفاً في السوق ماذا أعمل لك؟ علمنا تعجيك أكلة ما تظن تظليها كل يوم.

- الأطفال يلقون الكلاب بعد لحظات فقط من التعرف بها، قالت السيدة «بالدي».

- هذا صحيح، ردت الجدة. كان لوالدي كلب بهجم كبير، هكذا، وضعت الجدة يدها ثلاثة أقدام عن الأرض لتوضح ارتفاعه، ثم أضافت. عندما يقضي ليلة السبت عندهم في الريف، يمر ابني الكبير أن يضمه معه في السرير، وينام معاً.



- هذا صحيح.
- وصداقتهم لا تكلف شيئاً
- معك حق.

- هل سمعت شيئاً عن زني، عن كلب تشاجر مع فتاته؟ هذا يحدث بين الناس فقط.
«التاكيد»، وافقت الجدة «وأفترحت شفتها عن ابتسامة سعيدة، بينما حينها تشاجران وكفى حينها المرتبك خلف الكرة».

- «توبي»، نادى السيدة «بالدي»، ثم قالت للجدة أرجو أن لا تكون قد أزعجتكم.
- أبداً، ردت الجدة.

- تعال هنا ولتذهب، لقد لعبت بما فيه الكفاية، طاب صاحبك يا سيدة.
- طاب صاحبك

- نهاركم سعيد، قالت السيدة «بالدي» وهي تير يدها ناحية للطفل ولأمه، ثم نادى بنوع رقيق من نفاذ الصبر. «توبي»، هلم بنا.

وكفى الكلب نحو سيده بحوية، ثم تجاوزها دون أن يتوقف، فاسترخ خلفه، سعيدة، لتواصل جولتها اليومية في الحديقة، وتبادل الأحاديث مع اللتزهين، الذي يجذب «توبي» أنظارهم، بحركاته الرشيق، وخصلة الشفراء.

لا يوجد شيء غير اعتيادي في السطابق الأول من هذه البناية، حيث تسكن السيدة «مونت» وزوجها المتعد في آخر

- حقاً قال الرجل. وأثناء ذلك وصلت السيدة «بالدي»، وهي تزيّن كليها:

- «توبي»، تعال هنا، فكافك إزعاجاً.
- بالمعكس، قالت المرأة، أصافيت. إنه طيب، اقترّب، داعية الكلب.

- هذا النوع ودود جداً، قال الرجل.
- هذا الكلب بشكل خاص، ردت السيدة «بالدي». داعية قليلاً. . . ولي يتركك بسلام، وعادت المرأة تعلق إعجابها بخصته.

- به نوع مهجن، أوضحت السيدة «بالدي». نادى في بلدنا، ذكي، ولكن يا إلهي. . . كم يحتاج إلى رعاية!
- كم عمره؟ سألت المرأة.

- خمس سنوات وشهران، قالت السيدة «بالدي»، ثم صاحبت بكليها: ««توبي»! . . لا تتعد هكذا أرجو المعذرة بسبب هذا الإزعاج».

- لا يوجد إزعاج يا سيدة، أجابت المرأة مبتسمة
- يجب أن الحق به لكي لا يقترّب من الأوساخ، طاب يومكيا

- طاب يومك، طاب يومك، قال الرجل والمرأة بصوت واحد، بينما مشى السيدة «بالدي» خلف كليها، الذي اندفع واكفأ نحو امرأة شابة كانت تشجع طفلها على كل كرة صغيرة بقدمه، بينما تقف والدتها على مبدلة، تراقب بحب وإعجاب حركات حفيدها.

- تعال هنا، صاحبت السيدة «بالدي»، وهي تلمق بدتوبي، وأمرته بحركة من يدها أن لا يتناهى.

واصل الكلب اندفاعه جذلاً، وحين بلغ الكرة تشمها، ثم دفعها بخطمه، أجفل الطفل وتراجع إلى الوراء، وراقبت الأم الشابة بحذر، ولكن دون خوف، حركات الكلب.

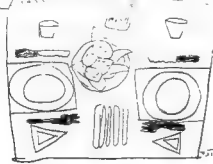
- توبي، صاحبت السيدة «بالدي» بكليها، ثم قالت للطفل بتودد، وهي تخاطب الأم الشابة بنظرها المؤكدة. لا تخف يا عزيزي، انه يود اللعب لا غير.

- لماذا تفرع؟ قالت الجدة للطفل، ثم أوضحت للسيدة «بالدي»: ليس من عادته الخوف من الكلاب

- إنه غير مؤذ يا سبتي العزيزة، قالت السيدة «بالدي» للجدة، ثم هزّت يداً خنوقاً بوجه الكلب. لقد حذرتك ألا تهاجم هكذا الأطفال فيجفلوا.

هز «توبي» ذنبه فرحاً، وعاد يتنطط وهو يتنازع وثبات الكرة عن بعد، وقالت الأم الشابة: «تعال نلعب هنا» ثم دفعت الكرة من جلبد نحو قدمي طفلها، وابتعداً قليلاً، يتهمهم «توبي»





أقرب إلى التطفل وأبعد من الكبرياء، ولكنها لم تجد ما يشجعها على... فتح الحديث، مرت بسيدة ورجل يتبادلان الحديث على مقعد... أه، إنها الزوجان أنفسهم! اللذان حدثاني عن غصلة «توبي» قبل أسبوعٍ نظرت نحوهما وابتسمت أثناء مرورهما، إلا أنها واصلت الكلام دون أن ينتبه لها، سأورت بجانب طفلة تقود دراجة، تتبعها أمها على الأقدام ثلاث خطوات إلى الخلف، ابتسمت للطفلة وقالت «سأطرد» ولكن لا الطفلة سمعت ولا الأم اهتمت

شعرت السيدة «بالدي» بضيّق، إنها تجهول وحيدة منذ ساعتين، لا أحد يلتفت إليها، تذكرت بحزن... أه يا «توبي» كنت خبيراً بفتح لزهاتي، كنت بحجة تلك الزهات، ثم يمتد إلى الطول/الأخر من الحديث، وفكرت... العودة إلى طلب الفصل

تحت إبرة عينية كانت تجلس امرأة في خمسين، تقرا في كتاب، حين امرت لسيده «بالدي» «يا السيدة عينا التي هشت لـ «توبي» مرة فرفض نحوها بظرف ثيابها ثم تحدّثنا عن ارتفاع الأسعار والعرايب... إنها أغلب الأحيان تقرا في المكان نفسه، تقدمت من المصطبة أملة أن تنظر المرأة نحوها لتبادرها بالتحية، لكن المرأة ظلت مستغرقة في القراءة، وقفت لحظة أمام المصطبة، مطمئنة إلى... أنها سترفع رأسها وترائي فتبسم حين تعرفني وتبادر هي بالترحيب» لم ينفض رأس المرأة عن الكتاب، فجلست السيدة «بالدي» على طرف المصطبة.

صباح الخير، قالت السيدة «بالدي»، وقعت المرأة رأسها، نظرت إلى السيدة «بالدي» وردت «صباح الخير» ثم عادت إلى القراءة، ظلت السيدة «بالدي» جالسة بصمت، تتربّع حركة ما من الأخرى لتجاذبها الحديث، ولكن الأخرى، في غمرة إبهالكها في القراءة، لم تشعر بوجود الأخرى.

احتت السيدة «بالدي» أن لا أحد يريد الاختلاط بها، ثم استغرقت في تفكيرها، أن لا يوجد سبب لدى الناس للتحدث إليها، وإن تلك الزهات القديمة، المتلفة بالحيرة

الرواق، ويعيش عالم النبات الشاب «ولوكين» وحيداً في أول الرواق، بعد أن تركته زوجته ورحلت قبل سنة، ثم، وبين «مورته» و«ولوكين» شقة السيدة «بالدي» وكلها. إلا أن الحادث الذي عصفت بالوسط من الطابق الأول، دون أن يستر له جناحه، هو موت «توبي» الفاجع.

لزمت السيدة «بالدي» شقتها لمدة أسبوع، حزينة، متألّفة، بعد موت «توبي»، كان حادثاً مزعجاً للغاية بالنسبة إليها، كانت متجهة نحو باب الحديقة، بعد قضاء إحدى زهراتها اليومية، وبدلاً من أن يتوقف الكلب على الرصيف، لتحملة بين ذراعها كما تفعل قبل أن تعبر به الشارع، وأصل الركض، منبهراً بحركة السيارات والساس، ومندهشاً إلى الأمام، تجذب رغبة طائشة بليلغ الرصيف القابل، حيث يقف كلب آخر مع صاحبه، في تلك اللحظة بالذات مرت سيارة بسرعة، دهست «توبي» وتركزت السيدة «بالدي» في مدخل الحديقة، متجمدة من الرعب والدهول

«أهلاً أسوأ أسبوع في حياتي؟ تساءلت السيدة «بالدي»، وهي تجلس في عمق غرفة النوم، تشاهد، دون رغبة في المشاهدة، أشجار النبات الشاب «ولوكين» يهبط أحصنه في البرانة. نعم إنه أسوأ أسبوع منذ ولدت روجي

يوم الأحد التالي، وكان يوماً دافئاً، مشمساً، قرّرت السيدة «بالدي» الخروج من عزلتها الموحشة، شعرت بحنين إلى زهات الحديقة، وبال حاجة إلى التحدث مع الناس هناك، الذين كثيراً ما كانوا يخططون بها، ويحاذبون معها شئ الأحاديث، بينما أبداً لم تصاد «توبي» مبدلين إعجابهم بحيويته وألفته وشعره الناعم.

دخلت السيدة «بالدي» الحديقة من الباب الأخرى، وشعرت، للطفلة عاقفة، أنها في جنتها من جديد، رائحة الغصن والثمار، الرطوبة اللينة من الحشائش، زهور الأقحوان البري على حواف البركة، مياه المافورة المراقصة، ولكن السيدة «بالدي» قطعت عمرات التصوير بخطى حزينة.

الحديقة مكتظة بالمتنزهين اليوم... الشمس، البعض يتشقى، البعض الآخر يجلس بصمت يستمتع بالهواء، قسم يتحدثون على المقاعد، آخرون يلعبون مع أطفالهم وكلابهم، ولكن السيدة «بالدي» لم تجد من يتحدث إليها.

جلست لحظات طويلة أمام البحيرة... ليس هناك ما يسلي في هذه الأسبوك الملونة جالت بين التهايل... إنها تبعث على الملل، شاهدت سيدة وصبيها ترفعان الكرة كل منهما باتجاه الأخرى فوق شبكة وهمية، فوقفت على مسافة



والهجة وتبادل الأحاديث مع شئ المتزهرين، وحول شئ
لوصوت، قد انتهت بوجت «توي».
نهضت وسارت واهنة نحو باب الحديقة، بدت صغيرة،
وكان السنين الحسنيين ضغطت فجأة على كاهلها فاحتتها،
وخرجت إلى الشارع، ينقل على قلبها شعور مقبض بالوحدة.

قضت السيدة «بالدي» بقية النهار في البيت، إنها تدور بين
الغرف، تكاد الوحشة تخنقها، ثم تعود لتجلس في المطبخ،
تسند رأسها إلى يدها.

كانت تنظر أحياناً إلى اليمين، فترصد نظرها بسرعة، إذ
تخيل جارتها السيدة «موتنه» ونظراتها المشحونة بالحنق
والشكوى، وتسمع أحياناً أخرى جاراها السيد «لوكين» في
مطبخه «للاصن»، فتشعر بالامتنان يمر في نفسها مثل غشاوة
سريعة، ثم تصفي للحظات طويلة إلى طليقة فتناجين
وصحون، تصل ضعيفة، عبر لوحة قديمة منقضة في الجدار
الذي يوصل بين المطبخين، أغلقت بالخشب منذ أمم بعيد.

إنه شاب رقيق، السيد «لوكين» هذا، دائماً يجيها بطريقة
لطيفة حين يقابلها على السلم، يجيها بكلمات لا أكثر من «صباح
الخير، مساء الخير» ثم يرحل إلى شفته أو إلى جاني البناية،
ولكنها لم تكن تعبر اهتماماً لهذا التلطف.

ها هي طليقة فتناجين تأتي من الجهة الأخرى، والسيدة
«بالدي» قابعة في زاوية من المطبخ... إنه شاب مهذب
أكلت لنفسها، ولكنها ترددت، مستسلمة لوضعها، وللحظة
شعرت براحة هذا الاستسلام، ثم ويجري طرق على كل
أبواب روحها، اتحت قرب الحدار، لصق الفجوة الخلق،
نقرت بأصبعها على الخشب، وأصغت، نقرت من جديد
وأصغت.

«سيد «لوكين»، وظلت تنتظر صوتاً، أو حركة.

«سيد «لوكين»، نقرت مرة أخرى، وانتظرت.

«من؟ رد السيد «لوكين» من الجانب الآخر، بصوت
متردد، خافت، قصد به أن يتجاوب مع همها.

«أنا السيدة «بالدي»... أرجو العذرة، قالت، ثم نقلت
نقل جسمها على ساقها المثنية القريبة من الجدار لتكون في
وضع أفضل.

«هل يزعجك شئ ما سيد «بالدي»؟

«لا، لا شئ، بالتاكيد، أجابت غير متأكدة.

«ما الأمر إذن؟

«لا شئ»، وسكتت، ثم أوهيها أن الصمت خيم على
جاني الجدار، فلامت نفسها إنها لم تبه كلاماً تقوله، فعلمت

تؤكد. لا شئ».

«هل أنت بخير سيدة «بالدي»؟

«نعم، أردت، فقط أردت أن أخبرك، بأن كليتي،

«توي»، قد مات.

شعرت براحة إذ ربطت ما كاد أن ينقطع.

«أنا أسف، جاء صوت «لوكين» صعيماً، مواسياً.

«هل أضايقك؟ سألت وهي تلتصق أكثر بالخشب لتجعل
صوتها ليس مثلاً على جارها.

«كلا، أجب «لوكين»، أعصاب بعد فترة. ولكن هل
عندك مشكلة؟

«أردت إخبارك لا غير.

«نعمت

«أشغلك عن عملك

«لا، قالها بصوت جازم، ثم تالتى سيدة «بالدي»..

«نعم

«لماذا لا تشترين كلاً آخر؟

«هل تعتقد بإمكان الحصول على واحد بالحيوية منها؟

«كل الكلاب حيوية

«لا، سيد «لوكين»، ليس كلها، فوق ذلك... تعودت على
«توي»، إن قلبي... كتب المرح «لوكين» منذ خمس سنوات
بميتي معي»

«إني أتفقدك» <http://Archiv>

«شكراً سيد «لوكين»، أنت شاب طيب، شكراً، طاب
مساؤك.

«طاب مساؤك.» □



ينا جميل



عبد الله طاهر

تل الذة

■ في لحظة ما، من تلك الصخرة الواقعة بين ظهرين صفيين، جلست الفتاة، من خلفها نفسها، مثل انتصيح نحاري مقلوب، متكئة على الحائط السفلي، وترتبط الدار بـ تل يعطيه الصبر ونباتات عصارية، وحلقها، فوق الرأس، بميل صئيل عن شأها باعثة مفتوحة إلى الداخل، ذات قضبان حديدية مشحورة بخشب النافذة العلوي والسفلي، وذات فتحات تسمح بدخول اليد، أو بخروج الصوت مهبها. . . وفي مساحة الدار، كانت الشمس تنسكب على معد ياردة من أمام موقع قديم الفتاة الطريتين، ثم تنكسر انكساراً عصبياً، لتعطي مساحة قديمين من الجهة اليمنى للتل، وثلاثة أرباع من أطوال النباتات، التي يراوح طولها بين ياردة وبعض منها. هيا كان المسار الذي اختطفه أشعة الشمس، هو بمثابة صورة ملقاة على الأرض، لهندسة الجزيرين العربي والسيالي من الدار وما تبقى منه، والذي لا بد من اغتياره بنور الشمس، لم يكن خاضعاً لرؤية الفتاة. . . فالتل (أقيم) في الموضع الأكثر إثارة من الدار.

الفتاة الآن متواجدة، ومكونة بضجر صفي مألوف. كانت تنتظر مصيفتها في حجرتها، وراء قضبان السافنة، وهي تستعد لمبايعتها، حيث تستصطحبها إلى (مجلس قراءة الرجال).

وفي لحظة ما، بدا كل شيء أمام الفتاة، في البداية، محضاً.

أحجار المرمر المتأكلة والمقرقة، الصخور المحروقة والقريبة إلى الصخور الترمدة، المساحات المقرقة بين النباتات الواجبة.

فهي الزاوية اليسرى للتل. ثلاث صخور كجيراب، أسندت على جذع نبات استوائي أمشي، مخطط بالبيج والأسود الفاتح. تنطق عليه نبتة ذات ساق حبيبي بشحن الأصبع، حيث تنتهي قمتها بشوكة جافة ومنحرفة، وبعد أن تلع الشوكة الباردة علواً، تلقي بأخر خرطوم لها على فرع من النبتة الاستوائية، حيث يستهل جرؤها الأخير بالتفتش، ثم الإبراق بوريقات مروحية مركبة، خضراء، فاتحة الخضرة.

كان الجمود والتشقق والإبادة الطبيعية المتناثرة، في أكثر من موضع، تسيل من الأحجار فجأة أمام الفتاة، مستحوذاً على المسارات الغائبة، المتحررة، ثم تتوقف فجأة أيضاً، حيثئذ يغور البعض منها في تربة التل، فتعيد الخليفة: كالثبات خضراء قاسية، تمتص من الهواء ثقليها، ومن الأرض استكانتها. وتختلف البشة نفسها، صخرة مصاصة بجفري الصخور. . . أو صخرتان ملتحمتان، يطمش بينهما صبير طبيعي برأس محمس كالقراوة. وكلما كان القاحل من تربة التل يربيع أرمي صدحاً غير منظم، كانت الفتاة تشعر بأن التل يهتز بهذا الزيت الناسقي اللين، لغاية شفافة ما، ليس حيلة وإلهام لجمال. بل لروح غرقت في دنوبيها، وعبر آتت الحياة مساربها فاختارت (مالكها) تلك السبل الوعرة والألا متبته، إشفاقاً وإدلالاً.

في ظل الصخرتين، ثما صير ذو أوراق مصفحة، خضراء، صاربة إلى البزقة، وميضة بمسحوق ناعم. تبدأ الأوراق ضيقة عند القاعدة (كنواياها الكثيرات والمجسطات)، ثم تعرض طفيفاً عند منتصفها، ثم بسرعة عند انتهائها، محاولة جمع أطرافها، صالعة بذلك ثلث أسطوانة إبرية. أما لتكامل، من وريقات هذا الصير، فقد انطرح على الصخور (كذاتنا المضاعفة)، فيها الوسط، ثم النهايات الشوكية، انتصبت ضرة، متحملة ثقل سمكها، (وثقل ضميرها)، لكن إحدى الوريقات المتجهات نحو مرتفع الصخور، نادت بثقلها على صير ذي وريقات تتصارع في نموها، مرتدية إحداهن الأخرى، متحاشيات الفكك والوحدة، ملتفات، ونهايات صفراء شوكية. . . كانت الوريقات: أوجه عاشر منحوتة سمعت الفتاة الضيقة تقول، وصوتها يأتي متسللاً بين الصير، متعرجاً، متجنباً سطحات الصخور، بينها هي تطف خلف قضبان السافنة:

- إلى أعجل العرق وهو يرث عن سابقك تعالي احلبي في الحجرة، تحت المروحة؟

قالت الفتاة وكأنها حصن ما.



أحيط بورق غروطي أخضر، أواسطه فاتحة، فيما استدار حولها، إلى الصف، لون أحر فريدي (هو اللون نفسه الذي يبر أعة أحلامها والطيانا القنعة)... كان ثقل الورق وكثافته وضعت حواملها، بمنعها من الانصباب... فاستلفت على الحصى المرثلي في قبولة سياحية.

بين هذا الصير، ونهاية عيط التل، غما مكعب حجري بارتفاع قدم واحد. وبينه وبين حدود الحديقة، غرست ورقة ذات أشواك متجهة إلى الأسفل. الورقة سمكية وبحجم صحن الشاي. وخلفها، توارى نصف كرة حضراء مخددة، تنتهي نهايات أحاديدها بأشواك نجمية، متشعبة، طويلة ودقيقة. وخلف المكعب الحجري: صير ككرة سلة وشيت عاورها ستوات كروية حليية، أنحت أخرى: صنية، أيقفة ومربكة.

كانت، في المسافة بين الصير المصنع والصير الحلي، نقف ثلاث سيقان متئلة، بيضاء، قطبة وشالكة... غالبة الميت، تنزع من أنفاتها أوراق لما اخضرار الماء: ورقة تمد ورقة أخرى أصلها منها، خاربة إلى البياض. البعض منها لا يزال معه، يحمل على قمته بقايا تيجان زهر وردية تطير بالتفخ.

لم يدر في حلد الفتاة، ولا ما يحيط بكونيتها من قوام حي/ليث، لها كانت سلبية وفاعلة، متفة كقرص النحل، غير دائرية بالهدوء الذي لم يزد عليها، ولا بالنظام (الملق) لهذه الساعات، والطبقات (المتعة) لتضاريس التل. أما الهدوء، المتسع والمتشتر في الدار، فهو فيض من روح (أية روح)، وشجب لشيء غفي ومتضاد، تستمد هذه الصيريات الأمانة، القاسية منه سر وجودها ودعومتها، بهاء ألوانها وتشكيلاتها.

كانت الفتاة، والتي طفق الحذر الآن يشرب إلى قدميها، متحلة، ممككة الأوصال، متلاشية في المني... نزبية في تنسها وانكائها. وإذا كانت تشمر بشيء ينشر شره وجهها كقلة المصارع، فهو لأنها: كانت يوما (مصرية)، تفتت موانع الساعات المراوعة، والبيئات الحفيفية، والتي كانت تكمن فيها كنية رباتية نادرة، وتشر نفسها كنار وثنية مقدسة.

وخرجت المضيق من حجرتها، وكانت تعلق في يدها قفصاً أسطوانياً مصنوعاً من السلك، وفي داخله يسكن قنفذ. وقالت للفتاة، وهي تنظر إلى قنفذها المحترس:

- ما زلت داتحة بهذه الليبات... ها! لقد قلت لك، لا تنظري إليها. لم يبق لك إلا أن تزري نفسك بينها ووضعت القفص على المكعب الحجري، وقالت - تعالي وانظري إلى وجهك في المرآة. إنك تبدلين مثل جووية. من الذي حطمني أنا، واطعن ماء عيني؟

- إي نست متضايقة
قالت المضيق.

- لا تنظري تثيراً إلى هذه اللعيات الماكدة! والأ وقعت في
سحرها.

وقالت أيضاً.

- لا تستغني بكلامي! فلست انت من دربة الحن ولا
من لا تسهن مساويء الزمن
ثم قالت برضى تام.

- هل يضايك صوتي... قولي الصدق!

أجابت الفتاة:

- كلا.

فقالت المضيق:

- إن المساء يهبط بسرعة فائقة الآن جئي! أليس هذا
صحيحاً؟ متى نزل الفيء! إنه شيء يجن.

- إذا سوف لن أتأخر. لقد أنهيت الجهة اليمنى من
شمري. ولكني أسألك: هل يسقط شعر كثير من رأسك حين
تسليه؟

قالت الفتاة وكأنها تلعث

- لا أبدأ.

فاكملت المضيق وهي تسي أنها تث كلياتها إلى من يصفي
لها خارج القرفة:

- أنا مبتل، المشط بالشعر، رغم أنني استعمل مشطاً خشبياً
صناته واسعة.

ومثل ريشتين عالقين في الغشاء، شُغِطت الكلمتان
الأخترتان إلى الداخل بسرعة هائلة، دون أن تحدثا أدنى صوت
لاصطدامهما جزئيات الهواء الساخنة.

حين استعادت الفتاة انصباع رغائبها المتضخمة، وشبقها
لستمر عنوة، كان الصير يمتلك لون عصف مندى وهو
ينسلق الصخسور التي لم يبد منها سوى رؤوسها للشعبة
بالرطوبة، أما الباقي، فقد اندثر بالرمول والحصى الناعم، فيما
صعد منها - متشجاً - صير ذو أطراف حليية حرة، مائجة،

وحصنت من صوتها .

- ساحبها سباح . ولو أن فعلني هذا متأخراً لكني
سأحبها مضطربة

وقالت وهي تعود إلى حجرتها مثل دجاجة :

- أبعدني عنك الكروب . حتى تتخلي من الوسواس
الذي في صدرك ، سأطلق لك هذا القنفذ حينما ترجع ، أطلي
منه . وسيعطيك مرادك .

وإذ تحرر الفتاة من سطوة وتمويجات نفسها ، تعود فتبصر
صبراً ذا ساق مينة وعمرشة كساق تيس . يجعل عد قمته ،
فريعين سفين ، يتشران انتشاراً ليس غير هادي . بيتها تمكنت
من اكتشاف سعة نالقة ، كان الفرعان قد أغفياها .

وبعداء الصبر ذي الأعمدة القطنية ، وخلف كرة السلة ،
يقف صبر : تمثال متحضر من ثلاثة أجزاء . خلف الكرة
مباشرة . إنسان مسدداً الحواف . القرب بطول قدم ومائل .



والثاني ، إلى يساره ، فخم ومبتور . كان قد تصحّم برغم من
نابته بضخامة المكسور . أما الثالث ، فقد نبت متوازياً خلف
الثاني . بيد أن احتجاجة عيشة أبلته - تجلّوزاً - مرتفعاً إلى لأعل .
بعدها ينكسر ، ثم ينمو معوقاً . كانت المسافة ، منه وحتى نهاية
النل : رملية ، محضّة ، ومنتية بحجرين وضعا بشكل منحرف
ومتواز . يتلو ذلك ارتفاع صخري غير منسق ، ويتبع هذا من
الثغرة التي صنعها التمثال . من التمثال - انحدارا إلى الأسفل
- حيث حافة الحديقة ، وحتى قبيل الدوران إلى الخلف ،
التيبكت أوراق صبر واستطالت كقرون الأيائل . وإزاء قلماً ،
صبر ذو أوراق خضراء ، وخصائية ، ذات حبات بيضاء

عظمية . خلف هذا ، تبدأ قمة النل الصخرية ، الخالصة
أجزاء من ثلاث صخورات إلى اليسار . الأولى والثانية ، بلون
بني مشرق . أما الثالثة ، فقد ظلها ما بنبت على القمة : صبر
غرس وورقة أسلمها في حضن نظيرتها . أوراق سمكية
ومنيحة كخناجر ، خضراء داكنة ومرقطة . نهاياتها مدبية . كل
ورقة بمثابة شوكة سالبة . وفي المنتصف ، ثما صبيران ثان :
كتلة خضراء طويلة ، ذات أوراق مثلية ، سكينية وشائكة .
أشواكها متغلابة ومرعبة . الأولى بارزاع ثلاثة أقدام . الثانية
خمس . بدت كورقة واحدة ، ذات تحصرات تشبي : نحو ورقة
في نهاية كل ورقة . وبين تحصر وآخر ، مسافة شبر . وفي كل
حد ، تمت وريقت أخضر ، يشوكت نبتة مائلة إلى السواد .
بهذا تكون نهاية النبتة ديموسية . . فهي الورقة الأطول ،
والأخيرة .

قالت المضيئة من الداخل :

- حتى أنتهي ، أدخلني أنت المرحاض قبل أن نخرج . ثم
أدخل أنا من بعدك

قالت المنة

- أنا لست محصورة .

فقلت المضيئة

- أظنني لست لست مجدي مرحاضاً للنساء هناك ، سوى ذلك
المرحاض ذي الساب القثب والجدران المشاكلة . لا أعلم
القاعد في أية لحظة ينهار عليه . قومي ادخلي !

ولم تسمع المضيئة ردّاً . فعاتت تقول :

- ستذكرين كلمتي هذه . وستندمين .

كانت الفتاة لا تجيز ، إن كانت الصبيرات أمامها ترتعش
مصروعة ، أم إنها هي التي شرعت تمز في شبه اغفاعة ، فإعادة
الجميع على حواسها (أي أقصى لئله للدهم . . حيث تنمو
المواجس ، وتندم الرؤية؟) ، تستغلها النباتات الصغيرة ،
وتنحدر من النل كرتل من البطريق . تتوزع نابته ، مستطرة
باتنظام في صف من الأصص ، بداية من اليسين بمحاذة
الحائط ، أسفل النافذة : صبر تقدي ، أزهرت قمته زهورات
وردية دقيقة / صبر كالخصى المقلقة ، ذو ألوان صحراوية /
صبر عصاري كعبي الأساك . ذو زهورات صفراء ، صاحبة
أعناق طويلة . ثما ثلوا مطلقاً ، فافترش ذلك كامل الأصص /
صبر عصاري كديول قسط ملققة . ذو شوكة دقيق . . رخو
وناعم / صبر كراس خض مطفح ، ولحافلات أوراقه ، ألوان
تبدأ بالوردي وتنتهي بالبيج / صبر كالقرب الأخضر / أربعة
صبيرات كأناتاسات تحتي : الواحدة تحت الأخرى ، ولونها
أخضر مسود / صبر أصبي ، ذو زهرتين كتجمي بحر ، بلون
الصوف / صبر ككية نية / صبر كحزمة من أعشاب يردي



فيصل عبدالحسن

آلة التشريح

■ دحة غصن تقع بالساحل فرحة الباب، وانفداح العربة
التشريح أصل صوف حجاب الدواليب المغلفة، المثبتة
إلى جدران البهو، وتفتح الدواليب فتظهر أول ما تظهر
الرؤوس المغلفة بفهاش أبيض، ثم تلي الرؤوس الصدور،
ويستمر تقدم الدواليب حتى نهاية الأقدام، وتحت اليد لتسحب
ورقة صفراء تتضمن تفاصيل كثيرة: الاسم، العمر،
العلامات المارقة، العمل، أسباب الوفاة، ومعلومات طبية
إضافية، وحقول عنوانات فارغة، ويعرف الباحث أنها دواليب
المجهولين، دواليب كثيرة، يمر على ما تحويه زم قبل أن يُقلب
ما فيه، لتودع بعد ذلك في مقابر المجهولين بشاهدة قبر صغيرة
يكتب عليها الاسم أو يذكر بكلمتي «دع الله» إن لم يتم لهم
التعثر على اسم له في ورقة المعلومات.

الآلة الجديدة التي نُصبت في البهو الواسع، حيث سادت
كليات المتى، والأحزمة الناقلة، وحيال الربط المطاطية،
وبالرغم من عدم وجود نافذة تنفذ من خلالها أضواء النهار إلا
أن الضوء القادم من ممر الدواليب، التي أبرت شمعات بيون
كثيرة جعل الرؤية ممكنة في البهو ويمكن تمييز سكانين فتح
الطون، أو مائسير فتح الجهاجم، أو كؤوس المطاط الشفافة
التي تنص السوائل وتندفعها إلى مجرى أنبوي، حيث تسدق
بعد ذلك داخل وعاء شفاف، فيتجمع فيه الدم والصدید وفي
الإمكان فتح قفل يدهب بجزء من السوائل إلى فتحات

منهدة، له زهر غني أبيض / صيريات عصارية بحجم أتج
مربع، ولكل صير كلاًبات السراطين المنذرة / صير كحالوب
ذائب / صير قلبها / صير كفة من خشب ومقشدة / صير
عصاري مثل رؤوس ثوم مكسدة: أكياس متفتحة، حواء،
تدوملية بالمواء، ذات سطح أحضر شفاف / صير كتلافيف
الدماغ / صير عصي، كهكل عظمي لطفل / صير كطرطور
شائك، مقلم بالأزرق والأبيض والأخضر / صير كيقطينة
مقية بالفرو، ومغطى بشوك نجمي مفزع / صير بني، له زهر
كجرار حر، أفواها أرجوانية.

سمعت الفتاة: (لقد تأخرنا) كما لو أنها تبتعث من مغارات
موت سحيفة. ثم سمعتها ثانية كما لو أنها كانت تغطس تحت
الماء. وقالت المضيفة من حجرتها كما لو أنها ما زالت تنفض
لؤلؤات الماء العالقة عن شعرها:

- لقد تأخرنا سنذهب الآن، وسنرى الجبادة المؤدية إلى
الجامع تغص بالمجاسات، هذا ذلك الممر في الوسط، الضيق
ولتصرح كطريق الأصرة، وسندرس على أنزبال العبادات
ولكن رغم هذا، فإني أعرف مكاناً لن تقرب منه أية امرأة.
مكان يتطير منه الجميع. إنها الفسحة التي بجانب حائط
(المسل). فالتساء يطش الاقتراب من مفاسل الموت. هناك
سنغمد، أنا وأنت، وحيدتين، معزولتين ورخسانا إلى الحائط.
يمكننا أن نكي، ونعش هكذا، طويلاً دون أن نأمرنا أحد
ودون أن نشير شكوك النساء. هكذا كنت أفضل في حضوري
التأخر هناك. وأرجع إلى البيت: خفيفة الجسم، هادئة، ندية
العينين والقلب. أمكث بعدها في الدار، أسبوعاً أو أسبوعين،
لا أصنع شيئاً، سوى الحديث مع هذه التي دمعت شبابه،
وحرمتي من زينة دنياي... وتقولي شيئاً فشيئاً إلى حضي. إنها
دائماً أقول، بعد عودتي من هناك: أتي سأقفي عليها، سأبوي
باحة دارى مثل بقية بيوت الناس. وأتعم المسامات والقي. .
لكي أكتب على نفسي. فأنا عاجزة حتى عن وضع سور يقيني
روزيها ومظفرها. أسطري إلى عينيك! أسطري، إنك لا
تصدّقين، لقد بدأتاً تخفركان وتضيقان.

ما فتئت الفتاة تجلس على الأريكة مثل بالوثة مرخية،
مدانة أمام نيات البراري المدارية، الذي يفخ خلف التل
منضراً كشعرة ملابس عظيمة، ولا تفقه عما تحدثت
مصيبتها. كانت تسمع الكلمات كسقطات الحجر على
الأسطح.

ودت المصيبة من باب حجرتها، ففعلته. ثم جرّت الغفل
ييدها. وحين همت الفتاة بالقيام عن الأريكة، وجذبت في
ذلك مشقة بالغة. . كان ثمة شيء يجرها إلى الأسفل، يبط
عزيمتها، ويقسد إرادتها، ويحبب لحظيم جسدها. □



الوهلة الأولى أنه يؤدي عملاً مريباً، ومن فتحة قميصه العليا تستطيع أن تلاحظ اصفرار جلد صدره وبروز عظام ففصه الصدري، ورائحة الموت التي تشمها منه كلما أتى بحركة، قال المصمد متشفاً:

«سنأتي بك في يوم من الأيام لنضفك على مناضد هذه الماكسة الجديدة!».

ضحك المتعهد، فبانت أسنانه في قمر القم منحورة ودعك ييده شعر رأسه الطليق، وأخذت أصابع الرجل الشاحب تمسك بأزرار صدرية المصمد، وقال ضاحكاً:

«سدوق ذلك مرة واحدة»

ولم يشعرأ برائحة لحم الحمام المتسخ المختلطة سرائحة لمورمانين، وروائح مطهرات أخرى، التي امتلأ بها الهوى الممرات اللطيفة بأصابع بيضاء تنصف تحت أصواء البويات. «إنها ساكنة جديدة كما ترى، تغلف كل الأجزاء بورق بوليغان وتضع علامة على كل حزمة...».

ضحك المتعهد من جديد وقال بمكر:

«يمكننا أن نتحلب قليلاً»

مع هذه الماكسة لا نستطيع!».

ضح الرجل الشاحب ذقنه، وقال:

«حافضة أوصت كل أحرأ تعليمية كثيرة هذه مرة».

فكر المصمد قليلاً، ثم قال:

«سننتظر فترة ريثاً أعرف تفاصيل عمل الماكسة الجديدة،

سنجد مخرجاً...».

في غرفة المصمد الضيقة حيث كان يُعد الشاي على سوفد هيرباني صغير، جلس الرجل الشاحب مع الصوت الذي وس داخل «الكتلة» كانت أفكار الرجل ترحل عبر الزمن، متذكرة: قلوب رجال قتلوا أثناء إطلاق النار في أعراس خطط لها أن يبقى فيها الصباح والصفوف والغناء حتى الفجر، حوادث مرور مرعبة، حالات انتحار، لشباب لم يتعدوا الثلاثين، حكايات ثأر وغسل عار، كُل لرجال ماتوا على درجيات أبواب الملاهي الليلية، أكباد رجال ماتوا بين أحضان زوجاتهم وتندتهم الدابات طويلاً، جهاز مضم كاملاً لرجل أصابته حالة عذر، انتفتت من بين قصب المردى الكليف وغارت أهدائها المعدنية صوت القلب، ورحم امرأة ولود مرقته أكف القنابات الخشنة وبانت أسنجه المفرقة، الماتلة إلى سواد بغيض. وجوه طلاب كلية الطب تدهل وهي تترى نفايات متكررة لأشكال حياة متخلعة.

قطع المصمد الصمت بسعال قصير متقطع وهو يعدد قدحيه، وقال للمتعهد: «ذهبت تلك الأيام!» ثم مسح يده

المجاري، وإلى اليمين من الوعاء بكرات الخيوط الدقيقة، التي بلون التراب، مستقرة على مساند حديدية وتعيد دق كل ما فعلته ساكنين الآلة ومناشيرها وإبرها، وبالرغم من تطور الآلة لتتوافق مع زمن المدينة إلا أن الطيب وجد أن الأجزاء تتحلل من أصول قديمة وتتطراب مع ما كان عليه طب التشريح منذ ذلك الزمن: كليات الأضراس لها مثيل، إنما تلك الأسنان المعدنية، المعقوفة، التي شحمت مفاصلها بالشحم الأصفر، كليات العلق إنما الشفاطات عليها التي تفتص السوائل بالتفريغ الهوائي، مكايي الطحال، التي يتحرف معدنها، مكونة مع



الجزء الرئيسي العنقود المرتفع، المثبت إلى منصة صلبة، وزواقات الذكر التي أخذت شكلاً متطوراً بأنابيب شفافة تحوي بقايا سوائل شفافة، تمل إلى تصلب حبيبي عند نهايات الأنابيب المطاطة، ويخرط المناخير ذلك الجزء، الملمع من الآلة، الذي يشبه خنجراً معقوفاً، له حوصلة صغيرة من الزجاج وقد رقت بأرقام صغيرة، وقال التشعير الذي يكون من فلفنتين تمسكان الشق وتقليبانه لتوضيح الأغوار البعيدة من اللحم، والجوف المخفي باعتداد الأمعاء ووصاص التثقيب ومفتاح الرحم، ومكملة الحشا، هي الأجزاء القديمة، لكنها في هذا الجهاز مرتبة بحركة توافقية لا يظهر حملها ودفعها إلا حين تعمل الآلة على جسم ميت يُلقم في تحتها الجانبية

كان متعهد الجثث يملك وجهاً شاحباً بعينين غائرتين وشفتين غليظتين مزرقتي الأطراف وأسنان مصفرة ويبدو منذ

بالأخرى، ضحك المضمد وأخذ يصب الشاي، نظر الرجل إليه يعبر راحيتين
«الدواليب!».

توقف الرجل عن ملء القدحين وقال:
«لا، لن أفعل ذلك».

عاد المتعهد يمسح يده بالأخرى وهو يرى مقدار اصفرار
جلده كفه: «أتصلق أن الأمور أصبحت أكثر صموية، كنت
في السابق أجد بين الحين والحين ميثاً لا أهل له، وبالأخص
السنين الذين يعيشون من بلاد بعيدة لزيارة المراقدة المقدسة،
ويحي، أجلمهم على هذه الأرض!».

ناولوه المضمد قذح شاي وأبقى الآخر له. أخذوا يشربان
السائل الساخن بهلوه، قال المتعهد.
«سألتني نظرة على هذه الآلة الحديدية».

«أكل شايك أولاً، وسرتى الماكينة وهي تعمل!».

فقه المضمد ضاحكاً، فقد كان يحب مائدة المتعهد ويغلق
الأبواب أمام وجهه، ببرودة أعصاب لا مثيل لها، وبعد
لحظات عصبية يفتحها أمامه بته، بكرم لا حد له

سدت الآلة مسالة وقابلية في هدوء مريب، بانتظار يد
الإنسان التي تبث فيها حياة، لتحرر هي ببلورها ثوب حياق،
بظام ودقة يعثان على الإعجاب، فحين تهيء المهيماز

الكهرباء تفتتح بوابة صغيرة تتصل بفتحة مسطحة الجثث
المبردة، فتتفتح جثة بدمعة سابض وتستقر على حزام ناقيل
مكتشف على وجهها وتقلع ببطء صوب حوض ماء صغير

مترجرج وتنطش الجثة بؤزة داخل الحوض. «المتعهد ينظر من
كوة صغيرة وهو يشعر بالسرور من دقة عمل الآلة». تظهر من
جوف الحوض رافعات تعمل بضغط الزيت وترفع الجثة خارج

ماء الحوض وبعد ذلك تنكمش الأذرع بسرعة شديدة وخلال
هذه الحركة المتكررة والمتعاقبة ينظف الماء الجسد من أوساخه،
ويتبدل الماء باستمرار بماء جديد يفيض إلى الحوض وعن بعد

يعتقد الناظر أن الحياة دبت في جسد المتوفي، وأن شخصاً في
تقدم عاقبة يمضي وقته بالرح والاستحمام في حوض الماء المثلج،
وتتوتر الحركة بزوايا مائلة، ساعداً لارتفاع القدمين إلى الأعلى

والرأس إلى الأسفل. «المتعهد يراقب الشعر المجعد الذي
يرتفع في الهواء للحفلات والماء يقطر منه، ثم وهو يسوي إلى
داخل الحوض من جديد» وفي اللحظة التالية تمتد أذرع جانبية

من الآلة وتنزع الملابس البالية عن جسد الجثة، ويعتص
غروهم اسود، واسع الفتحة، تحت تأثير هواء شاسط الملابس
الملثة، ويبقى الجثة عارية كما آتت إلى الوجود أول مرة،

وترتفع في الهواء مشيرة بلونها الأصفر الباهت وحسرتها
البليضة، المشاعر بأن ثمة حياة تتقاذفها الريح والأمواج ولا

يمكن لهذه الدمية أن تتوقف لحظة عن الطيران في الهواء
والاستقرار ثالثة في الحوض وسط تشطفي الماء. يتحرك جيب
معدي هائل إلى سكة حديدية معلقة، وعلى امتداد السكة

سرعة الجيب تتصاعد وصوت صريف عجلاته يتضاعف، وفي
مؤخرة الجيب المعدني ثمة محرك دوار يبعث شرارات نارياً،
ويبدو الجيب للعيون التي تراقبه أنه سيكتسح كل الأشياء التي

أمامه إلا أنه قرب الحشة التي استقرت في حوض الماء يتوقف
بضغط كاتع قوي، ويتفتح وتتقدم منه كلابات غرز سوداء
صغيرة وتقبض الجثة من العقبين ويأخذ الجيب بتلقفها ببطء

وهو يشير أصواتاً تشبه أصوات وحش جائع ينكب على
صحيته، وحين يستقر الرأس على مسند داخل الجيب تغلق
فتحتا الجيب ويأخذ الوعاء بالاهتزاز ميثاً وشمالاً «وهنا يعلق

الدكتور قائلاً: إنها تشبه من الماء بحنان أم رؤوم! تسع عبا
المضمد دهشة: تستمر عملية التشفيف لحظات، ثم يرتفع
الجيب ويسير على سكة أفقية، يمسس الدكتور: متبداً الآن

عقبه لتسريح الخفيفة وتظهر سكاكين صغيرة إلى الأسفل
ولأخرى مشرولة، كانت مغمدة في بيوت بلاستيكية إلى جانب
فرض دوار. تستقر الجثة بدفعة ماض صمير إلى وسط الفرض

وتبدأ سكية العزم الوسطى تنفتح شفاطولياً في الصدر، وتند
حراطيم يمس السوائل التي تلتهمها الصلبة، وتحمل الجدران
الجلدية للفرض تقطرت الدم والصفير إلى مجرى صغير إلى

جانب الفرض، فتح المتعهد عينيه وهو يرى دقة العمل
وسرعته، ورأى الأجزاء وهي تفصل وتنظف وتكس بورق
السوليقيان وتغسل الجثة الحالية من الأحشاء بالقطر والسايف

القماش البيضاء ومن ثم يعاد رفع الفتحات. عاد المضمد إلى
الغرفة الصغيرة بعد انتهاء العمل، يبين ملوثين بالدم وجد
المتعهد على الكرسي يغط في نوم قلق، ومن خارج المشرحة

تجيء صرخات نسائية مفردة، حادة، مغفطة على بقايا أصوات
وضحة آلة التشريح الجديدة. □



زياد مني



مدينة «السائلة» متواصل رحلتنا حال تحسن المنظروف الجوية. يتنمى قائد الطائرة ومساعدوه أن تقضوا أوقافاً طيبة في هذه المدينة الساحرة .

ها هو يرى نفسه في قريته، كل شيء على حاله، مثالب تركه: البسوت، الشوارع، الماء، الحقلول، الشمس الساطعة، البساتين. يتدفع إلى بيته السابق، حاملاً حقيقته، يحوط به أبوه، أمه، إخوانه، أخواته، أقاربه، مينهجين لمودته. يحمن النظر إليهم يندشش لمراهم، كأن لم لمسهم أصابع الزمن الطويل، والعالم رغو بطيء الحركة مفعم بالود والالفة، تعرف عليهم عراش الكروم في حديقة البيت الخلفية. يرمي قاسم أخيراً عنه معطفه الثقيل الذي ظل يلفف جسده فيه طويلاً، محضقاً معه يوحده: لا انتظار عمل للرسائل، لا أسفار إجبارية، لا وجوه غريبة. إنه الآن بينهم، تشده إليهم غيوط خفية، تمنحه نبضاً حيويّاً، يشعر بأنه عاد إليهم، ليملأ فراغه، ثانية بينهم

ذهب إلى حجرة دومة التي ظلت على حالها. كان التعب يسري في مفاصله، وقبل أن يستلقي في فراشه، لمس من السافنة رجلاً يمدح صوب بيته، واقفاً في طرف الشارع الآخر. فلم يلبه له، لكن قبل انسحاب، لمح رجلاً آخر، قائماً من بعيد ثم ثالثاً، قريباً. تالتى حضور الأغرب، حتى شكلوا سداً يتقدم نحو الباب اخضت الشمس وسط غيوم داكنة، فتمتد الحجرة. اغضى أقماره، وتكهمر بالشاخ بالمسبات الفاضية. ها هو يجيد نفسه وحيداً، محاطاً من كل جانب بشر تلك العيون المشوفة، تقربت إليه، يسمع وقع أقدامها. يغمزه، في تلك اللحظة، إحساس عميق، بالندم، لركوبه تلك الطائرة، لسفره، للتفكير في قضاء إجازته في بلد آخر .

اعتاد كاطم على التسكع في شارع المدينة الرئيسي كل يوم، نهائياً وليلياً، حيث تصطف على جانبيه المحلات الكبيرة والصغيرة، عارضة تماثيل من سلهمها من وراه الوجاهات الزجاجية المضادة. تآثرت انتباهه، مراراً، تلك الالفة الملتنة فوق باب حديدي مفتوح قليلاً: «معرض السلع المجلدية الحديثة: تنزيلات عملة». لكنه لم يجد حافظاً قوياً لدفع بابيه، والولوج إليه، ربما للعملة التي تمنعي انطباعاً بأن هناك عروناً ترصد العابرين من تقوب صديرة على واجهته. كان يتوقف أحياناً جنب المخازن المجاورة له، متجولاً في أروقعتها، أو يعبر الشارع إلى المحلات المتخصصة ببيع الهدايا والتحف، فيقضي فيها وقتاً طويلاً

هل هي حالة فصرل قوي أو فصرل شديد، جعلته يتدفع



لوي عبد الإله

حصار

■ مضى زمن طويل على الاسم/عبد الجليل، وهو شاهد حلياً واحداً، تقع أحداثه في قريته التي غادرها مكرهاً إلى بلدان نائية. تتغير الوجوه، والتفاصيل كل مرة في حلمه، لكن التأويل واحد. وهو موقن بأن ما يسجله في كراسته مختلف عما يراه، فكأنما تقوم أصابعه بإجراء صياغة أخرى لأحلامه العسيرة على الاسترجاع، إذ في لحظة انبثاق الحلم أمامه يكون قد هبط إلى أصم الكرى، وهو غالباً ما يصحوق زعماً بمد بلوعه حالة لا يستطيع فيها الإنلات من مصر مرعب، فيغمزه المرع أحياناً أو اللابالاء، وأحياناً تعوض المראה في معة، دون توقف. يقرر حينذاك كتابة حلمه تخلصاً من آثاره، في وقت تكون ذاكرته قد عمت مادة الحلم نفسها، فيمضي في تسجيله بالشكل الذي يقرض أنه قد جرى في عقله. وحين انتهائه من الكتابة، يكون قد تحرر من وطأة فيضته. يمنح فاسم عابرين مختلفة حلمه، يطلق على الأطلال أسماء مختلفة. إنه يسعى في كل ذلك إلى تشييع أحلامه، بتحويلها إلى كيانات مفصلة عنه كلياً.

قالت المضيفة، بارتيلك واضح، عبر مكبر الصوت: وسيداتي وسادتي، الأعزاء، ننظرُ لهاب عصار عتيف من القطب الجنوبي، متوجهاً إلى الشمال الغربي سرعته متنا ميل في الساعة، ومصحوباً بزوايا رعدية خطيرة، ننظر إلى الهبوط في



فلك الباب الرمادي الموارب ظهيرة نهار قاتظ، ليدخل إلى أحرب صالة أرها في حياته؟ غطت الجلود أرضيتها وفي الوسط انتصب أعمدة خشية، معلقة عليها حقائب وأحزمة وأحذية وسياط جلدية احتشدت على الجدران السلع الجلدية المنزوعة عن غزلان وخراف وأبقار وفمرة ودببة. ظهر إلهام سلم بثلاث درجات خشبية تنفضي إلى شرفة تحتل الجانب الأيمن من الصالة، حواشيها مسورة بدرابزون خشبي. حينما التفت وراه، وجد أن الباب قد أغلق، ووقف رجلان عملاقان على طرفه، يشدان أذرعها على صدرها، يوجهن عابسين. ففكر في الصعود إلى الشرفة لمشاهدة المتشوجات الأخرى، مؤملاً النفس بفتح الباب ثانية عند قدوم زبائن آخرين.

لم ير في تلك الشرفة أي سلع. كانت هناك طاولة عريضة من خشب الصاج الأحمر يجلس خلفها رجل في نهاية الأريمين. ووراءه علفت على الجدار بانقاص صيد وسيوف وأقواس نشاب. صوب نظرات نارية إلى كاطم، جعلت الدم يجمد في عروقه، وجعلته يوقن أنه قد ارتكب خطأ كبيراً يتجاهل ذلك المحل طويلاً. قبل أن ينطق بأي عبارة توسل، تهدف إلى استدراجه القليل من الرحمة، سمع صوتاً مدوياً في الصالة: «سماحاً هذه المرة، إذا استطعت أن نمر الصحراء وكفنا»

ها هو يجد نفسه وسط حشد من الناس يشترك في المشقة نفسها، وجوههم شاحبة، أعينهم منفلجة، لكنهم متوسون مغناطيسياً، يملو فوقهم التراب، ينز من أجسادهم المرق المزوج بالخيار. أصابه الإعياء بعد جري طويل، تحت شمس حارقة. ثباطاً قليلاً، انقلت من الجميع، اندفع صوب مجموعة بيوت منتشرة إلى يسار ذلك الدرب الواسع، فوق جرس أول منزل وصل إليه، ظهر له رجل عجوز. سأله إن كان في إمكانه استعمال هاتف بيته، فوافق الآخر. خطرت في ذهنه فكرة الاتصال بأحد أصدقائه لا بد أنه سيأتي فوراً لإنقاذه. وحينما وضع ساعة التلفون فوق قاعدتها، وانتقل إلى الشافة المظلة على الشارع، شاهد بدلاً من عربة صديقه، سيارات كثيرة تحاصر البيت، ويهبط منها رجال مسلحون، ينزخفون ببطء نحوه. هل وثى صاحب القصر به، أم صديقه؟

مقطع من مذكرات قاسم عبد الجليل البرية.

«قلت الغضا لم يقطع الركب عرضه...»

كان حدث استثنائي: عند بلوغي الأربعين، قرر أبي التدخل، لأول مرة، في شؤوني الخاصة، وهو الذي نجحت دوماً مضايقتي، مفترضاً أنني قد استلكت وعياً كافيًا يؤهلني لتحمل مسؤوليات حياتي، منذ خلعتي أول حرس لبني.

من ناحية أخرى، كان هناك دألياً، أصامي، جالساً على

الكتبة، يتابع بعبر أيوبي، خطوات حفظ أخي الصعري، لنص شعري صعب، يتأيناً، أو قاضماً من السوق بسلة الخضار واللحم، أو متكياً على مساعدة أبي في تقطيع الباذنجان إلى شرائح.

كان هناك، في متناول اليد، بدعائته المتواصلة، بمرحه الذي لا يكتو لهام الأمراض والملاهي، باستعداده لتقديم المساعدة، دون تردد، للصغير والكبير، بانفتاحه للإجابة عن أي سؤال يحطر في ذهن أحد أبنائه.

وكتت هناك، في الطرف الآخر، متجهياً حائناً، مملوياً بصخب للأحلام الكبيرة، الساعية إلى تغيير العالم نحو الأفضل! مثلاً بنصب عن سر فرح شيني، وانسيابيته الساذجة.

وحينما حملت حقيبة السفر، كان واقفاً أصامي، راسياً ابتسامة عذبة، ملوهاً حب وكبرياء: لا نصيحة أخيرة، لا طلب خاص، لا اقتراح صغير للمستقبل، لا شيء... ولم تكن الأيام الأخيرة سوى لقاءات متواصلة بالأصدقاء، دون أن تراودني الرغبة في البقاء مع ساعة واحدة، أسأله خلالها عن طفولته وراهقته، عن أبي وأمه، أسئلة تضيء لمعة ما تركه القوي من طلع زياراته إذ بعيداً عن الأعمى، لا تزال حطرت التراب تلك مقلوبة ساقاً أسرة إلى عالم الأحياء. المرق مخزون بتضمهم بعض، الكاضي الذي لم نغشه بنقص حافزاً، والمعلقة الخفية على التي أبداً بالتاريخ وتنتهي به.

لكنني كنت مغمض العينين، مشدوداً إلى أوهام كبرى، مثلهذا لانتهام مئات الكتب موضوعاتها تمتد من الاقتصاد ضرورياً بالفلسفة ووصولاً إلى علم السيرة. مشدوداً إلى اللاتمية، بدلاً من البدء بالتعرف بأصابع قدمي، التاكيد، على الأقلية، من أن عددها لا يزيد على عشر.

حاسباً أنه هناك، موجود في مكانه وسفري لن يكون إلا مؤقتاً، عاين أو ثلاثة، ثم أرجع إلى بيتي، محملاً بخبرة حياتية أوسع، برؤية أكثر شمولية، بقدرة أكبر على العطاء، والعاصفة التي اجتاحت الوطن لن تلبث أن تزول.

هكذا مملوياً بالأوهام، تركت البيت، رمت أبي ورأيت سطل ماء، نائمة كليات الدعاء مع الدفقات المنسقة على الشارع الترابي. أجنحة عملي إلى الرطوبة، لتقودني عبر طرقات جديدة، عبر شمس جديدة، عبر بحر لم أرها إلا في كتاب الأطلس، وكمن لونها بالقلم الأزرق في دفتر الواجب للزلي!

وها أبداً التي به بعد عشرة أعوام. هذه المرة سيقدم لي نصيحة ثمينة، نصيحة عملية، تحفزني لإعادة النظر في حياتي، تدفعني إلى البدء من جديد. هذه المرة أقدم نصيحته بعد



زيارات متواصلة يتحدث عن الموت والسمير والجن ومكر
وبكر ويوم الحساب، وأشياء أخرى يتوسسون بها، يطردون
عندما أنصت إليهما، ويصعب عليّ فهمهما. لا أصدق أي كلمة
يقولها. . ما إن يبن الليل وأجد نفسي مفرداً حتى تبدأ
الرساوس، فاستعيد حكاياتهن وأصدقها! حتى إن كنت عائداً
إلى البيت ذات مرة ليلاً، بعد أن أعطت أسمع مع بعض
العصية، فلم ألاحظ مغيب الشمس، وأحسست أن جنينا
يتبعني في الواقع لم ألتفت، ولم أتنب ملاحه، لأنني تأكدت من
وجوده من وقع خطواته، ونفسه الثقيل المسموع! جريت
غيولاً وأنا أصرخ نجاه ييتا، وهو يجري خلفي دون أن
يستطيع إمساكي. . والدتي حفتني حين فتحت الباب
وصارت تقرأ الآيات والأدعية المختلفة، لطرد الجن كما اعتقد،
فدعني حالاً إلى القبر. . وبدأت التبخير. حين حكيت في اليوم
التالي لجنّي وفيقة النسوة عن الجن الذي طارده، لم أفهم سر
الصحك المستعري الذي هاجمهن، مع أنهن يتحدثن كل ليلة
عن الجن!

والذي الذي يصنع القسوة والجهاشة، لم يكن كذلك، ولا
يشرّب لحداً من أطفاله النسوة، إلا ما ندر! معظم أوقانه
يقضيها خارج البيت في العمل. . غالباً ما كنت أشاهده في
بعض الأعياد مهمكاً في البيت في قراءة كتب عنيفة
معدية، يقول أن قصصه سحرت عن الدين والشرعية، والآخر
في الحد والطبخ. . مرة توقع أن تحدث ثورة في بدايا، لم
فهم كمنه، ثم سمعت أن هناك رجالاً مسلحين بمجسوس
لندن، ومن بعد من حيث انهم مصيبي انصرفت شامداً، وقد
رسقت حالاً، لذلك، حين الثورة، والآخر، ولم أغير بينها
طويلاً!

أكثرنا تواجداً في البيت كانت والدتي. أصابعها منتفخة،
وقدماها خشتان ومتشققتان. كنت أراها كثيراً تضع مرفعي
خاصاً في تلك الشقوق، وتنكي شاكية آلام الظهر. . عازية
ذلك للفيل. . والذي، حتى بعد أن أصبحت والدتي عجوزاً،
كان يسمي ذلك دهلاً. . لا يعرف أحد متى تبارى والدتي إلى
الفرش، إذ لم يشاهد أحد منا ذلك. . تبدهننا جميعاً قبل
النوم، ونصحو فحراً على صوتها، ويدها مسبحة طويلة
سوداء، تدعونا إلى الإطراء، الحار دالماً، نادراً ما تغادر البيت
في زيارات لأهلها أو للأولياء الصالحين، مضمومة بأخوالي
وخالي، وحيداً كان واثني بعد لنا طعاماً نأكل مشكوة منه
أياماً!

في المدرسة كنت أهان المدير، قبل أي واحد آخر، فألصقا
السوداء الملصقة فوق رأسه على لوحة خاصة بالمعي، ثم
المعلمين الذين يحملونها ويستخدمونها. العصا السوداء تطل

مفادته عالم الأحياء بشابة أعوام، يتقدمها في حلم قصير،
أنقله من قصاصة الورقة المزكونة فوق الكوميدو الصغير جنب
فراشي:

وشاهدت هذه الليلة حلماً غريباً. . كان أبي يعزف على
البيان عرقاً، حزناً، ساحراً، في غرفة شبه معمة. دخلت
من الباب الخلفي عليه، حاملاً معي كتاباً، فتوقف عن
العزف، فاصحاً الجال لي، لأخذ مكانه، وحينما مررت القوس
فوق أوتار البيان أتبعت أصوات متناغمة منه. نصحتني أبي
باليد أولاً، بتعلم العزف على آلة بسيطة كالبيان. . ناولني
صفحة فارغة مشدود في وسطها وتر واحد. رأيت نفسي
ماسكاً بالبيان، ساعتراز كبير، ومنزحاً، مروح على الأرض
الترابية محركاً بإثقان وترها الصلبي الوحيد. □

(١) من قصيدة مالك بن الربيع الشعبية التي يري بها نفسه وهو ينظر في
طريق عودته إلى أهله.
(٢) مدينة على الحدود السورية - العراقية

ميشم محمد علي موسى

شخصي جداً

■ أنشيط منذ طفولتي من: العميان، المشوهين ودوي
العاهات، المعاجز، الأشباح والوق. . ذلك هو الشطير والخوف
الأكبر. ييتا كان أشبه بالفقر، وأخاف البقاء فيه وحدي!
خالي سعيد، وهذا ما يقوله الآخرون، رجل رقيق وحجول
لعمامة، لكنني كنت أخافه. رجل فط وعامس سلطة غير محدودة
علي، فإن حضر إلى البيت ارتفعت وتمحول كل صحي إلى
سكنية شنيعة، أظل أعاني منها لساعات طويلة قبل أن
يفقد. . وأزحف مثل فار لجرد وجوده في البيت خشية أن
يشي أحدهم بأنعمالي! في المدرسة كنت متقدماً، ومع ذلك
محاول سعيد يحدث عن أي حجة ليوجعي صرماً. وكان يجدها
دائماً!

عمي ضاهر يباهي الجميع، ولا أعرف سر مكانته في العائلة
ويين الأقارب. الكل يتحدث عن بساتينه. له بيت كبير جداً
يجتري على حجرات كثيرة، وتقل عدداً عن ساكنتها. زوجته
الأولى تلد البنات فقط، له منها سبع أو ثمان. لا لأذكر! الثانية
تلد البنين، وله منها خمسة. الثالثة لم تلد أبداً!

جداتي وعماتي وأخوالي والمعاجز اللاتي يأتين إلى ييتا في



من يدي وسجني حارح العرفة، وجدت نفسي معه في أحد
سائتي التي رزتها مع أبي ذات يوم لم يجدني سائتي كلمة
أطلق يدي وأشار بأصبعه تجاه الأشجار كنت حينها مطر
تجاعي والثقت محو الأشجار، فهمت أنه يدعوني إلى أكل
بعض الثمار، قطفقت الإيجاص وأكلت، لا رغبة في الأكل بل
خوفاً منه.. تحول بين الأشجار وأنا أتبعه.. تعبت.. أحياناً
كنت أحيي للحاق بخطواته الرائعة. سمعت أصواتاً مبهمة
من كل صوب، فارتجفت، عاد وأخذ يدي. عند إحدى
الأشجار الكبيرة أحيي على الأرض ورفع لوحة تشبه عطاء
صندوق.. استكشف سلباً داخل الأرض، نزل السلم..
وجسرتي خلفه إلى سرداب ذي الرائحة غفافة تشبه الخيل،
فسمعت، ظهرت مجموعة من الرجال، كان بينهم خالي سعيد،
الذي لم ينظر صوبي، بل تطلع مع الآخرين إلى وجه عمي
ضاهم، فاشأر عليهم أن يسجدوا على الأرض. فسجد
الجميع. وطلب مني أن ألتجئ إلى طهورهم، فقفزت من ظهر
إلى ظهرهم. وكنت ألتجئ خالي سعيداً، فاشأر عمي أن أفر عن
طهره. ففعلت!

كيرت، مات والدي، وعميت والدي. تسروح إحوتي
والحور وعبيد العرب. بعد ذلك لحد هذه اللحظة خالي
سعيد صبح عجب.. استحي كثيراً منذ أن حصلت على
شهادتي. جميعه عرب سييسه. وشغلته ب أثناء درستي
الجامعية.. ليست ملابس عذرة وأطلقت لحيتي تيمناً بالمطلة
والشورين، وعلقت صورهم في عروفي البائسة المتساجرة في
بيت امرأة عجوز لا تكف عن رواية مغامرات شبابها الحسية
تعمدت مراراً كشف نشاطي الحزبي أمام الآخرين، رغم
سريته، فاحترت رفاقي سائر العرب والتعذيب في كل مرة
اعتقلت فيها. سجت بعد تخرجي بقليل، لسنوات عديدة
ولم يحاول أحد البحث عني! تعلمت في السجن على الخشيش،
فأسموني والخشاش الثقيل!

أعيش الآن مخموراً، أربعاً وعشرين ساعة، غالباً ما أصلي
عمل متأخر، ولا يتيقن من رائي بعد الاستطلاعات سوى ما
يكفي للخمر والدخان وزبارة أو ريارتين في الشهر لاسمارة
أرفض تسميتها عامرة، فقد كنت من أنصار المرأة منذ أيام
الحرب، ولا أزال! فأنا زبوننا الدائم.. وهي صديقتي
الوحيدة حالياً، بالمناوبة، وأحياناً عن كل شيء!

لدي مشاريع كثيرة، تتغير كل يوم.. وآخر مشروع فكرت
فيه السفر. لكني ممنوع من السفر، فقد قيل لي أن إسعي في
قائمة للمنعون منذ سنوات. كتبت رسالة لصديق، هاجر منذ
وقت طويل، طالباً مساعدته، في هذا الموضوع وأشعر
رده. □

صباح كل يوم علينا ونمحو آثار كل الجرائم: بدءاً من عدم
حفظ الدرس، وانتهاءً بالمشاكسة! صبح أمها نادراً ما هبطت
على أصابع يدي، إلا أن رؤيتها سببت لي خوفاً مزمناً من كل
ما هو أسود! معلم الدين كان أحدهم إلى تنووسه، فهو لا
يضرب أحداً، ويفسر في الصف مقلداً الطيور. وحيوس
وإيلس والملائكة، وقد علما عظمة الخالق ووجدانيته،
بوعنه الدقيق والمربع للار التي تمكن أن تكس.. والملائكة
التي تشرف على تعذيب المخاطبين. ففكرت مع كل بقية
الصبية أن نذهب إلى الجنة!

مات عمي ضاهم، فانتشر كل الأصابع والأحبار. رسيه
الأقارب، صفاراً وكباراً، في بيته، حتى ضاق! كنت ألتجئ في
الدار، فلم أسمع في حجرات الرجال سوى مبهات وأحاديث
وقسورة. يخفي دخان السجائر المنتشر كالسحب في تلك
الحجرات غلظ. أما في حجرات النساء فقد ارتفع العويل
والصرخ.. روجة هي أكثرهن ولولة، تلطم نفسها حتى
ينفخ عليها، يسحبونها من بين جميع اللاطات، ليرش وجهها
بالماء، فنصحو وتعود إلى وسط الحلية. في الفلسفة التصفت
بأبي خوفاً، وحاولت أن لا أنظر إلى جثة عمي عند تفسيه،
ومع ذلك استرقت النظر إليه مرة أو مرتين. بقيت مع بقية
الأطفال في دار عمي حين أخذوه إلى المقبرة.. صرت أنتقل
مع بقية الأطفال في حجرات الدار. في الحجرة العليا رأينا ابنة
عمي الصغرى وقريبتنا زهيراً يجعلان بعضهما بالأيادي،
ويتبادلان المس. لم يهرما، وأعطانا حلوى وقوداً. لم أهتم
شيئاً، لكني سررت!

ليلاً جمعي وكس بقية الأطفال في حجرة كبيرة، لم أستطع
النوم. كنت أطلع في الظلمة من فترة وأخرى لأتأكد من
وجود الأطفال الباقين حوي. لا أدري إن كنت قد تمت، لكن
عمي صهر نفسه هرب بيديه الكبيرتين فاستمطعت مرعوباً..
نمت لم أجد أحداً من الأطفال.. هراد رعي أحدي عمي

العلاج بالصدمة

نظرة جديدة لكتاب «الإسلام وأصول الحكم»

عبد القليل الأنصاري



حد الإمام بأن ما قاله عبد الرزاق يخالف كل ما أتى به المسلمون خلال القرون الماضية بل حتى ما قاله المستشرقون، وأنه مليء بالتناقضات الصارخة التي لا يمكن لأي منطق أن يستيعها... أنه ألف كتابه يوحى من أسبابه الانكليز المستعمرين، الذين الانكليز الموء ودفعوه إليه حتى ينشره باسمه، أو بمساعدة خاصة من طرف طه حسين أو بإيعاض من الشيطان! بذلك يكون عبد الرزاق قد وضع نفسه لا خارج الإجماع الإسلامي بحسب (كما يصعبه في عداد المرتدين، وهو شيء لا يستهان به) بل خارج أي اعتبار علمي موضوعي، لا غير بانائي أي إمكان لاعتقاده في تصور جديد للدين والعلاقة بالسياسة يرفض هذا الموقف إذا أيسر أسواع التعامل مع أطروحات علي عبد الرزاق، مركزاً على اعتبارات تهم الشكل لا المضمون، تحاول إشارة طبعون في المؤلف وظروف تأليف الكتاب دون أطروحته»

إلا أننا نجد موقفاً آخر يواجه صراحة أطروحات عبد الرزاق وجهاً لوجه، يحاول الوصول إلى الفكرة أو النقطة التي أحدثت القطيعة بين فكره والتصور السائد في المجتمع الإسلامي، وبالتالي تبين وجه الحقيقة في المسألة الكبرى التي تعرض لها، وذلك أمامة علمية تقرص الإحترام. ذلك للموقف بحده عند حسين أمس في مقالة قصيرة وبلغة في أن واحد عنوانه: «قراءة جديدة لكتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرزاق».

يسجل حسين أمين في البداية أن: «كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرزاق (١٩٨٨ - ١٩٦٦)، هو أحد الكتب النادرة التي أفلحت في أن تهر الحياة الفكرية في العالم الإسلامي خلال النصف الأول من القرن العشرين. صدر في أبريل سنة ١٩٦٥، أي قبل عام بالصعب من صدور كتاب آخر كان له نفس الدوي والأهمية

■ لقد شكلت الحركة التي تارها كتب الشيخ عبد رزاق لأسلام وأصول الحكم، خلال العشرينيات حدثاً بارزاً، طائفاً وكثراً في الساحة الفكرية لم تطورت بسرعة لتصبح مسألة كبرى طعت الحياة الفكرية العربية الإسلامية

لعل من أهم تجليات المتحفظ الذي شكلته قضية «الإسلام وأصول الحكم»، السيل الهائل من التعقيبات والتعديلات الذي انطلق عقب صدور الكتاب وتواصل بنوع من الاستمرار إلى اليوم. المتبع للأحداث لا يستع إلا أن يسجل أن عبد الرزاق أصاب، من دون شك، نقطة حساسة في التصورات السائدة، بل وتعرض لبعض البشيت التي لم يكن يجادل فيها أحد أو يفكر أحد حتى في مراجعتها، لدوجة أن العديد من عباراته أهدت مأخذ العدوان على الدين والمعتقدات حسب عبارة حاك بيرك:

لقد كانت تلك الصيغة الكبرى حاجراً أساسياً أمام تعامل عادي مع كتاب عبد الرزاق بل وأعادت محاولة فهم أطروحته وبسجة احده فيها. لقد قرأه الكثيرون وأعادوا قراءته بعد ذلك، لكن انطلاقاً من مواقف مسنة معاطمة أو متعادلة مع موقفه، ودون إغارة الإنسان لطريقة الاستدلال التي يتبعها عبد الرزاق وليعبر أهم النتائج التي توصل إليها

يذهب البعض، من خلال حالات شرسة تحاول النيل من مصداقية المؤلف والتشكيك في ملاسبات تأليف الكتاب، إلى

كتاب من المغرب

أنه كان ثمة حكومة ونظام ملكي^{١٠}.

إن هذا الاستدلال هو أهم ما جاء في كل الردود التي صدرت على كتاب علي عبد الرزاق، وعلى رأسها تلك التي نشرها فقهاء ومفكرون مرسوقون مثل الشيخ الخضر حسين وعبد بخت المطيعي ورشيد رضا وغيرهم. إلا أن الفرق كبير بين مواقف هؤلاء وموقف حسين أمين، إذ يعتبر المدافعون عن التصورات السائدة أن الآيات المدنية قد نسخت الآيات الملكية وألغت مقتضياتها وأرست بشكل نهائي الصورة الحقيقية والمثل لما تنطوي عليه المبادئ الإسلامية الأساسية. هذا ما يشير إليه حسين أمين حين يورد مقولات بعض أهم الفقهاء والمفسرين مثل السيوطي والأسقراني وابن العربي^{١١}. تظهر الأمور، وفق هذه التصورات، وكأن الفترة الملكية كانت فترة مؤقتة إعدادية، وأن ما جاء فيها يرتبط بظروف الدعوة ونشوتها وبعائثها اضطراب الرسول (ص) إلى الدعوة بالتي هي أحسن ولست عليهم بمسيطر إلى أن جاءت ظروف أخرى مكنت من لغز النظام الإسلامي بحذافيره وكل ما تقتضيه مبادئ الدين الجديد. هناك إذن لدى الفقهاء والمفسرين تصور لا يقلل من شأنه، ولا شك محمود، في أن ما يليه ويرفع كل ما يترتب عليه

حسين أمين نفس، عندما عن ملاحظات بعضها، إلى نتائج مختلفة أشد مما يكون الإجماع، يقول:

«كل ما هناك (وهو ما يخطط البعض فيتمهم تناقضاً، هو حدوث تطور في الظروف والمجتمعات التي نزلت في خلالها الآيات، وفي طليعة الدعوة والرسالة، وفي وضع الهي عليه السلام بعد الهجرة إلى المدينة»^{١٢}.

يركز حسين أمين بالتالي على النقطة التي وقعت خلال الدعوة بين الفترة الملكية والفترة المدنية، مشيراً إلى أن الفهم الحقيقي لهذه النقطة غير متوافر عند عامة المسلمين ولا يتدرج ضمن التصور السائد:

«الشيخ علي عبد الرزاق عجز، أو هو تغافل، عن أخذ مفهوم تطور الدعوة النبوية في الحسبان. فإنه كان عجزاً تشاركه فيه الأكثرية من أئمة المسلمين، بما طبع توارثوه يحول دون تقبلهم لفكرة التطور... [أو خشية من أن يؤدي القول بتطور الدعوة إلى إنكار المصدر الإلهي للفرز، وهي خشية لا أعرف ما هو أدنى منها إلى السخرية]، أو لسبب لا ذنب لهم فيه، وهو عدم ترتيب السور والآيات في المصاحف بين آياتها وفق تاريخ النزول...»^{١٣}.

إلا أنه يشارك بذلك متقدمي علي عبد الرزاق في أهم اعتراض لم أي كون الشيخ علي كان انتقائياً وأنه في استدلاله على مصادر تربط مرحلة محدودة في تاريخ الرسالة، ولو أن مفهوم التطور الذي يوظفه لا يوجد عند أغلب

والثاني، وهو كتاب «في الشعر الجاهلي» لطف حسين (أبريل ١٩٦٦). وقد كان في تناقض صدهو دلالته على خصب الفكر لصري وجويته في الثلث الأول من هذا القرن، وعلى ما كان يمكن أن تكون عليه ثمار هذه النهضة وهذا الإحياء العلمي الخالص لو كان قادر لها أن يزدهر.

كما يتحسر على

ومدى الحسارة وقتل المواهب اللذين تحملها ولا يزال يتحملها الفكر الإسلامي بسبب إرهاب أناس لا ينتجون ولا يبرهن أن ينتج الناس؛ لا يفكرون ولا يطبقون أن يبرهن غيرهم يفكرون، قد أراحهم قفل باب الإجهاد من مهمة إرهاب الذهن، فإن أرقهم غيرهم ذهنة أرقهوه وكروهه وحاربوه وأسكتوه.

يرجع حسين أمين بعد ذلك إلى الظروف التي صدر الكتاب خلالها، فيذكر بالأحداث الجسيمة التي عاشتها الشعوب الإسلامية آنذاك، أي إلغاء الخلافة في تركيا سنة ١٩٢٤ واتجاه بعض الأوساط إلى محاولة إحيائها وبرز أطراف في بعض الأوساط السياسية للاستحواذ عليها والاستفادة من الغلبة التي تتمتع بها لدى عامة المسلمين. يؤكد أمين بعد ذلك أن:

«الكتاب رغم أنه يسند في صورة البحث العلمي الخالص، كان وراءه عرص عمي محمد، هو أحبوبة دون نصيب خليفة للمسلمين»^{١٤}. وهو هدف نفس مشروع غير أنه، كما يهدف صلي مقصود لذاته، بهجته لأن يعمل بالثأل العالم إلى انتقاد الصحيح التي تخدع غرضه دون سواها، وتدعم دعواه دون التي تضعف منها»^{١٥}.

يعرض حسين أمين بذلك بدقة وأمانة أهم وأكبر اعتراض على أطروحات علي عبد الرزاق فيوضح أن المصادر التي اعتمد عليها في إبراز التناقض بين النبوة والملك ترتبط بفترة معينة وظروف خاصة من تطور الرسالة النبوية (أي الفترة الملكية) وأن المصادر الأخرى، المرتبطة بالفترة المدنية، تؤدي إلى نتائج معاكسة على وتفترض بالذات التصور الذي حاول عبد الرزاق تنفيه، أي كون الرسول قد جمع بين النبوة والملك. يرد أمين بالتام الآيات القرآنية التي أوردها عبد الرزاق ويبنه إلى كونها كلها آيات ملكية، ثم يرد بالمقابل آيات أخرى تؤدي إلى النقي للغاير وكلها آيات مدنية ليصل إلى النتيجة وهي لمشكلة الأساسية فيقول:

«المشكلة إذن هي مشكلة التوفيق بين مجموعة الآيات التي استدل بها علي عبد الرزاق لإثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع بين الرسالة والملك، وأن الله لم يكلفه بغير البلاغ، ولم يكن له أن يجعل الناس على ما جاء به، ويؤيد مجموعة الآيات المدنية التي استندنا نحن إليها في تدليلنا على

نتيجة كبرى
حاشية
شبهه أكتتب



قراءة اليوم لنص الأسر

يضع المسلمون بين الحكم النوي وأنظمة الحكم التي تلته
 حلول إظهار اعتبارية ذلك الربط وخطورته على العقائد
 الإسلامية الأساسية. لم يكن حقنه أن يعرف بما جرى في
 الواقع، بل أن مهم حقيقته الشغلات التي تعرضها الماداة
 الإسلامية الإشكالية لي تعرض لها إذا، إشكالية دينية
 ومسطقة قبل أن تكون تاريخية، رغم أنه سوف يعرف
 التاريخ للبرهنة على افتكاده لم يتاكد لا بسرد التاريخ
 بل إلى أي نوع من التناهي.

وإذا نظرنا إلى الأمور من قريب، فسرى أن عبد الرزاق لا يفتي بوجود حكم شرعي في الملبئة التورية. هو يقر بوجود ذلك الحكم ويؤكد في الوقت نفسه على طابعه الاستثنائي، على كونه مختلفاً أثناء الاختلاف عن حكم البشر، سواء أكانوا مسلمين أم مشركين. ما خلفه، وأشدن، عبد الرزاق أن يبراهن ذلك التصور الذي استقر في الأذهان بين بعض خلفائه الرسول وكل إمام حول إمكان خلافة الرسول أو الاستمرار بشكل من الأشكال في نوع الحكم الذي مارسه. يريد قطع هذه الزهوية والتوضيحية المربكة التي وضعها المسلمون بين حكم الرسول والخلافة ثم بين خلافة السلطنة والتي أدت إلى إعطاء المقادير على حكم البشر وليس في الوقت بوجود «حكم إسلامي» يحد اختصاصه وتحقيقه انطلاقاً من غمرة الرسول، حياءً بعده، وبذلك من اتجاهاً لبعض الفقهاء.

لقد اتته إليه - حوراني - إلى هذه النقطة بلذات وإلى
أعنيها القصوى، حيث أشار إلى أن أهم ما أتى به عبد الرزاق
هو نظريته في طبيعة النبوة التي عرضها في سياق ذلك التصور
لمخطبات الرسالة وتوحيده العلاقات بين الرسول والمؤمن والتي
تغطي للرسول سلطات وحكمًا أكبر وأوسع من سلطات وحكم
الملوك. كل ذلك يجعل من ذلك الحكم ظاهرة استثنائية
وهي لا يمكن عاكسها أو الاستمرار فيها أو إعادة إنتاجها
بشكل أو آخر، خاصة أن عمدها عليه السلام كان خاتم
الأنبياء

الأسباب

لقد أراد عبد الرزاق إبراز تلك الفقرة التي لا يراها معظم المسلمون بين حكم الرسول (ص) وحكم البشر واستعمل لذلك مفاهيم البوة والمثك. فضايل: هل كان الرسول ملكاً؟ وأيضاً في كل من الرسالة والمثك معاني مطلقة ومتعارضة إطلاقاً، وقد أدى ذلك به إلى تجاهل الفقرة من ظروف الدعوة في الفترة الملكية وعارسة النبي في المدينة، التي يراها ويعبها (ولو لم يقبلوا التفسير التطوري لها) معظم المثقبي السليمان. أراد صرف الإشادة عن قلعة كسرية وتوجيهه لنقد أساسه، أي تجاهلها إلى سرور أرواح محدثين تنحصر في حصر

المتطرفين المسلمين. وبذلك فهو لا يرى في نظرتنا النقطة الأساسية التي عمل عبد الرزاق على إسراها والتي دفعه إلى تجاهل بعض مظاهر الدولة والحكم المدني أو التقليل من أهميتها، بل، على الأصح، إلى إعطائها تأويلاً معيَّناً.

لقد رشح في التصورات السائدة أن أهم «فتلة» في التاريخ الإسلامي كانت هي السبب في انسداد «الفتنة الكبرى» وأفضت إلى الإنقراض من حكم الراشدين إلى نوع الحكم الذي شدته معاوية بن أبي سفيان لما فرض نظاماً ملكياً وراثياً. إن الوعي الإسلامي، ولو لم يبقل بالتطور وفق الفهم الذي يبني فيه حسين أبناي إبراهيم، يتركز في الرؤى للسل في الفصل بين الفردية بين اثنين: الأول يجمع حكم الراشدين وحكم الخلفاء الراشدين في نظام واحد للحكم، يتمتع بمشروعية مطلقة. تجدد أساسها في الوعي والسنة والتفردة الحقة. أما الثاني فينطلق مع معاوية ويستمر، رغم بعض الإنفراجات المحدودة، إلى اليوم، حيث تتركز ركبته إلى أعلى لإحكام القوة واضطرار المسلمين إلى القبول به. - كقول، إذا اعتصنا بالتصميم المعاصرة، إن الظلم الأول كان شرعياً والثاني غير شرعي وإن التطور الذي حدث بعد معاوية أخرج الحماة من إطار المعيار (أو بالأحرى من إطار المبادئ الأساسية التي قامت عليها الجماعة) وأدخلها في إطار الإستثناء، «حكم الواقع أو حكم الضرورة». لا أن السبب الإسلامي، كما ينبغي أن يكون، في التطور خلال الدعوة يعني مع ذلك نوعاً من التراجع عن الغلظة التي يصبغها بها «حالة ترشيد» ويضعه بمساحة فضفي تدريجياً بعض من هذه خلفه، لترشيد وبسرعة حكمهم من خلفاء التسلط ويصل بالتالي، بمساعدة بعض كبار المنظرين مثل الغزالي وابن خلدون، إلى إضفاء الشرعية الإسلامية على أي حكم ادعى أنه يعمل من أجل تطبيق الشريعة وإلى ربط تطبيق الشريعة بوجود نظام من ذلك النوع، سواء ادعى أنه إيماني المباشر أو أنه يعد العدة لرجوعها (أو لأرجوعها) إلى الحضيض عند الشيعة). هكذا فإن الخلافة الراشدية ثم إلى كل أنواع السلط السلطاني وتلصق في النهاية الصبغة الدينية بأي حكم نجح في إرضاع المسلمين - وادعى أنه يسير بهدي الإسلام. - هذا هو أهم ما بروز في النظرية الخلدونية وأهم ما تعرض له عبد الرزاق من خلال مناقشة دقيقة لأراء الفقهاء المتأخرين التي وجدت في تلك النظرة أهم تمعنا.

هذا الناصب هو ما أراد عبد الرزاق أن يقاومه. لم يتناول عبد الرزاق مسألة الخلافة من وجهة تاريخية ولم يدع أنه حاول وصف الطريقة التي نمت بها التحولات أو التطورات التي جرت في عهد الرسول. لقد تعرض أساساً إلى الربط الذي

هـ في تاريخ المسلمين. أراد أن يشير إلى ذلك الإمام المخفي الذي ينتظره المسلمون الستة أكثر مما انتظرت الشيعة عودة إمامها الثاني عشر، وإلى الآثار الأشد وطأة التي يمكن أن تحدثها محاولة إحصاءه بالفوة.

ولعل أهم تطور تاريخي تجدر الإشارة إليه اليوم، بعد كتاب عبد الرزاق، ليس هو النقلة بين فترة مكة وفترة المدينة، بل ذلك التطور الذي جعل الإنسانية تنتقل من تصور بنيي على إمكان الحكم الديني، أو على إمكان تحقيق المبادئ الدينية السامية بواسطة ذلك النوع من أنظمة الحكم الذي يتوسل للدين وأوامره، إلى تصور يجعل استحالة ذلك النوع من الحكم أو عدم إمكان الوصول إلى الأهداف المرجوة بواسطة إنه الوعي الجديد بأن أفضل طريق لتحقيق المبادئ الإسلامية السامية هو الديمقراطية الحقيقية وأن تحقيق نظام «إسلامي» وهم أرق وفتن المسلمين قروياً عديدة، ويرى كان من أهم أسباب انحطاطهم وعدم استفادتهم من الظروف الترويجية ومن التزامك العلني المائل الذي أحدثوه ليتنجوا منة بوعبة في تعامل الإنسان مع محيطه الطبيعي والاجتماعي. وإن هذا الوهم قد يشكل أهم عقبة أمام بروز أنظمة ديمقراطية تحترم حقوق الإنسان وتضع أمام المسلمين أبواب التطور التاريخي ودخولهم في عصرهم ومشاركتهم في النقلة الإيجابية المعينة وانتصبة التي تحتاج الإنسانية اليوم.

هناك أيضاً انتقاد ضمني آخر يوجهه حسين الميمني إلى عبد الرزاق، هو المواجهة بنوع من الأرقام، أو كما يقول لبيب، بعلية الهدف العملي على العمل العرفي الذي في تناول عبد الرزاق. هنا يحق التساؤل: هل كان الهدف العملي هو الأساس في عمل عبد الرزاق؟ بلا شك إن ظروف سنة ١٩٢٤، بعد إلغاء الخلافة في تركيا، قد أدت إلى طرح مشكلة السياسة في الإسلام من جديد. وربما دفعت تحركات الملك في مصر وبعض الأزهريين إلى إفشاء أخطار التوجهات أو الإحياتيات التي كانت تطيح ودفعت عبد الرزاق إلى الإسراع في نشر الكتاب. كان هناك نقاش وصوار عام بدليل جواب عبد الرزاق على مقالات رشيد رضا وعلى كتاب المجلس الوطني التركي الذي ترجمه عبد الغني سي، مع أنها نشرت قبل كتابه بأشهر فقط. إلا أن تناول عبد الرزاق عاد بالمسألة إلى الإشكالية الأصلية، إلى أعلى مستوى يمكن وبذلك لم يكن في الواقع تناولاً ظرفياً. لم يهاجم الخلافة انطلاقاً من مواقف سياسية أدبية، من احتياز مثلاً، إلى أفكار الليبرالية أو الديمقراطية الغربية، مثلاً فلع مصطفى أتاتورك وأناصر العلمانية آنذاك لم يهاجم عبد الرزاق النظام الإسلامي انطلاقاً من تعصبل نظام آخر، بل طرح مشكل الخلافة والحكم من منظور إسلامي وبفهمهم إسلامية. كانت المسألة وعودتها إلى الساحة.

فرصة للعودة إلى الإشكالية الأم وطرح أسئلة أقرت فكر المسلمين لقرون عديدة. كانت مناسبة لمساءلة تصورات توسخت في أفكار المسلمين وأصبحت بمثابة يداهات لا يمكن حتى إشارة التفكير حوسوها، وأدعت في نطاق المتفكرات الإسلامية التي لا يجوز أن يجادل فيها أحد. هذا هو وجه الحدة في تناول عبد الرزاق للمسألة والذي أحدث الرجاء الكبير في الفكر الإسلامي الحديث.

هناك دليل آخر أن تناول عبد الرزاق لم يكن ظرفياً أو أدبياً. من ناحية الشكل نرى أنه حاول تقديم برهنة محكمة، تعتمد على دراسة منطقية دقيقة لمختلف المواقف وكل ما يرتب على كل واحد منها. لقد أخذ كل الافتراضات التي يبت عليها نموذج الحكم الإسلامي، وأخصها، مع كل ما يرتب عليها، لفحص منطقي مفصل ليظهر التناقضات التي تغلوي عليها وغائفتها لأهم المبادئ الإسلامية.

لقد ناقش عبد الرزاق بالمخصوص آراء المفكرين المسلمين المتأخرين ابن خلدون ورفاعة الطهطاوي ورشيد رضا، ولم يجد خصوصه بدءاً، في مواجهة أفكاره، من الرجوع إلى أفكار المسلمين الأولين الذين وكروا القطيعة بين الحكم الإسلامي الشرعي (الواشدي) والحكم اللامشري الذي تلاه.

واجبه عبد الرزاق واقع الحكم في الحاضر وأخذ بعين الاعتبار التطور والتراكم الذي أدى إلى الانسلاخ عن الحكم الإسلامي الأولين الذي توصلت إليه التطور لدى الجماهير (والتي تعتبر هي أواب من مشكلة ما قبل يومين خلدون والطهطاوي ورضا)، أما خصومه فارادوا الرجوع إلى الوراء، إلى القطيعة بين النموذج الإسلامي «القي» الذي مثله حكم الراشدين وبقي عالقاً بأنغام المسلمين كحلم قصير استحالة تحقيقه من جديد، وواجه النظام للقرون التي تلت والتي تستمر إلى الآن، على أنها تكفي لتبرئة الإسلام من قرون الظلمين الذي تم باسمه وللانستلال على وجود نموذج إسلامي طاهر وصالح للإستعمال، من دون الإتيان أن هو وهم رجوع الإسلام أو رجوع الخلافة الراشدة هو أهم الأسس التي اعتمدت عليها أنظمة الحكم المستبدة باسم الدين، لتبرير ممارساتها وحمل المسلمين على الإنظار إلى ما لا نهاية.

وفي الأخير برهن عبد الرزاق، انطلاقاً من المساندة الإسلامية السامية ومن امتحان منطقي دقيق لكل ما حاول البعثر استنتاجه من تلك المبادئ، أنه:

«لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها، وأن يمدوا ذلك النظام العتيق الذي دلوا له واستكانوا إليه، وأن يبنوا قواعد ملكهم، ونظام حكومتهم، على أحدث ما أنتجت العقول البشرية، وأنشأ ما دلت تجارب الأمم على أنه غير أصول الحكم» □

BEROLÉ Jacques (١٢)
L'Egypte islamique et
révolution Paris Gallie
marc 1967 PP 371 376
(٢٤) أسير، حبس قسراً

جمعية لكتاب والإسلام
وأصول الحكم، صغر كتاب
حصول الدعوة إلى تطبيق
الشرعة الإسلامية ودراسات
إسلامية أخرى، القاهرة،
مكتبة مدبولي، ١٩٨٧

(٣٢) جمع محمد عبادة تلك
الأحده وربها في سلسل مشير
فحص مسلمات شرها في
جريدة «الحياة» ما بين ١٤
و٢١ أكتوبر ١٩٩٣

حاول يرصد بعض التصورات
التي يعتمد عليها عبد عبادة
وبعض التصورات التي بسود
قربها صغها هو أب تشكي
حائلق ثابت، وذلك في ملك
شرت في جبريم (مسلمون)
أفاق، جريدة الحياة ١٢ و١٩

كانسول الأول ديسمبر
١٩٩٣
(٤) شر صغ كتاب دخول
الدعوة إلى تطبيق الشرع
الإسلامية ودراسات إسلامية
أخرى، القاهرة، مكتبة
عبدوي، ١٩٨٧

(٥) المصدر نفسه، ص
٢٧٩
(٦) المصدر نفسه، ص
٢٨٠
(٧) المصدر نفسه، ص
٢٨٥
(٨) المصدر نفسه، ص
٢٩٠
(٩) المصدر نفسه، ص
٢٨٦
(١٠) المصدر نفسه، ص
٢٩١

Houtani Albert (١١)
Arabic thought in the
Liberal Age 1796-1939
Cambridge
University press 1963 P
189

(١٢) عبد الرزاق، صغ
الإسلام وأصول الحكم
الكتاب الثالث، الفصل
الثلث، ١٢، القاهرة
١٩٢٥

(١٣) عبد الرزاق، صغ
الإسلام وأصول الحكم
الكتاب الثالث، الفصل
الثلث، ١٢، القاهرة
١٩٢٥

(١٤) عبد الرزاق، صغ
الإسلام وأصول الحكم
الكتاب الثالث، الفصل
الثلث، ١٢، القاهرة
١٩٢٥

(١٥) عبد الرزاق، صغ
الإسلام وأصول الحكم
الكتاب الثالث، الفصل
الثلث، ١٢، القاهرة
١٩٢٥

ظلال تقبض أكرة الغياب

ادريس عيسى

الموج

حُشَّها إذن كُلُّها
حُشَّ المرأة وسربها الذي يتبعه قرن من الغبار
حش معها الدين
أصق؟ بركبتها الصقيلة كدرع الملك كل ما يحتاج
يداعمة
القصة: مخلوقات لغتك، ولغتك، وحدودها
لتحزينة،
والهري الموحش في روحك؛ ذلك
القصي الذي لا يدركه غيرُ الطفل بطوقٍ ولقاحات
لا تدبيل.

دعها كما لم تنشر امرأة أنوثتها
تدخل حالة الموجة في الموج
فأنت موجة أخرى
أنت، إن تذهب إلى وفرة، تذهب إليها
بأثرانٍ باهر كشجرة جوز هندي تسدل لتملك
البحر

حش المرأة وسربها الوافر
حش معها الليل، حباتك الكونية التي تصيد بها
سريرة الأرض
وتصيد بها المجرات



الحُمير

■ ما من ناي جريء ليصف المشهد وكلاه
غير حنجرة الحُمير في الأثرجة المهمة
كأن هذا الطائر وحده كفيل الصباح
كأنه وارثٌ يلد بمرح نصيبه
زائراً بالخصى المعني كلب الندم.

1101 ادريس عيسى الصادر
بجساسة - يوسف الحسان
للمشعر - 1989 عن ديوانه
- امرأة من قصي الريح -



سبقى دائماً، كحقل يلتفت إلى زيتته الأخيرة في
الصيف،

نديم قلقك، مقبلاً في احتفال الآخر،
باحثاً عن الخلود من أجل يؤكد العتبات
ولك فِراسة الصقارين.

كخطاف مصلوب
ومدح الحناجر التي تمتدح الغابات الألي.

مرة في الشمس، باسطاً ذراعيه،
القي لنفسه ظل فم فوق ماء. رقص دائراً عل
محور خفي.

الوردة

انفطرت البتلات برنين مسموع في عراء الصوت
والأوراق تهبّت لخشخشة
عادلة في أول الذهب البُخس
وحدها الساق بقيت
ثابتة في الماء الأسير في المزهرة
تخشش بأشواكها الحية حوير الُهرمة.

بائع الطيور

عزم عل أن يتعلم منطق الطير
منذ لم يعد يصدق كلامه أحد
كان قد هيا لنفسه كرسياً أبدياً في شرفة وسواسه
ليشرب شايه الطويل.

كان يقول لنفسه: «لا تمتم، إنهم يميلون
وما من أحد يأتيك بتأويل النجمة.
أهم رأى سيفاذ الأيام؟ أهم كور في كفه الغبغة
كندقة الصوف؟
وأهم يصرف سر الطوق الالهي المحبوك عل
الأعناق؟».

كان يراهم يعبرون بنواعرهم أرجاء النهار
مكبين عل الوجوه كأنما رقابهم موشوقة بكرات
جديد.

هادرين بما يجعل المصبات أبأس مداخل البحر
يفضحك من الأعرج الذي يجر العربة وعليها
السدان المقدود من سكة الحديد
ويضحك من الحلاق الذي يطيل فحولته بشارب

البركان

دائماً

عكر الشكة

شبكة الظل

ظل شجرة «البواب» في حرور ساقانا مدارية
تقف المرأة بشاسعتها وجناحيها الأكيدين
وفنتها التي مثل طائر كبير



إمرأة

وبعدئذٍ تأتي المرأة
التي تجيد خلع جواربها
تنظر إليه كما لو كانت تُلغُ
حريراً حياً تسله من ساقها
ثم تدحو كوكباً وترميهِ عند قنعة السرير
بين ساقها المذلتين كتمثالين من مرمر.
كانت أجمل درداة صَدَّها
في حديقة ذلك العام.
امرأة طلعت من برج الحوت
وفي جسدها تسهر
كم مرة حكى لها عن الصبي الذي
كان يطيره الورق يلهمه الريح
وشد نصيبه فوق السطوح
كي تغرب لمة الجيران!
كم مرة عثر على حد كفيه في جسمها!
«الكف ذاك» كان يقول، «الكف قلب».

الصيف

الأكاسيا الذي يكاد يسهل في النافذة الشرقية
والمرأة التي تأتي بقواقع كثيرة
يتنبد فيها المحيط
المرأة التي تجيد خلع جواربها
كم مرة حكى له عن العريشة،
والولد الذي كان يُعبرها الحبل كي يقبلها خلسةً،
وشقيقة النعمان التي دَعَكها الرجل البعيد تحت
العريشة!

وتقف أنت أمام المرأة
رعب ما.. كديك ذبيح يتدحرج على سَلَمِ قلبك
مفرقاً خابطاً بجناحيه ودمه أقصى الأدرج
رعب ما.. كما لو كنت الرجل الواحد الذي
يدرك

بقتيله نهاية المغارة مبركاً
بظله وبالقنوء المستسلم هشاشة العتمة
كما لو كنت جار الينوع، وحولك القبائل
بالرأيات والصهيل والتراتيل القربانية
رعب ما يستدرجك إلى حريم الظل
فتدخل: بدائياً وحرته
بدائياً يهذي بغيار الطريدة
متقرباً بكفكيف نهاية اسمك
باحثاً في الظل عن حدود القرين
والمرأة امرأة
والمرأة طريق القمر
والمرأة بركانك الذي به تجدد شيخوخة الكواكب.



سؤال

من منكم اختبر في الصباح برهان الندى حتى
يُدَّعي أن له قياس النبات؟



العُجُجِل الذي يتدلّ نازلاً بمحراثه الأيدي صوب البحر، حتى أدرك الميناء. ما كان نوتياً، وما كان بحاراً تُزْرَق دمه شهوة الصيد. جلس على كتلة الحديد المصبوب التي كانت مربطاً للسفن يشبه عائلة، وعليها يجلس البعارة أحياناً كي يطرقوا نحاس مصائرهم على سندان البحر. ورأى المصب رأى حجارة التلال. رأى الحجارة العظيمة التي تشيع النهر من منعطف الطريق أسفل الشناخ حتى التقاء المائين هناك. رأى الرُثْم الذي يجاور سور القلعة العتيقة، والتّينات اللواتي أطلقهنّ السور على أفق مزاجي. تذكّر الأقحوان المصوّح في غابة السنديان التي اجتازها قبل أن يمهّد الطريق الذي دلّه على البحر. وتذكّر نظارة الطبيب، وصفت المرضى يسدّعونهم في الساحة. بكى اثنان: الأحَدُ الصّحراوي/والكاري الذي جاؤوا به من «تازة». وفان صيغران نُقرا في صدغيه بأصابع وحشية. تذكّر النخلات في ساحة «الرازي»، والحمام القديري في ذوائبها، والحديقة الفقيرة التي تهب أفقاً مقلوباً كالقصعة. وعصافير دوري حذرة. ضربوه هناك أربع مرات واستنجد النخلات: «يا نخلات! يا نخلات!» رأى الشمس تنزل في نهاية الماء. حينئذ قرر أن يكون شمساً وماءً معاً، أن يكون جيّب الكائن.

فانحأ كفيه،

عارياً من قشوره، ورأسه غيمة خارج العالم، نزل الماء ليله وسريه العابر واحتاله المفضي. كأنه مولى الكائنات كلّها. غدا رثين تحاولان إيقاعاً آخر لم تجربه شعابهما. مضى. بقيت الملابس والحذاء المغبر وكُيسّ البلاستيك المعقود على ثلاث قناني «نوزيان». □

يلوي أصابعه
ينتف هالة الطاووس، النهار المتلثب إزاء الجدار
فانحأ مروحة إغراء
ورأسه في الجيرانيوم المهجور.
لكن من أية جهة محروسة بالقهود يُدخل هذه
المرأة على مرآته الغيشاء فضتها
حتى يقول لها: أحبك؟

عطش

«تدلّ قليلاً أيها الماء»
يقول النهر للطفل المائل فوق القطرة
وتدلّ قليلاً يا شقيقاً عمودياً يتقوّس ويتناهى
إن بي عطشاً إلى جسمي العابر
جسمي الغريب الذي أرحل إليه
لا أحده
ولا أعرفه
والذي ليس لي.



سراح

فانحأ كفيه على غيمة كبرى، غيمة الروح ورأسه
في شرفة معزولة لم يُزَق إليها عواء الذئب خارج
العالم. جلس كما لو كان سيّد هذا الماء، كما لو أنّ
القوارب بأمره تجري وترسو. ظل يلاحق النهار



الوريت الاعمى

الينابيع السرية للأحلام والكوابيس

عماد العبدالله

في تلك القرية وبعدما جرى ما جرى وأصاب العلاقات
صديقه من صديقه، خدعت بصورة الماضي المأسوسة عن
أحباء والأشخاص وجمع رسائل، التي قطعت وأحرقت
وهي أيدت عن يكرهها

من قلب هذه غصني وجدت لتعبير العفيف وكذا من تقب
حسب البهجة، صنع هذا بيت القرية، وهو يعرف بأنه
صاحب تلك الأداة، وبالحقيقة صدمه، بحكاية سوف تتقاطع إلى
هذه الحد وذلك مع روية، حكاية أمين معلوف في كتابه
«صخرة صديقه»

وحكاية صاحب هذه، يدور حول شخصيتين الأولى هي
شخصية الولي «ناصر» ثم مقبرة المدفون في مقام دخل السدة،
حيث لا أحد من السكان حاليين يعرف شيئاً عن تاريخه.

لكن الجميع يتوارثون قصة «ناصر» من وباء الله الصالحين
والشخصية الثانية هي رئيس بلدية سابق في البلدة وصاحب
سياسة تحية تقليدية، مما حوّه على مر السنين إلى مرجع ذي

ثقل كبير في البلدة ويشار إليه بأنه صاحب «بيت مفتوح» كما
يقال في الاصطلاح. حتى هل كان هذا الشخص يشبه
المشهد العدول؟ ربما هل كان رغبياً صغيراً عن قدر مقاس
البلدة ومصادف الضاري؟ يمكن ولكن في كل الأحوال كان
«ناصر» على صيرة سطة ما، لا يمكن تجاهلها أو المرور بحسبها
عموماً، حينما يسير الواحد في القرية أو يأتي ذكره هذا على لسان
أحد الأشخاص في المنطقة المهم أن «ناصر» عني فائده كان
متميزاً أيضاً بالثديين، فهو لا يذعن سوى سيجارة «الجنتان»
الخامية والتحية. وكان أن رحل الرجل مع غيره من جيل
الذي تسارع وحيله مؤخرًا، منسحباً بدهو خلف ماض لم نس
إلا ذكرياته. دفن «ناصر» على «ليس في جبانة البلدة لمسية»



■ قريتي الحليم، وهي من قرى الجسور

اللياني، كانت قد شهدت حوادث
وغتوباً فشكت بها حرباً واحتلالاً وعجزاً
جماعية، حصلت في واحدة من أقواها

- دفعة واحدة ٦٠ معمرًا، وقامت بها

قوات الاحتلال الاسرائيلي المعمرين

هؤلاء، لم يهربوا أو يرحلوا بسرعة إلى خارج القرية، بعيدًا، كما

فعل جميع الأهالي. وربما يكون بقاؤهم عائداً إلى مكوناتهم في

الأرض كما هي أشجار النين والرينون والكتينا، المعمرة هي

الأخرى، والمتأثرة هنا وهناك في السهول والروابي والحوالكير

الحفنية للسنازل الوداعة



«بندان» والتي تقع في طرف الضيقة، بل في مقام «ناصر أبو صبر» في قلب البلدة.

وهكذا بعد استمرارنا لشخصي الطرفة التي طلع بها صاحبنا، أصبح في إمكاننا أن نروها. يقول صاحب الطرفة أنه وهو خارج من أحد البيوت التي كان يسهر فيها، ويجرد أن اقترب من ساحة البلدة، فوجى به بقامة مدينة طولاً وعرضاً تقف في الساحة متجسدة بثوب أبيض. فاستبد به الرب، لكنه عاد وسيطر عن خوفه مزعاً من الضعف قوة وصارخاً من أنت؟ فأجاب المارد الأبيض بهذه: أنا «ناصر أبو نصير» فقال صاحبنا: ماذا تفعل في الساحة؟ فأجابته: لقد أرسلي «أبو علي» كي اشتري له غلبة «جيتان».

عند هذا الحد تنتهي الطرفة، لكن كلامنا يبدأ.

إن هذه الطرفة يمكن أن نحسب على ما سبقها من ملح أو ما سوف يليها، فالنزوع إلى السخرية العبيثة أو المفاداة هي «بندان» والبلد اللبنانية، إلا أنها ما وفي السياق الذي جاءت فيه، فهي كما هو أكثر من الفكاهة الواضحة في نعيه. أن سلطة «أبو علي» فازت ما زالت قائمة حتى بعد موته، غير الإشارة المغزلية إلى أنه لجأ إلى تسخير الولي نفسه. فيلكال الحوى من قبل الراوي إلى شخصية غائبة و«جيتان» في إشارة الاشتغال - ولو على مستوى الخيال - سيد الجرح والذكر الحسن مثلاً، يكلف أن الراوي لا يدين على مستوى التحير والتثليل والاعتراف، إلا تلك الشخصية، فينقل زمانه الوجداني والنفسي على ماضٍ هو بمثابة «بندان» سي ينامه الحس وينمعه العقل وتحسب حدوده وزواياه وحججه في كل مرة، اليد نفسها التي تلجأ في كل لحظة، وأمام خطر داهم، إلى التيقن من حدود الحسد الشخصي عبر ملامسة اليد الأخرى أو السداع أو الوجوه والشعر إلخ... حيث لا توازن إلا بالاستمسك بقوة التي حسب تعبير رولان بارت.

به الخطر الداهم، والخوف من المجهول، ورفض العماض هو ما يجعل صاحب الطرفة يمد يد خياله إلى مثله أو يطله «الأحب» «أبو علي»

وهو الخطر الداهم نفسه، على ما نعتقد ونحسب، الذي جعل أمين معلوف في رواية «صخرة طانيوس» يمد يد خياله، هو أيضاً، إلى شيخ قريته «عزق» أو سيدها، متحسماً ملاحه وسلوكه ونفسياته وتقاليد عولاً إياه إلى نقطة التقليل في الرواية، دافعا إياه إلى أن يشع في مرآت عديدة عما يتعداه كتحسب، فيتحول إلى معنى لسان، عبر برهنة تلصق الملامح إلى بعضها البعض أو تقرب البعيد وتقتصم للغي وتحمس

المردة في حال ذهب السعي في تفسير لبنان مذاهب شتى أو هو وقع في دائرة التجريد. إنه لسان الذي يتراجع أمام التأويلات إلى حدود شخصية «الشيخ السيد» وهو الشيخ الذي تروي شخصيته وتطورات سلالة تراجح لشد وعرف وفيها ومن خلالها يقض الماضي والحاضر دفعة واحدة.

«الشيخ» كان وريث سلالة طويلة من «الشيخ» (ص ١٩) وسلطته لم تكن تشمل أكثر من ثلاث مئة بيت كان يوجد أمير الجبل وفوقه باشاوات الولايات، وأعلى أيضاً، أعلى بكثير، قرب السماء كان هناك سلطان استابول. غير أن أهل صيحي ما كانوا يتطلعون إلى هذا القدر والعلو. فشيخهم، في نظرم، كان أصلاً شخصية ريفية (ص ١٩).

إنها هندسة الأطوال والغاسات إذاً، إنه لبنان الصغير، والكبير سيباً! الحجم الكبير مغامرة غير مأمونة الحواقب! الخصوصية تنبي بتواضع، لكن بقوة في الوقت نفسه، وكل ما عدا ذلك، وقوع في المبالغة والإنشاء والمحوية الخفية!

بقبنا أمين معلوف في «صخرة طانيوس» أن لا يطل هناك سوى «الشيخ» ولا غيره بالشخصيات المعقدة التي زجها في من الرواية، لسانها وبديانها، إلا بالحدود التي تميز شخصية «الشيخ» «الرحيم» «التي هي إلهاء» وإليه تنسحب الأرض، وإليه تنسحب، وإليه تنسحب، وهو لا ينسحب إلى واحدة منها، سيد تشارك لا يقرب إلا نفسه، وهذه رؤية «استغرافية للحياة» عمل ينشئ الفيلسوف كملاط وسكرتير فاء، وعابها هيفل عبر شائبة السيد وبعد

ثمة زحان في الرواية على طانيوس، بعد ملحمة الصراع على «التركة» أو الميراث، سواء في غيابه أو رحيله الذي ظل معلقاً. لكن طانيوس غير الواضح السبب الذي يعترضه بواسطة الصوم، ويعدد إلى الهرب، ويستخدم للمفاوضة، ويدل قوته في حفس مومس أجنبية، لن يبتدى سوى شيخ من الأشياخ لكثرة خفته وتلاشيته.

هكذا يبقى طانيوس احتمالاً يتردد على شائبة الوحي ويتجلى ثم يغيب على حدود المالك والبلد والدول والقرى كما يرى أمين معلوف، حتى لو ارتدت أفعنته العبدية - كما نرى - أو تعددت نماذجها، من أحمد فارس الشدياق إلى جبران خليل جبران وأمين الريحاني ومي زيادة وميخائيل نعيمة والياس أبو شبكة وجرجي زيدان وفرح أنطون وشيلي الشميل وصولاً إلى النيازك للمعاصرة جداً من أمثال أمين معلوف نفسه.

إيه الخلف - الوريث، الذي يتكبد ميراثه وصحوره المثقلة بالأساطير، وسط ملي مزروع بشواهد الباطون المسلح □



○ صخرة طانيوس
(Le rocher de Tanios)
رواية أمين معلوف
مستورات، صنف الصائم
المصري، FMA، بيروت
١٩٩٤



دراويش المعارضة

أحمد زين الدين

إلى درجة صالت معها السادة بين المؤلف صاحب المرد الذي يروي عن الجصور، والمجور عنه، حتى عدا التناقض بينهما كمنًا «محطاب الجورن هو محطاب المؤلف معه» (ص ١٦٦). ولقدرة الكلام ها هنا على الاتصال والفعالية، وعلى التداول والسيرورة الهمة في تكوين صورة المجنون في التراث العربي، فالهم هو رسالة الصوت لا سلوك الشخصية أو فعلها، إن كان ثمة فعل لها حارح فعلها كمنكلم، (ص ٧٠). والسلوك الكلامي الذي يصر عنه نطق الجورن كان ملأاً للجسد الاجتماعي للأزوم إزاء السلطة المستبدة بوجه خاص. ومثل هذا الكلام هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة التآرق والتخلص منه، أو تخليه، وإذ يرى السيد أن اجنون شكلاً من أشكال الرد الثقافي تجاه وضع تاريخي تأسري طغي، فإنه يسب إلى الجورن وهماً نقدياً صديماً، بلباسه عصر سطوي يتحقق أو يظهر، عبر ممارسة الشخصية الجورنية فعل التكلم أي البطولة الكلامية الكامنة في فاعلية الجورن كمنكلم وقضاء العمل السلطوي هو قضاء الصوت الحامل للنتائج الشعبي، فضاء الصوت الناهض بمبدأ الاجتماعية الاجتماعية والسياسية للشعبات الشعبية المرجحورة والمقموعة، ولقضاءها ومزجوعها ومسارها الواقعية

ينطق خطاب الجورن في الكتاب، باسم الخطب الثقافي للمعارض للسلطة. كما يؤلف في ميادين الصراع السياسي والمجدي. ويشرت الكاتب أحياناً بهذا الصوت إلى المناسخ الفكرية الخالصة، فينبذ حاملها مواقف واتجاهات عقلية وكلامية، وطارحاً أفكاراً ومعتقدات جديدة، وأحياناً، مدافعاً عن مواقف محافظة ومداوة لكل جديد. لكنه على العموم، يقوم بأداء التكلم باسم الفكر المتأخرس للسلطة من عامة المثقفين ومجهر المثقفين والمفكرين، وسياسة عنهم، في أوقات الصق والأزمات، عندما لا يكون متاحاً لهم التكلم، أو إبداء الرأي، أو لا يكون لصوتهم جدوى وفككت السلطة بالعدالة، جوراً، في مواجهة سلطة ظلمة قمعية، واحدة من المهام الرئيسية التي تقدم

مجنون
السمان

ييتيميه أجيالاً
العهد القديم

محمد حيان السمان في كتابه «خطاب الجورن في الثقافة العربية» ليكتشف عن موضوعة هذا الصوت ودلالاته الاجتماعية والسياسية خصوصاً، بصفته جانباً هاماً من ثقافة المضطهدين. وبحثاً من حوالب والحكمة الشعبية التي فُتحت لفجأت إلى للمجنون، وانسب إليه، فظهر الجورن في المصادر كما في السوي حكيماً شعبياً شيعياً ينطق بتطلعات الناس والأهمل (ص ١٣) وإذ لا يحيط السبق القاسوسي للكلمة حينذاك بكافة الدلالات والأبعاد الاجتماعية والدينية خدم الظفيرة، إلا بقفاً هذا مانعاً جازماً من الألب يهيئ إلى مقولة أي خلدون ليحد فثالته فيها، من أجل تعيين حدود الخلق المدروس، وتأسد عبء الاجتماعي والتاريخي وسداس سبب الأساسية لدلالة الجورن بالتطبيق مع أين خلدون وتحليله لدلالة البهلول، والتي تقوم على: إمكان المعرفة والإحار عن الواقع. وعدم الإحابة بعرض عضوي - مدغلي. والصاعلة الاجتماعية السلبية أو الإحابة والقداسة والصدقية.

وفي تحليله لموقع صوت الجورن في المجتمع العربي - الاجتماعي، يشد السمان على الطبيعة التبادلية التفاعلية بين موقعي صوت الجورن في المجتمع، وفي الخطب الثقافي إذ يساهم كل منهما في بورة الموقع الآخر. فصوت الجورن ثقافي وموسوعي كلامي في الدرجة الأولى. والمجنون تبعاً لهذا المنظر، حالة كلامية وجزء من حالة التكلم. لذا كان المنظر والوساطة الشعبية، كلاهما يضيف إلى هذا الصوت، ويجوز فيه لالتحام مع ترجمته، وتصميمه لإعانة إنتاج متواصلة تدفع إلى تقدمه شكلاً وضموماً، ليصر عن صيرورة هذه القوى الاجتماعية المضطهدة،

خطاب الجورن

دراة

محمد حيان السمان

رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، لندن، ١٩٩٤

■ لما نزل مطبعة في داكوتا استقبله حيالات ذلك الشخص الذي يختلف سبيله وهندامه وطقه عن سوية الناس. ذلك الذي يشكك جزءاً من علامات القضاء المكاني في كل حي أو قرية. تطلق عليه اسم الأخوت أو المحلوب أو البهلول، أو عموماً للمجنون. وإذ فلا أخباره ريادة مسامراتنا تندر وترويحاً عن النفس، إلا أن لبعض ما يتوق به وفعا بدعونا إلى التأمل والتبصر في عتوه ودلالته.

وفي قصة قصيرة لبوسف إدريس صورة عن أحدهم كان يلق على عتبات منازل القرية متصلاً إلى ما يدور داخل البيوت، دون أن يبالي به أحد. وعندما تبين للناس أنه يذبح الجورن لتسقط أحارهم، كانت جمعت امتلات بما يكفي لمصع الزيف الذي كان يسود العلاقات الاجتماعية في القرية. فالتظاهر بالجورن أتبع له أن يجري هذه التهم وتكث المصالحات. وفي حقيقة الأمر أن الجورن يقوم بهذا الدور الذي يصحح الوضعية الاجتماعية. والوساطة الشعبية تتداول صوت الجورن وتحفي به، وتنبع بمحولاته في المناسبات، كإداة من أدوات منهضة المجتمع وتزعمه خطاباته القمعية. وصوت الجورن يحمل من تجليات السوي الشعبي. ومن خصائصه، قابليته للتداول المتغير، والافتناء المتواصل بمحولات جديدة على هموم الناس وتطلعاتهم. هذا الحيط الدقيق يقض عليه الباحث السوري

المحصول لإيجارها باسم الجميع وبتكليف
منهم: (ص ١٠٨).

الدراسة. وبما زاد الأمر على ما هو عليه من
مواجهة بين الحق والباطل، فكيف سر
التي تتسارع إلى الخسائر في الحصار
الغربية، وصاحبة الحرية الشائعة التي
اتتحت لهذا الصوت أن يتدبر ويغتر. وبعد
الضمان أن يبرأ ويهون، ويخلل إلى
القصص المكونة من أجله، يدعوه في عالمهم
والخاصة وحضورهم، أو في الطرقات
الأسواق وفي جميع الناس متضررين
الذين يكادهم توجهاتهم وسياساتهم.
أهم احتياطي. إما أن السلطة لا تكن
محددة ما يتقال، بل هو لا يعني لها شيء،
إلا إنها معاملة التي تدرج مع من يوجه
إليها سهام النقد والوجه

عما السبب اني فهو قريب من سماعه
يد ان السبب الاول فاحول مغايرة بطريقة
أرى، تربطه أيضا بما يليه، فالشائع الجون
نرى السلطة الإسلامية بينه وبين
ناجم عن أن علة هذا الصوت متأينة من
حالاته، سبق أن أشرنا إليها، فهي تسمى لغة
الجنون مثل قوة غيبية لا سلطان للناس
عليها، ولا على الوفاة عليه. وتسقط جثثه
تبعات تكلفه وآثوره عنه، الوقت الشاعري
من متعلق علة «الاحتشاد» الجنون على
فحسب القول الذي يقوله الباحثون
يضع في إحاطة وقته، ولا غير قالته
ن، «حصر» شطط عن إشره وفق قول
شراء تديه، ولو كان محاد بعلمهم، ومعه
ن عن تديه، وحدها بين يتسلهم
شاحسولنا لا نحن (نضع المياء وكس الجير)

خطاب الحون في الكتاب خطاب تطمي عليه الذوايع النفسية إلى حد بعيد، وتحوله إلى خطاب وحيد الجانب، وإن كان هذا الجانب مهماً جداً، إلا أنه لا يمكن أن يشمل الغناء التاريخي بكامله، ويحتاج فصول



٦٠ - المدد القوي والسود - حزيران (يونيو) ١٩٩٤ - أنشاد

القبائل الرحالة هؤلاء، خلال القرون الأولى للمعصر المسيحي إلى أوروبا.. ثم زعيم بعد أن حاربوا الهون في القرن الرابع الميلادي، وتنازعوا الأقباط في القرن السادس الميلادي، فقد لعبوا دوراً سياسياً مع قبائل الفندال في كل من بلاد الفساق (فرس) وإسبانيا (أسبانيا)، ثم في شمال أفريقيا حيث عاشوا بين إبي وجبال الأطلس، واحتلوا فيها بعد المناطق الواقعة بين طنجة وطرابلس... (ص ٩٣ - ٩٤). فسُيَافَ كان «السلالة» قد انتشروا فضلاً في تلك المناطق الواسعة التي تجتدي في ثلاث قارات فلا شك في أن إعادة جمع أخبارهم هي من الأمور شبه المستحبة، مع صعوبة أن نتحدث في كل مرة عن الشعب بعينه، بسب ما يكتنف المصادر في التباسات في إيراد الأساطير، وكتابتها واختلاط أخبار الشعوب بعضها ببعض. خصوصاً أن هذا الانتشار قد تم في إطار الهيمنة السياسية للدولة الرومانية، وإذا افترضنا صحة انتشار «السلالة»، وشرهم من الشعوب، في تلك الرقعة الواسعة، فلا شك أنه انتشار محاري، من أصل رعي، في ظل العسكرية الرومانية، بحيث إن سلسلة أخبارهم المتفرقة لا تكون تاريخاً متصلاً، ولا يتضح في مجملها.

وعلى الخط هذين المؤلفين يعود ليوسف قصته في بلاد الباب وشروان - وهي تسميات قديمة تعود إلى أيام احتلال الدولة الساسانية الفارسية لبلدان ومواقع، تخطط في قصصها الأساطير مع الوقائع، حسب ورواها في

كذلك كان في الإمكان إغناء الموضوع بالإحاطة على صورة المحتوي في العصر الجاهلي لتبين الإضافة الإسلامية إلى هذا العصور وعمولاته. ما دام العنوان يشمل الثقافة العربية ولا يتحصن في حصة من الحقب. ورغم هذه الملاحظات يبقى كتاب «خطب الجنود» لعمد حيان السباد حصيلة جهد لا تفتح به تلك النواحي أو الفترات، ويعبر عن مقدرة فكرية متعددة الاتجاهات، ومهنية واضحة، وأسلوب متين. وعدم الإحاطة بحرية الموضوع لم يخل يسه وبين استخدام المعلومات لتكوين إطار دراسته الذي لا يختلف عن النظرة الحديثة، لمؤمر تحديداً، التي ترى إلى خطاب الجنود خطاباً للفصل، وجزءاً من البناء الثقافي الذي يستمدح السلطة في داخله. ويبدو الجنود نفسه نسفاً من العلاقات بين مفاهيم عنده، منها ما يتصل باستغلال الرعي أو عزله. ومنها ما يتصل بمبادئ الأخلاق والدين والسياسة داخل الممارسة الخطابية عنها □

المعاصرة أو الإنكليزية من أسباب هذا الغياب فانصر على ترجمة بعض مقالات فوكو التي تغلب موضوع الجنود من بعد. وعن دراسة تطبيقية إلى قياس نظرية فوكو، من المحاصرة العربية - الإسلامية بعنوان: «الأساطير» والحصانة العربية - الإسلامية. وإذا كان عائق اللغة حائلاً دون إحاطة الكاتب بالمؤلفات الأجنبية. فليس من صير البنية عدم وجوده مباشرة إلى المراجع والمصادر العربية مع توافر طبعاتها في الأسواق وكتابات العامة والكتاب مثلاً يعتمد على مقالات لينزل مقبساته، سدل الإطالع الباصر على المؤلفات المعاصرة في المراجع ومسالك المصربين المعاصرين وعاداتهم لاوارد لسين. وكتاب «السلالة» لأبي نصر سراج، و«الفتوحات المكية» لابن عربي. أو «الدين» والنهاية لابن كثير. وغيرها. ومن المفترض أن تنال مثل هذه المعالجة الجدية التي يبذلها الكاتب لموضوعه جهداً إضافياً للعودة إلى المصادر الأساسية.

على هامش الامبراطوريات

خالد ريادة

لقاء الأسلاف

دراسة

جمال رشيد أحمد

رياض الريس للكتاب والنشر - بيروت، لندن ١٩٩٤

■ يصعب على القارئ، الدخول إلى العالم الذي يبحث كتاب «لقاء الأسلاف» للكرد ولانان في بلاد الساب وشروان. فلو كان القارئ يعرف الكرد: الأكراد، وخصوصاً من يتعلق أو يعالف أخبارهم اليوم، فإنه سيجد صعوبة في التعرف - واللان، كما أنه، إذا لم يكن متابعاً لكتب التاريخ العربي - الإسلامي، ليصعب عليه أن يجد أين تقع بلاد الساب وشروان. ولا يقتصر الأمر على هذا الحد طبعاً، فمن الصعوبات الأولى للكتاب، حين تكون لا تزال في المقدمة، يصعد المؤلف أسسها عن طريق أخرى. وجميعها يخرج من القوائم السياسية القومية الحديثة، مثل: السبكت

والكيمريين ولبرت، ونهيز. ولا يحظى المؤلف حين يعمل للتحليل الجغرافي بآباً للمرجع إلى تاريخ هذه الشعوب، فللمرح فخر ثقافياً التي تضم حالياً داغستان وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا، وتتصل بيزان وسركيس. وليست ببلاد الباب وشروان إلا الأساطير القديمة لبلدان تقع اليوم في داغستان وأذربيجان على بحر قزوين (الحزر قديم).

لكن الجغرافيا لا يمكن أن تكون مدخلًا وحيداً بالنسبة إلى شعوب اعتزلت التنقل والترحال بسبب طابعها البدوي أو أجبرت على التنقل بسبب دفع الحملات والدول الكبرى لها. وإذا كانت أخبار «اللان» تحت الحيز الأكبر من الكتاب، فإن هؤلاء «اللان» ينبغي أن تقتضي آثارهم في رقعة تتجاوز بكثير حدود ثقافتها، يقول المؤلف: «في القرن الأول الميلادي يقول الأكراد في مناطق بولجاري وجنوب الأوزال وعلى الدون وشمال القرون وشمال البحر الأسود وتوجعت

يشرب الجديدة





كـب

قومية شائنة وهكذا يقول مثلاً، «توافرت الشروط الملائمة، والموضوعة لتكامل القومية الكردية في شمال وإدلي الرازيين وغرب إيران قبل ميلاد السيد للمسيح ببعض الفروقه» (ص ١٨٩)

إن غرض الكتاب، كما يبدو لنا، هو الحديث عن الإطوار الجغرافي - الأثني، الذي وجد فيه الكرد، ومن هنا فإن لقاء الأسلاف هو بشكل خاص: العلاقات بين «الآل» والأكراد وشعوب المنطقة الأخرى. إلا أن المؤلف يتنبه إلى أن الأكراد لم يلبسوا إلى دور سياسي في ذلك الإطوار الجغرافي إلا مع ظهور دولة الرواديين والشداديين، يقول: «ولأجل توضيح الدور التاريخي للكرد في تفككهم وعلاقتهم بشعوبها يجب الإشارة إليها من خلال الرجوع إلى تاريخ دولة الرواديين والشداديين في كل من أفريزيان وأرمينيا وجورجيا...» (ص ٢١١) أي في لفسون العنصر البيلادي، وفي ظل انتهاء الكرد إلى الاسلام والمقصود للأنظمة السياسية والثقافية التي نراها.

هنا يصبح تاريخ الأكراد جزءاً من تاريخ دول الإسلام وتفاعلاته، وكان عمل الأكراد بصفتهم تلك أن يخرطوا في الصراع الإسلامي - البيزنطي الذي كان لا يزال حياً في تلك المناطق التي صهرت الأرض والبيروانيين والأحبار وصيرهم، من تلك الشعوب التي احتارت إما الاسلام وإما المسيحية.

كان يمكن لجبال رشيد أحد صاحب كتاب لقاء الأسلاف أن يقول لب الكثير من الأشياء، وينتفضح بها من ذكره لأحبار وتواريخ لا رابط مؤكد بينها، أو إنه لم يحس الربط بينها، بأن يجرى كيف أن الشعوب الصغيرة التي تعيش في كنف الامبراطوريات الكبيرة، يكتب عليها أن تفسر لغتها ودينها وعملها كدورها، وإذا كانت غاية المؤلف هي أن يبين لنا علاقات الكرد التاريخية بعقد من الشعوب التي اختفت عن مسرح الحضارات والتاريخ، دون أن يجرى كيف انضمت وتلاشت، فإن الكتاب يأتي في مرحلة «البار (امبراطورية) الأغاد السوفياتي التي أرادت ككل الامبراطوريات السابقة أن تقوم ذكر الشعوب التي تعيش تحت وطأتها، وما هي هذه الشعوب تعود اليوم لتعلم للعداء أبها لا تزال مسجودة في أسحار وحورح وشبه جزيرة القرم وعند سواحل بحر قزوين، في داغستان التي كانت ملاذ الناب وشروا □

الاحتمالات والفرصيات، لا يمكن أن نقرأ سطرية واحدة ولا يمكن أن نرغم إلى درجة اليقين كل ما ورد في صحتها الكثيرة. وإنا كان المؤلف قد حدد إطاره الجغرافي، فإنه لم يحدد الإطار الزمني الذي يقع فيه دراسته، كما أنه لم يحدد الإطار اللغوي. وعلى آخر كيف يمكن الاقتناع بأنه يتحدث عن «الآل» أو عن السكيت في كل مرة يذكر اسم هذا الشعب أو ذاك، علماً بأن هذا الظهور يحدث في أماكن مختلفة ونحت اسماء ليست هي نفسها في كل مرة. وكيف يمكننا الاقتناع بأن الكرد هم المبدون القدماء، دون أن نلتزمنا من مسافة الألف وخمسة مئة التي تفصل بين ظهور هؤلاء واختفاء أولئك.

وبالرغم من أنه يتحدث عن أرض أو سلال الكرد التي تتطابق مع انتشارهم الراهن، ويحدثنا يقول بأنهم كانوا في الواقع نمسا دالياً إلا أنه يبرح أعداد صلاح تدعى إلى مدينة دور. «دني تلغ عن الحدود الميمنة لأفريزيان وكانت تتصلق بآل وآنلا الكرج (جورجيا) مثاهو» (ص ٢٠٧).

يبحث المؤلف أخبار شعوب طغوى السيد أغلها، إذ يتحدث في اسماء أخرى وفي أديان، وفي دول اثبتت على مرّ العصور عبرت الشعوب عاشت خلال تاريخ يتعدى عمل مسافة آثني سة في منطقة جعلتها الامبراطوريات الكبرى حدودها الميمنة، فكانت منطقة لمجاذب بين القرس واليونان والرومان والعرب ثم الروس في العصور الحديثة كما عرفت هذه المناطق الفقفاشية التكنير الحصاري والثقافي للقرس والترك واليونان والعرب والتأثير الديني للزرافاشية والمسيحية والميلية والاسلام. كما عرفت اجتياحات كبرى من جانب الهون والمور والترك والروس. فقد عاشت شعوب قليلة العدد إلى جانب شعوب جرارة كالكثرك واللوق وكانت عمراً لاجتياحات وانتقال الشعوب في منطقة يسيطر عليها الاتناج الرومي، ولا يزال هذا النمط من الاتناج سياً حتى عصرنا الراهن وخصوصاً في شمال القفاس والمملكة أو المؤلف لا يأخذ هذا التاريخ الطويل وهذه المؤثرات الملققة بعين الاعتبار. ومرد ذلك إلى كونه يريد إثبات وجود شعوب ما ويريد أن يعطيها هويته

مصادر يوسية عند هيرودوتس ومصادر أرمينية قديمة ثم عربية. ولابد أن نوضح المؤلف قصته في جغرافيا محددة فإن التاريخ يفتق منه اختلافاً لا ريب فيه حصراً، حين يتحدث عن أسلاف والآله السنين هم: السكيت والكيميريون والخيديني، حيث تتداخل اسماء الشعوب بحيث يتعذر اليقين، إذ تصبح المراجع الوحيدة هي المصادر اليونانية القديمة.

لقد عاد المؤلف إلى مجموعة واسعة من المصادر والمراجع التي استعرضها في صدر كتابه، وأولها المصادر العربية عند ابن خرداذبة وابن الغضائري وابن رسته والمسعودي والحصري وابن جوفيل والأصطخري، أي مصادر لجورجيين وجغرافيين. ثم مصادر كردية. مسعود بن تاملان من القرن السادس الهجري، الساسي عشر الميلادي، والمؤرخ الكردي القارافي الأرمني من الحفظة نفسها من المؤرخ التركي سراج باشي الذي اعتمد على مصادر فقدت لأحف وكتابه جامع الدول يعود إلى مطلع القرن الثامن عشر ويعتمد على التاريخ الأرمني القديم والحديث في عدد كبير من المراجع. يضاف إلى ذلك الروسي مينورسكي المتخصص بشعوب القفاس وكريستن المتخصص بتاريخ إيران القديم ولعل المؤلف قد وقع ضحية سراجيه التي لم يعضمه لمسيح مسود، هذه المصادر التي تنتهي إلى حقايق قديمة وحديثة وتختلف في مطلقاتها ومقاط ارتكازها، ويغلط قدمها بين الواقع والأساطير، بينما يخلط حديثها بين



صدر حديثاً
خذ
الكتاب
بقوة

يحيى جابر

مستقل أم مستقيل

محمد علي مقلد

العقل في الإسلام

دراسة

خليل أحمد خليل

دار الطبعة بيروت ١٩٩٢

■ كتاب «العقل في الإسلام» حرم من ورشة البحث القائمة اليوم، في أرجاء الوطن العربي، عن سبيل الخروج من أزمة العلاقة مع الغرب، أزمة التحرر من الاستعمار ومن أشكال الظلم الأخرى التي يورج تحتها العالم العربي والعالم الثالث (والرابع أيضاً في رأي سمير أمين)، والبحث هذا الذي يحدده الكتاب بكوسه بحثاً فلسفياً في حدود إشراك بين العقل العلمي والعقل البشري (الصعود المرحلي)، هو محاولة تصاف إلى سائر محاولات الأخرى الماندة إلى الكشف عن أليات الصراع الأيديولوجي القائم بين الأصولية الإسلامية المعاصرة ومصورها، إنه بالتحديد إسهام في تفكيك بنية العقل الأصولي من خلال محاورات قام بها د. خليل أحمد خليل مع النص الديني الذي تستنوي الأصوليات به وتستعين على حصومها، ومع التواريخ الإسلامية التي يمتسح حلزونها، ومع كتابات حديثة وماصرة تناولت ما يتناولها المؤلف في كتابه

تبدأ لمحاولات مع النص الديني، فون أن نستطوع، ليستخلص منها أن العقل في الإسلام ثلاثة: عقل العقل، عقل العقل، عقل النص، وإذا كان التراث يشير إلى بداية تأسيس عقل «عقل» سألوه إلى ما كان عليها إلا عقل الوحي من مصدر الوحي (الله) إلى «عقل الوحي» العقل (النبي) (ص ١٠)، فإن عقل النص هو الذي استمر من أن «المعرفة نقل نص من نص».. إلا أن عقل النص هذا، الذي ولد مع الإسلام، بضمته، تنقيهاً، اعتقاداً، إذ بدأ «عربياً، مدعياً» (ص ٢٦)، لم يدم كذلك لأن السلطة حوّلته إلى عقل موت لا عقل

حية. أما عقل العقل فهو يختلف عن سابقه قرأته بعين عصباً مختلفاً، عصر الأساد العام، الذي لا يتأسس علمه على الصمت (أول العلم الصمت في العقل الثقيل)، وهو عصر يختلف عن سواه، لأنه يطرح مسألة والنطق الدائسلي لكشف العلمي (ص ١٥)، ويستبد ما يسميه د. خليل بحجابه الشخصية وعماطاً الاعتدالية (ص ١٧)، أي عقلنا الاعتدالي (ربما كان من الأفضل، في رأيا، استخدام «عقلنا الاعتدالي» بدل عوامات الاعتدالية) عقل العقل هذا، لم يجد له د. خليل سدا في التراث، لا إشارة في «عرب سمير».. بعد في «لغة سمير».. أوله لغة.. أصلاً تسمو.. (ص ١٥)، هو «القطار الحلي»، إشارة إلى وهي من يتقدم، في فلسفة ابن سينا الاستشراقية، على أن في التراث كلاً من هذه عقل إغني (الأساس

عقل) «إكلاسي» عقل غير محصور «عصر العقل».. لا «إكلاسي» المنهج في العقل الحلي، العقل العقل القديم، التراثي، هو عقل العقل، عقل النص، ولا يتأقّل العقل العقل سوى عصر آخر، انصهر فيه التجربة والاختصار وإحصاء به وتستعين على المعرفة، للفقد، أي للعقل النقدي، فيما يتحدث خليل أحمد خليل عن العقل في الإسلام، يتخذ على محمد عابد الجابري كلامه على عقل جمعي، وينفي وجود مثل هذا العقل، لأن العقل في نظره وعقل فرد متارده (ص ١٩)، ولأن «العقل الجمعي أسطورة» ترميز كي (ص ١٩)، وإلا فليس الأول إطلاق تسمية أخرى: عقلية، ذهنية، مثاقفة، عقلية، روح حضارة، لا عقلاً. غير أنه يسلط بصرة في جزئه لاحق من الكتاب حين يقول إن «الذهنية أو الذمعية» عقل العقل هو العقل الخاضع، إذا جاز القول حسب تعبيره (ص ١٨٣)، وهي، أي العقلية، هي المفهوم الاجتماعي لعقل العصور في تاريخهم الواقعي المعبر وفي اعتقادهم الميول (المصحة مصفاً) لماذا إذ هذا الاعتراض على الجابري في كلامه على «العقل العربي»؟ ولماذا أجار

الدكتور خليل لنفسه ما لا يجيره تعيره؟ هي تناوله أفكار الجابري ما قد يشير إلى ذلك فإنما لا يتوقف، في كتابات الجابري، إلا على فكرتين الأولى هي تلك التسبب لشار، لبها، والثانية هي مفهوم العقل المستقيل، معترضاً مرة أخرى على ما توصل إليه الجابري من قول بأن الشعبة يمثلون «استقالة العقل» ويسأل الجابري ماذا يقصد بالعقل العربي منها إياه بالوقوف في انشاس قوامه عدم التفريق الدقيق بين عقلية سلطوية وعقلية عامية وبين العقل العربي الجامع وللتجاوز (ص ٨٠). غير أن الجابري وضع في مقدمته الطويلة تزييراً مفصلاً لإقناعه على استخدام هذا المصطلح، فهو يرى أن «العقلية الدينية لتفكري الإسلام تعاملت مع موضوع ديني، خصائصه متغيرة وتختلف عن تلك المتعلقة بالموضوع الذي تعاملت معه للعقلية الدينية لتفكري اليونان وفلاسفة أوروبا» وبالتالي فهو يرى أنه يستلزم عبادة «العقل العربي» من منظور علمي لا من نظرة أخرى كذلك التي تصدر عن مفهوم «العقلية».. يؤكد الجابري على أن تاريخية هذا العقل، أي ارتباطه بالتاريخية التي يتحرك داخلها الشيء الذي يشترط فيه الصفة «الاطلاقية» (تكوين العقل العربي، المقدمة، ص ٢٦)، وربما يلتقي الجابري في ذلك مع ما أسماه أوتيس في بحوثه التراثية «الثابت» مفاد التحول الذي قد يعني، بعبارة خليل أحمد خليل، عقل العقل

تقد خليل أحمد خليل للجابري كان حاداً، فهو يتهمه بأنه «يتعمق زوراً وراء بائسلاز وسواه» (ص ٨٢)، وأنه ذو عقل اعتدالي (ص ٨٢)، وأنه يدخل حصولاً شئ ليست من اختصاصه ولا من اختصاصه (إذا) من اختصاصه من؟ إلا إذا كان الكتاب يقصد أنها من اختصاص العقل، البدهاء، بفهمهم ورثة الأنبياء (ص ١٩)، ثم يأخذ عليه أنه «يعدّ بلزوم سطحية على أنه حقيقة عقلية أو تاريخية» (ص ٨٣)، وأنه من بين المستشرقين أو المستعربين الذين «أهملوا» العقل العلمي العربي الذي كان ينسج سائلاً عن فقه السلطة وفقه المعارضة» (ص ٧٩)، مع أن الجابري أفرد هذا العقل حيناً كبيراً أطلق على عقله اسم علوم «الربها»، وهي العلوم التي شككت حصر عبور لأوروبا نحو حضارتها الحديثة، وبذلك بالتواضع الضروري لكي يميز بين عقل السلطة والعقل الخائف (ص ٧٩)، مع أن



كتب

أما الجزء الثاني من الكتاب، وهو يزيد على ثلثي حجمه، فهو عبارة عن جولة مع المفكرين الشيعة في العصر الحديث وهم: هاشم معروف الحسني (٥١ صفحة) محمد حسين المقفري في كتابه تاريخ الشيعة، مرتضى الطهراني في كتابه الأسلام وإيران، زين العابدين الجعفي في كتابه: منية المريد في آداب التقييد والمتقيد، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين البحر الحاصل في كتابه الجوهر السني في الأحاديث القدسية، محمد مهدي الحائري في شجرة هوى، علي بديي الحائري في: الزمام الناصب في إثبات حجة الإمام العاصم، محمد جواد مغنّي في: الشيعة وإحكامهم، محمد مهدي شمس الدين في: ثورة الحسين، طرفها الاجتماعية وأثارها السياسية، وفي: العليانية وكتب أخرى، محمد حسين فضل الله في مؤلفات صعدة منها: أسباغ الدعوة في القرآن، الحوار في القرآن، الأسلام ومسئول القوة، ويتنهي الكتاب بفصل تحت عنوان: عقل وفلسفة وعقل الحضارة، يعرض فيه خليل أحمد خليل وجهة نظره في النهضة الغربية والتحرر السياسي والفكري، وفي المؤلفات المعروفة أمام هذا التحول النشوء، ويقول في سبيل ذلك، في لقاء العلوم الحديثة والمراجع الغربية، ليثبت، مرة أخرى، مدى إلمامه بتأصيل العلم الحديث وفلسفته المعاصرة، وشمول اطلاعه على كتابات المعاصرين من العرب والأجانب (تأليف فضل الله، أدوار سعيد، صادق جلال العظم، تديم البيطار، سامح الحصري، حسين مروءة، محمد التويجري، محمد الله الملايبي، نظام شرابي وعشرات آخرين من مستشرقين ومفكرين عربيين).

على أن ما يلفت النظر في مساجلاته الشيعة أمران يبدوان متناقضين. الأول هو أن د. خليل أحمد خليل يكتشف، في جولته الواسعة نفاذ مع كبار المفكرين الشيعة، عن سيادة العقل الاقتصادي الذي هو، في نظره، يقين العقل الاقتصادي، أو عقل العقل، وهو يدعو، بالتالي، في صورة ضمنية أو صريحة، إلى ضرورة إحداث طفيفة معرفية مع هذا العقل الاقتصادي لصالح عقل العقلانية والتشوير والفكر العلمي والعلمانية والديموقراطية، لال السبيل الوحيد، في نظره، إلى التحرر من التخلف والتبعية هو عبارة العلم الغربي بالعلم المسائل لا بالتلازم والسر والشهوة. ويقتف الكات

أركون، منجاً آخر للبحث هو ذلك الذي يجسده د. علي زعيمور، الذي يختلف مقرئونه عن مقرئونه الحائري المصممة وعن مقرئونه أركون وجميعه ويزعمها ومقرئونه فلانده (ص ٩٧) ربما لأنها تقف من الشيعة موقفاً مختلفاً وتصنفهم بأنهم أول كنيسة تشهد الحروب وتنتهي للسموات (علي زعيمور: التفسير الصوري للقرآن عند الصادق ص ٢٨)، وتصف الحسين بأنه «قدم نفسه صيحة للدين». وورغم أن يبايع السلطة (علي زعيمور، ص ٥٤). ويخلص خليل أحمد خليل بالإشارة بهذه المقرئونه المختلفة، ومقرئونه زعيمور، الهادئة عن عقل علمي عصري، ويكتشف الطواغيت التاريخية مغلقة هو، من خلال تفكيك، وتقريب من واقع ميموش (ص ١٠٢)، وإذا وضعنا جانباً قراءة علي في عصر الزمان، يتسوقنا في كلام خليل أحمد خليل حكمه على العقل العلمي العصري. فهل العقل العلمي الذي يقرأ الأتقي متطه هو، أم هو الذي يقرأ الطواغيت التاريخية يكتشفه من، علي زعيمور، الكاشع العلمية المعاصرة. وهذا هو محور العلوم الاجتماعية؟

إن ما نفضاه في مثل هذا الجدل بين خليل أحمد خليل وبعض المفكرين العرب وكلهم من المضروب (الجابري، أركون، جميع)، هو أن تكون شيعة خليل أحمد خليل، أي التحول، مدعاة للانفصال من قيمة الأناكول الذي يدعو إليها في كتابه، ومن قيمة دعوته إلى الانفصال بالعقل العربي من العقلانية إلى العقلية، أو مدعاة للتقليل من أهمية بحثه وسعة اطلاعه وغزارة المعلومات والمراجع التي يتناولها.

بعد هذه الوقفة النقدية مع بعض العلامات أو المفكرين المعاصرين يساجل خليل أحمد خليل العلامة جواد علي ويكاد الصليبي مروءة وبعض المستشرقين، ويحار منه «توفغمرى وإط في كتابه: الفكر السياسي الإسلامي في وقفة عابرة (ص ١٠٣ - ١٠٧) يجهلها في صفحة سابقة بكلام على فلاحة الاسترقاق (القيادوق مصطلح العلمي اشتبه الباحث صلي حروب، وبعده فلهوي أو متعلف كها هو المعبر في نقاشنا الشعب العربية)، الذين ما في، معهم ينفذ، أيديولوجيا، بوصفها العلم الأول

جهد لغوي

يذله الكاتيب



العلم

الجابري يمسح عجز العكر العربي عن استكمال طريقه، وعن القيام بما قام به الفكر الغربي في بعثته الحديثة إلى أن الدولة لم تكن على الحيازة في الصراع العسكري، بل كانت طرفاً في لصالح عقل النقل ضد عقل العقل (الجابري، العقل العربي، الخاتمة) لعل القضية الأساسية التي أثارت د. خليل أحمد خليل هي حكم محمد عبد الجابري على العقل الشعبي عندما صنفه جزء من علوم العرفان إلى جانب والتصوف والفلسفة الأساطيرية والتفسير الباطني للقرآن والفلسفة الإشراقية والكيمياء والتنجيم (الجابري، ص ٣٣٤)، متبراً هذه العلوم هي العقل المستقل، ويأخذ خليل علي الجابري قوله بوجود تناقض بين الطابع التجريبي، التقني، للاحداث والسطاطيع والاختلافات للأبديولوجيا الشيعة وأساسها الاستشراقية (ص ٩١)، ثم قوله «يتراجع الطابع التجريبي التقني للاحداث والاختلافات الشيعة والاختلافات الطابع للاختلافات للاختلافات المعرفي في أيديولوجيتها الدينية من جهة وتراجع الطابع العقلاني للأبديولوجيا الدولة الحاص، واستعمال الطابع الحافظ لأبديولوجيا الاجتماعية من جهة ثانية. والنتيجة: تعميم الطابع للاختلافات على الصعيد المعرفي والأبديولوجي وتكرس الأوضاع المختلفة للاختلافات على الصعيد الاجتماعي» (الجابري ص ٣٤٨، أورده خليل في كتابه ص ٩٢).

وإذا كان د. خليل يستبعد استقلال عقل الإنسان الخي، استقلال الوحي، فالجابري، ونعتنه أنه على حق، يظل مستقلة صف من العقل لحساب صف آخر، عقل العقل يتنبر خليل مثلاً لحساب عقل العقل، عقل النقد والمعارضة مثلاً لحساب عقل السلطة أما قول خليل بأن من الأفضل مثل العقل الشعبي المستقل بذل المستقل، فيصح فيه السؤال نفسه الذي طرحه خليل على الجابري: العقل يقدم استقلته [أو؟] ونحن نقول: العقل الشعبي مستقل من؟ بكون خليل استعماله حين يتناول فكر محمد أركون، حيث يتسوقه فيه اعتماد أركون العقلية الشيعة واستبعاداً قليلاً، وطرداه (ص ٩٣) ويحار خليل، لواجبة



المسلمين في حول العالم الثالث وعصره
(أفغانستان، الجزائر، مصر... الخ؟)
متم بإشارة إلى الجهد القوي الكبير
الذي يبذل د. خليل أحمد خليل في بحث
المشاهد والتكرار المصطلحات لتأمين عدة
الخطاب الفلسفي العربي، وهو أمر يبد
فراغاً كبيراً في حقول الاكتشاف العربي في
الغة العربية. □

وعصمتهم أساسين صالحين للسلوك الديني
والسياسي القويم. وعليه السؤال الذي
يطرح نفسه بحدة على هذا الصعيد: هل
شكل الفكر والسلوك السياسي عند الشيعة
تلقية نوعية مع العقل التعللي النصي أم أنه
كان ساحة أخرى له ولو مميزة؟ وهل تعتبر
الكتابية الشيعة المعاصرة في مواجهة
والظلم والداخلي أو الاستعماري أمراً مختلفاً
عن كفاحية غيرهم من المسلمين وغير

بشجاعة متقدِّم بعض الأفكار الواردة في
كتب علماء الشيعة وفادتهم، متوقفاً على
سبيل المثال عند عصر ما قبل الإسلام الذي
أطلق عليه العقل الاعتدالي اسم الجاهلية،
يهدف واضع هو الرغبة في أن يتذكر هذا
العقل المرفقة، وأن يتذكر (والدين مصدر
التعاليم الأخلاقية، ص ٢٦٦)، وهي رغبة
تعمية تتوخى إطلاق اسم الجاهلية الحديثة
على حضارة القرن العشرين (جاهلية القرن
العشرين).

الأمر الثاني هو الاستعراض المسهب
لأسس الفكر الشيعة السياسية والاجتماعية
عبر التاريخ، حيث يستشف القاري أن
الكتاب يتعامل مع الفكر الشيعة بكثير من
التصايف والإعجاب، ويحاول أن يفسر
ظاهرة العنف الحديثة فيجدها إلى أصولها
الأولى يوم كان الإمام علي يدافع عن العترة
في مواجهة السلطة، لعل تعميم هذا التفسير
ولازحه عصرنا بعد عصر، وصولاً إلى
الراهن من زماننا، يلتقي ضوءاً على «حب
الصحبة» في سبيل الفضائل الكبرى، ومنها
الاستشهاد في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي.
غير أن في هذا التحليل بعض التصف أو
بعض الانحياز للشيعة انحيازاً يقلل من
موضوعية بحثه، خاصة أن الإعجاب
بالتاريخ الشيعة لم يقتصر على كفاحية
الشيعة في مواجهة الاستعمار، وهي كفاحية
سياسية بالدرجة الأولى، بل تعداه إلى
إشادة بسلوك الأئمة وصولاً إلى المهدي
المتظر، هذا وقد خصص، تمييزاً عن هذا
الجل العاطفي فصلاً كبيراً، كأنها كان يريد
أن يرد على الجابري وأركان اللادين ابتعدا
عن الموضوعية في الكلام على الشيعة
وكفرهم تشويهاً أو إغفالاً.

ليس مأخذاً على حج خليل أحمد خليل
في فراءاته الشيعة نابعاً من إعجابه العميق
بالفكر الشيعة، بل كما لغوه، وقد شاركهم
في ذلك، الحق في أن تكون مع هذا التصدير
أوسع غيره، وشاركه الرأي في أن التصدير
الشيعة لعب دوراً مقدِّماً في تاريخ الفكر
العربي، لأنه ناصر الفضائل للتحفة للحجرات
في مواجهة السلطات الفاسقة، وناصر الفكر
الاجتهادي ودعا إليه، وانحاز إلى العقيدة
وتبعها الرافضة ضد السلطة ومصلحتها، غير
أن الفكر الشيعة هو أيضاً جزء لا يتجزأ من
عقل التعلل، عقل النص، وهو فوق ذلك
أخبار نمسه بتدليس بعضه في حجاج
القرآن والسنة، وجعل معجزة الأئمة

كونشرو الشغب

أبراهيم صموني

مباد كسا ساحرين (الأدب كسر تلك
الغالب والوراثة، فلا أقل من أن نحاول،
في حفل الثقافة، عرق التربة والقلاع الحجرية
وتعنت الكتل ليسر بعض الهواء ويتعلم
قليل من الضوء!!

عجي الدين اللاذقي يحاول ذلك

عبر تسعة وأربعين مقالاً، موزعة على
سبعة صolumes، يعاكس اللاذقي تيار حبيبات
الثقافة المعاصرة، ويشاب على درجتها
الفكر الذي اعتاده الفناء، أو فرض عليها
ضكاً إليه ضاعاً؛ وقس الصدور إلى
موصوعات الكتاب يلزم التأكد أن معاكسة
التيار، هنا، أبعد ما تكون عن ميدان وخالف
تُعرّفه الذي كثيراً ما يركب موجهه كسبة
أقزام لا شيء سوى أن يلفنوا بمخالفاتهم
وصحبيهم، أنظار الكبار عظمهم ويدخلهم
الرحم بمأهم كبروا وتخلصوا من ضلالة
أحلامهم الثقافية وصحالة عوالمهم. فليد
سبح عدم من التلقين والتدوين العرب، عن
امتداد حياتنا الثقافية الحديثة والمعاصرة، في
اغماض معاكسة ومعارضة للتيارات السائدة،
غير أنهم ما فعلوا بقصد الحاللة أو بدافع
حب الظهور بل ولأن طموحات الدين
سحوا عكس التيار كانت تعدى حدود
الإصلاح الجزئي إلى إحداث انقلاب شامل
في الحياة الثقافية العربية تشديد بواسطته
الكلمة احتراماً والمذهب دوره ويعود للحرف
الكتوب سلطة المعوية التي قطعها في حقب
الخراب، كما يؤكد المؤلف في مقدمة كتابه.
إن معاكسة التيار، هنا، مفعمة روح
التغيير، ترواق إلى التجديد لا من فراغ ولا

عكس التيار
مقالات نقدية
محلى الدين اللاذقي
وياسين الرئيس لكتبه والنشر، بيروت، لندن ١٩٩٢.

■ تخليج بياضل الثقافية إلى من شباب
بها، وشاكها، ولهاشيتيهاها (التي من
يخرج حق جوتيتها، وشاكها، وشاكها
ودرجتها السائدتي كي يهروا، ولو على
هوا، لحنا آخر مغاير، أو نشارة - إن نشم
- ههههه، في لحنا الأدب، إلهاء تلك
والسلازمة في لحن الآلات كسا في كلمات
الحوقة!

فحياتنا الثقافية، كالتربة، تحتاج هي
الأخرى إلى من يخلخلها ويمزقها ويقللها من
وقت إلى آخر كي يسع للهواء بالتسلل إلى
رحتها، وللفؤوس بالتخلل في سبنا وصامها.
من دون ذلك ثور الأرض، تتبدل، فتتحول
من رحم خصب ولود يعطي أشهر الثمار إلى
مفرة مكشاة تدفئ العظام والدود والتنن.
ألا تشكر يومياً من بلادة حيواتنا العربية -
غير الثقافية - السياسية والاقتصادية
والاجتماعية، ونعاني من انتمالها وتقوقها
على التحلف والعنف والتسلط والديكتاتورية
والتاموهاة ومصادرة الوجود ومجمل أي
تجديد في بنيتها وعلاقاتها وأفاقها! ألا تعني
أرواحنا وأحلامنا تلك الغوالب المصعوبة من
العسس والتبعية والظلامية، المصورة فوقنا
ونحننا وسوقنا منذ سنين لا تعرف وإلى سنين
لا نترك؟! □





كتب

لمدعين تركوا بصياتهم العميقة في حياتنا
ثقافتهم وداكرت عمر أبو ريشة امدي مات
وقل أن يشقى الرعاة من عداوتهم للحمم
وساطم حكمت والنهر والشاعر، لعاسق
والأسطورة، ونجيب سرور والذي احتقر
غير المظفر، وصفر الرشود «صاحب
المقاتل الذي لا يرى الخليج العربي يغط
ومرست، ولؤي كيالي الذي لو عاش إلى
يوم لرسم وفرة بلا عيادين ولا زوارق»
وإلى هؤلاء الراحلون من المدعين راح
اللاذني يحث عن القلة الخفيفين لسدر
شاكرو السياب، وعن الحق الأقي في حياة
واتحاد خليل حاوي، كاشفا عن قلة الوفاء
العربي لأميراطور الفن الرفيع: عاصي
الرجبي

يقعد المؤلف في الفصل السادس: «ما
أشبه اليوم بالبارحة» مقاربات بين الماضي
والحاضر. شعر التنتي وتفسير مواقفه، فلسفة
الطواشة الصنيعة القديمة، واصمحلان لتأمل
العصر، فن المحادثة الجميل وهزاعات
العصر البديلة، حنين المصافي إلى الوص
وسيات عالم اليوم، حلم الأثني في شعر
لقدام، ونسجها على شاشات التلفزيون
ليوم.

ويخصص الفصل السابع والأخير من كتابه
لموضوعات عن «السياسة والإبداع»
والملاقات بينها في أكثر من محور ونقاط
كثيرة الشاعر علي الجدي للمناصب والسلطة
والانحياز إلى الشعر والكس والمنة،
واستمرار أحمد فؤاد نجم في صفوف
«الأصلاء» الذين لا يبيسون التزامهم ولا
يتجارون بتجارهم في سوق الشعر. وعن
آدب الصراع الرسمي في الحقبين
المصعبين. وعن هوة الشعريات
والتيهيات كآداب الكسنة وآداب الكسنة
الذين هموا الأداة في الصحافة العربية عن
آدب المراحل، في حين «احلوا» يفسول
الادفاني: كل الانحياز الإيديولوجي الواحد مثل
تنزاري قباني وهاتوا لي أي طرف بين أدبه في
سرير العرام، وأدبه في سرير السياسة.
وسرع صافية سعيد عقل على لجودا تحتها إلا
شعبية معيد مسجوع من نفسه، يمي
بالعربية، ويدعو إلى تعبير حروفها، لا الك
أحدثت منه شيئا، ولا الكسنة أصفا إلى
شيئا. «وإلى ما سبق يتحدث المؤلف عن
الدمار في الأسطورة القديمة والدمار في عصر
الأميركيين السوي. وعن تغيب السياسة
والساسة للشاعر الشيكاني «أبماثي» ثم

والواقفين في طائفة الجمعية السويدية الذين
يسبون لنا الصداق بتعليقاتهم الاجترارية في
مثل هذا الوقت من كل عام.

وفي حين يقدم المؤلف باق ورد عرفانا
للدكتور عبد الكريم الأشتر «صاحب أهم
كتاب في النقد الأدبي الأكاديمي عن الأدب
المهموس» ولسليمان الفرزلي «أرشق من كتب
في الاقتصاد، وأسلم من كتب زاوية
متوزعة ونواظر بالصحافة العربية، ولؤي
مقاد الشعر الذين قابلتهم. . . فزته يعارض
الشيخ محمد متولي شعراوي لتكثيره الصانين
وتخرجه الفن، كن يسبح سحرية شديدة من
تعبير حراء الرويتي لأيس مصور عبيدا
للأدب العربي حلفا فله حبر»

«ظواهر لا تتر الحظارة» عنوان الفصل
الثالث، وفيه أحداث متفرقة عن الأدب
الساحر وقبصه، «ويواجه السلطة صاحب
والدب على قتال مواجهتها حاضرا، كما
يقول قباني، وعن الكاراماروسوفين لدعيا،
الأدب أتاع السلطة كما هو الحال في معظم
عواصم العصرية» وعن حبيب الماشني في
الاحتفال الأدبية بمواجهة العصر، «معتني
تأثيرهم» التحضر لعصر نور محمد، على
«يسف» «معيص الأضواء الزائفة والمزور
المشوهة التي حلقها لنا جبل التسطيع
والتهجير» كما يقول المؤلف.

في «روايتون وروايت» يلمس المؤلف
بعض الضوء على رواية نجيب محفوظ الجربة
ورحلات ابن قطونة وأعمال الكاتب
الانكليزي غراهام غرين وشخصية الجالوس
السوفياتي كيم فيلبي، ومجموعة زكريا تمار
«النور» في اليوم العاشرة التي تشكل قصتها
السياسية: «التصور» «ومسح» لهم
شخصية المر الديمقراطي. زكريا تمار نفسه،
وعلاقات الممارك التي حلقها، ورواية
«جسماني» لسليمان، ورواية تكسر
الشرقياري المعص عنها رسميا وهررب
دوقع ما حدث في يوم القسامة بصر
وشخصية الروي حيال لمعاني، الذي يعمر
قوى أعاق حيله الأدبي مع «أقل موهبة»
وأكثر مهارة في العلاقات العامة، كما يشير
للمؤلف.

عنون يحيى الدين اللافتاني الفصل
الخامس من كتابه «الانحياز يلق بالمدعين»،
وعنه فيه عددا من أمثال الورد التي قلّمها

عليه، بل من رحم الأصيل الذي أنجز حتى
الأد، وعلى أرضية المعالي والحلال

في الفصل الأول المعنونة «بدء الشعر»
والشعر، «يسأل المؤلف ظاهرة «الأشاعر»
المقدسة، والمطردات الثقافية المقدسة أيضا
التي تعرض علينا احترام والأفكار» «مها عالت
صدأ في حياتنا لشعرية وذلك كي لا تنهم
«والبردة» الوطنية والتضالية أي «المروق» عما
هو مركز، فترانا لا ننتقد سمح القاسم
الذي يقدم في لندن قصيدتين لا تليقان
بشعره، ولا تنفخ عند البياتي الذي «يدور
من نفس الحلقه الفرقة التي حبس نفسه فيها
في أيام القاهرة» ولا تكشف الضحالة في
قاسم زرار قباني شعري الذي «لا يجاوز
المثاني مفردة، الأمر الذي جعل الناس
يعيقون درعا «شعر» وكتبه لأن ما يرويه
من عداق التفاصيل والرواد لا يجرع فيهم
شيء مع أن أول بديهيته الشعر إثارة
الظلي، وتحريك عوالمه الداحلية»

وفي الفصل نفسه يعارض المؤلف أولئك
الذين يرفضون الاعتراف بالقيمة الخرة وأو
قصيدة الفن بحجة عدم تعلق الفراء «أو
وعصودية انتشارها بفسوله: «أن هؤلاء
الباحثين عن انتشار سريع أن يعرضوا أن
تسرات ألف عام وأكثر من رسين الأوزان
والنقاري لا يمكن عمو، أو الفرض موقفة، في
دع قرنا

وعلى وقوف اللاذني، في جانب القضية
الخسرة، ينفذ إلى حبس الشعر العصاني،
مقدّم ثلاث ساحة منه، ومعرضاً بتألق خطر
له، على عرصة، «إعلان صوت الشعر
الغنائي»

لشاعر الانكليزي. ت. س. أليوت.
وحائرة ألفريد نوبل، والدكتور عبد الكريم
الأشتر، والشعير متولي الشعراوي، وأحسن
مصصور، وسليمان المرزلي. هم محصور
الفصل الثاني «مواقف وشخصيات»

ويبحث المؤلف كيف يتراكم ريف نحو
تقليد ت. س. أليوت، ويحسرون له
مكته الفاخر في ساحة الأضواء الممعة التي
تستوردها ويكرمه في حجر، «يكشف بله
لشأ حيويا ويميد السطر في تقويمه لكل ما
قدم من إبداع» وليس أعرف من ذلك،
عند اللافتاني، سوى التذامع بالمايك من
قبل الأديان لسليمان جائزة نوبل. ومطر

وتناقص مع الإعجاب التساهي شعر أحد
فؤاد حجم وهو الحمول في معظمه وجعلت على
السباحة بل والياثر منها بشكل صارخ!
ثم ليس من المصادفة أن تكون ترجمته
«المورور» تركيزاً تامراً بالكثيرة موضع
مهاة ضمناً أو عدمه - في حين يحصر
فقرات لروح مارب الغرب في ترجمة الأعيان
الأدبية العربية وسواها الحبشة في مساق
الحديث عن ترجمات أعمال جلال الفطاني!

وإذا كان «السيد حسبر» لا يعجب
بالأسلوب الساخر في الكتابة ولا بطرب
للحلمة إلا إذا كان لها شكل ملمور، فهل
تؤذي معارضة فوق «السيد حسين» الأدبي
إلى هذا الحكم المطلق القاطع الشامل -
والفهم بأن «الأثر الأخلاقي» والفهم التي
فرستها مسرحيات أرسطوفان الغزلية في نفوس
الأغريق، كانت أكبر وأنس من كل الدموع
لدي ذوقها الناس في ترجمتيه مسجلين
ويرويلس؟ وهو ما لا يمكن - موضوعياً،
كي يسم تباين الأحكام النقدية وفقاً لتباين
للساعة الأدبية - أن يحسم الرأي فيه لشدة
وأكثر المؤيدين لأدب الساخر؟

بعد ذلك، فإن الكتاب غنيح حاف،
وعرض حافاً، يلم ليبي، ويجرب ليسوي
الطراب الذي يراه، ويشاقب ليوطف حقوقه
من سبائنا وبهيبها إلى شعيرها المنكر، وهو
في كل ذلك لا يشغل سجيانه التصفية
فحسب، بل بكل حيواتنا الأخرى ومعاهيره
العديدة

أما مدى اتفاق القراء والأدباء وانتقاد سع
ما جاء في الكتاب... فنظك مسألة أخرى
تماماً، لأن مريب الفرس عبد اللائقاني وتقية
الأرض من الأنام التي روعت أمام الأجيال
الأنية وإثارة الجدل والحوار، بل وتنظير
الحلقات كي لا تكون مواقفنا ولقاءنا
القاسم في لندن صفق للسياحة لا للفرح
كان يمكن أن يؤخذ كرائي لولا تناصحه

كتب معظم المقالات - دون مواوية أو تنويه
أو تظليل، إذ وفي المارك المبدئية - يقول
المؤلف في تقديمه - لا يمكن للمصاحمة
والعمرة وتظليل القضايا الجوهرية بطفة
خارجية برقة تنبذ اليب القاسم.

ويصور المؤلف أزماء تلك بلغة حادة،
صدائية، جائرة أحياناً، مما يدفع قارئه
اليوم أو قارئه الغد إلى أن يشاء عن مس
هذه اللغة الحادة والرؤية العالمية للواقع لتناق
والغضب العارم الذي يوشع الكتاب،
فيجب المؤلف بأنه لا مدّ أن تعرف الأجيال
الأنية بعض التعاصيل التي لا يعرفها إلا
النس عايشوها، واحتقروا بشايرها، وعامروا
بكتبة هذه الشهادات الخاصة في رسم كتاب
للمرور التي تحسها هذه القاتبات أتباب
وعمال وشرة أدبية قادرة على التشريد
والفصل والمفارقة.

ويسد أن السباحة عكس التيار تعرض
السباح - بالضرورة الناشئة من الانجذاب
لهاكس - إلى محاور ومسرقات ومغيبات
سبب بسبب - فإذ صفت قوة حركته
وحجبه - وفي هذا حدة نعمة - يرى
المحسود - تين لنا صمد - في حيللات
لأرلاي يعرف دون ملأ من صمد
لقرولي ليس أرسطوفان كتيبي لا لتصفية،
ولا اسلطي من كتيبي زايه موصي وحواظير
بالصفاء العربية حسب لكه فوق همد
اذكي فساد الشعر الذين قاتلتهم في حياتي
سورعه بين رس حبيبه ورس بسده
ورأس الرجاء غير الصالحه فيه من التعميم
وإطلاق الحكم ما لا يمكن أن ينطبق على
ناقد، أي ناقد كان، مهما علت قامة الثقافية
وانتجت مواهبه. خصوصاً أن من قايهه
اللائقاني كتابة أو شخصاً ليسوا بالقليل حتا!
وتفصين القول أن من صفق لسميح
القاسم في لندن صفق للسياحة لا للفرح
كان يمكن أن يؤخذ كرائي لولا تناصحه

إنه بعد سنوات طوال كاسطورة... وذلك
لغوة شعره وأصانته على عكس التفتين
المحبين الذين يتسابقون على الكتابيب
الثابة والانتيرات والشهرة السريعة الباعنة
التي توفرها وسائل الإعلام الرسمي لغوة
الداخيرة.

من تحصيل الحاصل القول بأن التحجيص
الصديق ليس أكثر من إشارات وعساوين
للموصوعات الغنية التي صمها الكتاب. أما
فتراته فتستحق شلالة في أن: النصبة،
والدهشة، وإثارة الجدل. أما المتعة فمست
من لغته البسيطة المعرّة، وأسلوبه الرشيق
الذي يبعثك في أبّ للموضوع عبر صياغة
مريج من الفص الحكائي والمخاطرة الصعابية
والشاعرية. وإلى ذلك، فإن ثقافة
عبي الدين الواسعة في المؤلفات التراثية
والكتابات الحديثة والمعاصرة قد مكنته من مدّ
المسور للقراريه كي يتخل عليها ويحول دون
هذه بين أزمان ومراحل وشخصيات ومواقف
انصرفت وأخرى شبات وتشتكت في زاهر
حيات

إبه إلى المتعة الخاصة أن تغلب موضوع
الحزين إلى الرور والأحة في تحولاته ونشلاته
مد على من زريق البدائي مثلاً، أو ترح
مع متعة الكلام وترى إلى المصمت في حيات
المعاصرة كيف راح ينهض وصال المحادثة
الديني، أو تنفك مع لحظات وهام وموح
واعتراض - لا رثه - كما في الموقفات السبع
التي وقفها المؤلف في الفصل الخامس من
كتبه

وأما الدهشة، فمن النقد الحاد والمعارضة
الضربية والألمام غير المبط لأدباء وأعمال
أدبية تصدور، وتصدّرت، على مدى سنوات
طوال الحياة الثقافية والإبداعية في العالم
العربي. كأندونيس والياباني وصميح القاسم
ولويس عوض والجواهري والطيب صالح
وجلال الميطلي، وإلى ذلك تهيئة عدد من
الظواهر والحالات الثقافية التي اعتادها
الغزاري العربي أو عزّز عليها في مسيرة النقد
الأدبي أو الحلات الإعلامية المركزة

وأبّ لشره لحمد فتولسد من عواين
انكتب، التريسي وعكس البيار، والفرعي
ومتناعت تقدمه معاصرة وإلى آخر صفحه
مه ذلك أن موضوعات الكتاب متزعة
سألاز المعاصرة، والمتناوعات المعاكسة
للسائد والمألوف، تشبك على الدوام مع
للقاهم والظواهر والفهم النقدية الأدبية التي
عنت حقيق السبعيات والتأنيبات - حيث

يصلد

الجنس في القرآن

ابراهيم محمود





عموماً، والعصبية في وقت ارتكابه للجريمة
على وجه التحديد.

ربيع حابر

رواية وثائقية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

2017-2018 - 1998

■ رغم إعطائها في هجوم التوقيف الفعلي للأشعة لفصلها، لا تفقد باكورة يوسوف سلامة الوثائقية للدنيا في الاتهام والمحاكمة

■ عازلتها لثباتها في وضع اللبائيات الخاصة إبراهيم طرفة طرفة، والأوضاع والظروف التي أحاطت بعملية تنفيذ الحكم القاضي بإعدامه في حديقة الصانع على بعد أمتار قليلة من البناية، حيث شققت صائليه التي شملت «الجرة الرائعة الرقعة التي تذكر بحجرة أخرى ورواية أخرى»، في سبيل الكشف عن الحقيقة وفي سبيل وضع الأصبع على الجراحات والتشوهات التي يتعرض لها سيد العدالة دون نقاش، على يد أساس يعرض همه أمة الفراق، أكادوا مشرعين أم معدين قصاصاً (أشرطة)، وكل ذلك في قالب روائي للذيد يسهل بكتبته حصل حرقاً بالصعود والسيارات الحديثة في مشهد مغلف بالمشهدات المشجعة لتأديت، ويظل محموراً في الذاكرة لأن «الشعوب التي لا تعرف من تاريخها إلى الخرافات والأجناد الضاربة في شعوب لن تكذب لها الحياة» (ع. ١٩٩٠).

«جسرة في البيت» موجودة في الأسواق وهي مثل أي كتاب منشور - موجودة في الأسواق - لنقرأ لتدقيق في صيغة أو كلمة واحدة، ومعرفة إلى أين تجرّب، وهي إذ تجعل من اللغة الجاهزة بعضها البعض، لا نهي يتناولها الجاهز بل هو الأسامي، لا يتناولها الجاهز الذي يمكن للصحة منها أن تمارس سلطة جبهة خافرة على غير عقل الفراء، بحيث يصبح «قارن» وقارنته بلوم في الأبد - وهو صريح (الأرواح البيضاء) تحت الخبر الصالحين علم كسطة لتطلاق وكقاعة ترح الحديقة باحاليال وأخيراً، وضعهم له إبراهيم والدانت، إيهاب، عرفها حتى «رواية وثائقية» قبل أي شيء آخر، مع تلك طميط التي لم تختص -

وحي يقي لنا - مع الفراء الملتصين -
 حسب تشبثت - حق الحلم ومتمعة تركيب
 الرواية الأخرى - الرواية الجميلة الخفية التي
 تقع خلف - بحرية في البيت - والمروسة
 يحيط دقي إلى سيرة المؤلف الذاتية - وحده
 في - في سقائه - في رواية عظمى
 تصنع وهو - واقع في زاوية غرفة شبه معتمنة
 وعدا قديما من مجلة الحوادث - موقع نظره
 على صورة - إرسال الأمن بلباسه
 الرسمي - يفهمه الشاب المنضبط في
 أكتافهم ليشاهد في أسطرحة قبل الشقة

(ص ٢١٥)، نقرر أنه إذا ما نجا وصفيقة - الدكتور منير شياحة - صوف يكتب قصة إعدام هذا الشاب الذي في الصورة. هذه القصة التي هي قصة وجوده - لاها بساطة قصة - لا تليث تفكر بذاتنا هو آخره، ويوجه شبهه وشبهه فكأنه هو هو، ويؤلف اسمه بومس، ويختصر يديهي إسكندر أو أنسي أو

حليل أو إبراهيم، ويسانده مؤمن بالسلطة، بالقاتلون بالنظام، بالمسلولة، بالمعدلة، بالحريّة، بحقوق الإنسان كاملة غير ممتزجة، وبآخر - هو هذا نفسه جوتش عن دجال، عن سارق، عن قاتل، عن مجنون، عن صانع، عن عجم، ليفي إلى جاته، وأصا الموت عاليًا دفاعاً عنه (ص ١٦٨). □

الكثير بالقليل

بسام حجار

شيء. وأن يكون التخاطب بين الطائفتين أن يجس متكلم سوراني أنه يخاطب مخاطباً سورانياً، فيما هما وحسماً مطا بين الأقسام لمطاطة (ص ٥٤) - عر أن - مسوحوات لمطاطة، هي الترابية احدة في الحسوم، والرسوم لمطاطة هي أشكال العيان إذا نثيت عابت، حير بمطاط القاتل، وأحكم عليك بالروية الباهرة. أن لا يوصف احاصر ولا يمتك الطاهرة (ص ٢٥) والروية الباهرة للترابي عمت والطاهر ملتكم حضور لأن لا طاهر موجوداً إن لم ير رؤية الانتباه لا الانتباه. إذا لا تبصر الأشياء، وما تبصر منها، وما من شيء وراء الضوء المنبثت منها، ليس وجوداً أو حضوراً أو شيئاً. والوصف خبيطة الظن والحبيان، الوصف باصرة الأعين (حق الملك معصوب العيسين)، والكتابة استبدال للعيش.

كل مخاطب وسري وموصوف وهم في وهم. والحالة (وليس الحال)، على ما بلغ عليه عنوان الكتاب: «أن نحا امتداد اليوم العادي، طرح بالتوضيح كل صباغ ورؤية الأماكن نفسها والسير والسمع والعمدة مساة ليس أكثر» (ص ١٧).

ذاك هو المكمل الذي يسمى نشوراً، والمكمل، حصل ما دلت عليه الإشارة، حادث. ليس قديماً حالاً مقبلاً، بل عرص يتولد منه أو هزيمته، ثم يتزول. وكتاب الحالة سمي وراء القول إذا كان قول العرض لا قول المقام. ومن هنا ربما سوق العبارة على اتصال لا يقطع الوقت وإن رُسمت سلاماته، وصوغ الجملة في موصول آل التصريف الذي لا فكاً له كان أنطوان الموصي لا يوفق إلى العبارة إلا كتلة من المعنى فلا يفرق أجزاء منها لتكسية أو إضافة، بل يسج خطيها موصولاً إلى تمام مقفها، ونظام القول ليس تمام القول، بل تمام بعضه في صورة ما يرد به بعض لا كل له، ويؤكد ما مفرد لا جمع له، وواحد لا جمع له.

ولا الذين ماتوا ماتوا حقاً، ولا الذين ماتوا حقاً لم يموتوا (ص ٥٢). لم العبارة إذا، وليس قول الأحياء قولاً ولا صمت للون صمتاً خلاص كل شيء، «خرج كل شيء عبا هو فيه» (ص ٦٩) أو ربما هي الإقامة في دائرة ما، في متصيف ما، التي توصل ما هو واصل إليه (ص ٧١). ليس معجناً أن يكون كتاب أول هو الكتاب. أقصد الكتاب الذي لا يسبقه مثله

(نشرت أو هيما): «كل ما عبر مرمرى بالغباب. كل ما عبر مطعون يفتقد ذاته» (ص ٤٨). والعور أيضاً مستحيل، فما من أولمه وكيف يسمه العور (فرناندو بتروا) إذا يُعبر على استحسان لا يمكن فيها إلا اليقين الذي نعر عنه إشارات هي أطراف أو مزاعم أطراف، القول قد يتواصل إلى ما لا نهاية في معرض محبيه وراء قول الاستعلاء، «شيء ما لا يُقال: فمن يُعلم لا يكون هو الذي، الذي يُعرب ومن يته بالناظر لا يتحول إلى ما ينظر» (ص ٣٣) يقين الحسرة فقط، أي يقين الاحتلاح الذي ربما كان أثر الحد، وهو في اللغة صم، وفي الاصطلاح قول يشتمل على ما به الاشتراك وعلى ما به الامتياز (التبرعات، الخرجاني) في وقت معاً ولعل هذا ما يوضح ترجيح الاشتراك والامتياز اليقين الذي يكتب عنوان الكتاب الخاله لم حالاً؟ ليس هنا تأكيد لوان نهاية للمعنى وندية للتبديل (كما في اللغة) وليس (كما في الاصطلاح) ما بين الفاعل أو المفعول به لفظاً، بل، ربما كان ما يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتناب ولا اكتساب، دون أن يصبح مقفاه لأنه الحية التي ترد وتزول. ويوجه الحيرة أخرى. إذ ليس للحال (الحالة) كتابة، وللمقام كتب وأمايد فكيف يكون عمداً هذا الجمع بين استحالات حق في القول الذي يبدو، هنا، يقين الحيرة والاحتلاح؟ وجوابه (ص ١٠) أن لا يكون من شيء وراء هذا الصو المصاحف، الساحر، المجه، المنبثت إلى من هذا المشهد (ص ٥٩). أن لا يكون من

كتاب الحالة

شعر

أنطوان الدويهي

دار النهار - بيروت ١٩٩٢

■ في عسارة، وسُمت إشارة، في متن الكتاب يحي، ما يلي «يقول المائل: كيف في حفظ كل هذا ويسان كل هذا» (ص ١٩)، كأنها مفتحة قول أنطوان الدويهي في كتاب الحالة وختنامه. فلا ميراث في ما يكون غير قابل لتعطف وتليسان، بل البدد الذي هو عرص القول في شدة القول وأصله وربما، إذ يمتنع خبر معشر سامر، لا يخلص لقتال إلى أكثر من هذا «الآلاف هو ما يصح» التي والأكثر هو ما لا مثله.

لم وكتاب الحالة إذاً لأمرين لا راد لها، على ما نحسب: بيان الأكثر بالأقل، وجع النشر في مبتداً نلشاه. ولا كيف يشتمل وكتاب الحالة على تجربة أكثر من حشرين عاماً من الكتابة، أو الأخرى، من حيث الكتابة؟ فمثل هذا الاشتغال لا يعني جيماً إلا في كتاب، وسواه مبتدأ في الأنا، التوافر، التي لا تجتسع. لثلك نحسب أنه وكتاب الحالة كتاب مستحيل، ووجه الاستعلاء فيه، ولا يمكن طاهر، جملة غير حادث، في معارضة عبر مقصودة لإشارة منه «يا قول الاحتجال كل ما هو محسب الحادث» (ص ٦٦)، ودعوة القاتل صراحة: «دعوا العابر عيبر وصيفاً» (ص ١٠٠)، (ص ٧٥) لا نحل العور ولفعه إلى سنن وشي، بل تقوّم مثله (مثال، ربما) في القول الذي هو نشر



كتب

التاريخ، وبذاكرة الكاتب على جيد سواء هل تذكر قراءة هذه الأوراق بعيداً عن قمره ملاح للنبي البدي عاشه الكاتب، وعاشه أبا، شمه طول نصف القرن الذهبي؟

أطلق آل بيل خوري في «أوراق الشتاء» وهو ترك لداكرته حربة اختيار الجنس الأبي لذي نشأ - إما قدم مملحاً حليلاً من ملاح الاعتبار الملطفي، الذي كثيراً ما نمله الكتب في رحة العالم باليومي والعابر من الأحداث السياسية، حتى كاد يغيب، إلا من بعض كتابات قليلة لصل أهمهم روايات جبراً إبراهيم جبراً وثريات محمود درويش وتخصصاً كتابه المعروف «ذاكرة للنسيان». هنا يقدم بيل خوري إضافة هامة، خيلة وكثمة، لأدب يجمع بين استحصار الأحداث من الذاكرة وبين المعالجة الأدبية الخيالية، وهي تجربة أريد ما يقاربها في كتب جبراً إبراهيم جبراً الجميل من بيت لحم والشر الأول، والصادر أيضاً قسلاً سوات قبيلة عن شركة رياض السريس للكتاب والشر - تبيل خوري، في هذه التجربة الجديدة، يفتقر عن زميله جبراً في حرصه على عدم تتبع غيط الذكريات في اتصاله السليم الذي يستولي الحدث ويجمع أنشائه، إنه ينجار من الأحداث ما يشبه ابتدائها وصورها لذاكرة قلقة. تأخذ من هنا وهناك، وتبدع صياغة هذه العوالم الخيالية، على إيقاع البراهم الذي يهضمه الكاتب بدل الشتاء، إذ هو وراه يتبعه كثيراً من ذلك الرمان الهبي، زمان الوطن والمدرسة الأولى. وأترب الطفولة وطمانية العيش

يبدأ بيل خوري أوراقه بثلث الورقة التي تصف حالة الخوف من توفيت الحياة فجأة، فيما صاغها من أولئك الذين ينجون الحياة. تشوه هذه الورقة أطول مساحة بين الأوراق الأخيرة - إذ هي تأخذ دور محور - ويقدّمها بيل خوري فيها يله استهلالاً روائياً شائلاً، عمل قارئ الكتاب يمتد حلال فوراً - أنه أمام عمل روائي، ومع ذلك من واقعية حقيقية من «أوراق» آخر لكتابه خصوصاً أن بيل خوري يقصد - في تعديري - أن بعيد دور بيل ما يشبه الرمي الوافي، إذ يذكره بين وقت وآخر، بأحداث واقعية حقيقية من حياته، مثل حديثه عن رواياته وتخصصاً وصارفة الصغار، التي يستمد مقاطع من مقدمة سعيد عقل لها، وكذلك حديثه عن مجلته للفرقة «المنقل» والتي توقفت عن الصدور

الشعر وحن أعظم من مظهر مرعوم لتعدد أو وحدته، لا تسأل اليوم عن من صيرف وإليه، رغمًا. اكثار ما تسميه الشاعر الصديق كرم عيد، بالقرع الشفعة، التي ليست، في ذاتها، عيرات قصيدة الشعر بل ابتكاراً تخيالياً متصلة منذ الستينات إلى اليوم

أنطون الدويهي في «كتاب الخالة» تجربة في الشعر العربي، تتلمذ بحر أبض □

ولن يديه مثله لكتاب أراد، هي خطأ أو هي صواب، أن يجمع «مديونية»، إذا جازت العسارة. في ثمة صفحة، هي «كتاب الخالة»، ولا بدني ما صلة اختيار كتابة مثل هذه باختيار العيش الخائل. ولكن المؤكد أن أنطون الدويهي خرج من «المظهر» الذي أراد أن يقيم فيه طويلاً، بقاء عذابين هما حد بلكتاية (شعر أو نثر؟ ومَن منّا يلد؟): حوت ملكته حتى جعلت له ما تشبه شيئاً مما يرسم في لغات راحة اليوم لكتابه

المحطات الهاربة

رأس المدهون
كتب من فلسطين

سمر في من سداة الله حه كتب بت لذكره التي استقبلت سنوات العزوب طيلة التي تهل عليها قمار الأهم، كيك لا، وهي دارة كتاب والصحاف، وصل دت وبعد، دة حصل في مدرسه سهد طولة العال طللت شاهدة عليها، القفس وكان قد نسي كل شيء عن تلك المرحلة في حياته لماذا تعود إليه الذكريات الآن؟ لماذا تلح عليه؟ لماذا تنطق بوابية عقله هذه القوة؟! في حياته كلها، لم يستعرض مفكره، كما يستعرضها الآن. لا شيء غيرها فيها طولة كطولة التي طلل ورد في القفس سهد إلى القفس الأقصى، ورى كيسة القياسة كل أسوع، وكبتها حرة متصد سدره في ساحة المسند الأقصى كد بلغ مع رداقه، وفي مدخل كسة انسيه كان براتب النياج القفص من أقصي الأرمص «أوراق الشتاء»، وهو بعض من أوراق بيل خوري خاصة، لا استطع معه إلا أن تعود بذاكرتك إلى رواياته، وخصوصاً «حجرة الخصم» بالكتاب - مع علاقه من ذاكره شحيحة واستغاثت ذاتي - بكى، تقرأ على لكتاب، بل إنه جعل المكان زمان يستعد، شي بأكثر وحيرات، به مكان يبع

أوراق الشتاء

مذكرات

نبيل خوري

رياني ايريس لكتابه ونشر بيروت 1992

■ لا يجد قارئ كتاب بيل خوري أحميد دور في انشائه، فانه ترحي من تحت عن صديق يكتسه أن بعضه تلك الأوراق في حده ومن ثم يجد إلى «الراحة» بيل خوري القاص والشرواني والصحافي لدائع الحديث، يقدم للقارئ في هذا الكتاب كتبه مخبئة، لا تحمي القاص، وإن كاد لا تفل له، ولا ساعد عن أسافة مقالاته الصحفية، وإن أقبلت من عديد «حصة لأساء»، كي يستعد هو في وضعه عزير لكتابه هارب من بين يديه نكتب بيل خوري - من سعدة شمه معة، شمه معة، ما ياهد الحياة الحفرة التي يهددها الموت كل لحظة في عرفة يستشفي «إساريس»، حيث حصص لعملية حراجه في القفص من تحت الحظاظ لي تستشرق شوت، يهين شد الحياة، مقده أكبر، لبعها فوة الإزادة التي تستعد حدة

فمن سرت قبلة - اعتقد أن هذه المراجعة من صورة الحياة في ذاكرة الكاتب، وهو واجب العيش وخلفاء الموت، مع أحداث واقعية عاشها صاحبها، كما حطاً مرفوعة استطاع أن يحوري من حلاله أن يعم شيئاً من سيرته الذاتية دون أن يكتسب سيرة ذاتية تماماً ومع أن كثيراً من سيرتوان هذا الكتاب يستبحون عن «سيرة ذاتية» إلا أنني اعتقد أن هذا الوصف لكاتب بيل حوري لم يكن بكونه فيقال، لأن الكاتب لم يقدم استرجاعاً لقصة حياته، بقدر ما قدم حالة أو كسرى كذا شبحها يتحول بين صفحات حوري لم يكن يعصم بروح الكاتب في بارس، يفت بيل حوري أمام سيرته حياته، فلا يختار منها إلا لحظات الفرح، تلك التي يمكن أن تكون طيفاً خيالياً للمعنى الراسخ. إنه أن ذلك يشبه اختياراً وكافلاً، الشاعر العربي المعروف وإن بطريقة معكوسة، يرشد فيها الأخير إلى الرهاش الذي تشكلاً لا شعوره للقاءه، خلفه وراءها صف شعور عطفها، يراها نيل حوري أكثر إضاءة وإشراقاً، هي شعور الزمان الجميل على أرض الوطن وبين الأهل والأصدقاء ومرامع الطفولة التي صارت بسبب من وسلة النفي ولقوته نبع الإبداع بالنسبة إلى الكاتب، الذي يعود إليه ويستمد منه يكتب بيل حوري أوراقه على شكل خاطرات ذاتية، ومذكرات شخصية يصرح من الفكرة والمخاطرة، وبين الرؤية لمطالعة لدرجة جعلها الحب، الذي يمزج الإستعانة بالرأي - فيها يشبه تداعياً مستم من أية رؤية، تداعياً يتنوع قوسه بين عدد من الموضوعات الفكرية - والفلسفية الثقافية التي السياسية التي شغلت الحياة والبأس في العفوية القليلة الذاتية وصارت عظام هامة لا على الصيد الناعم فقط، ولكن أيضاً على صعيد الحياة الشخصية لكل واحد منهم.

في أوراق الشاء - من خفيضة حياة الكسار في مجالات مختلفة من السياسة إلى الشعر، ومن البناء والموسيقى إلى الصحافة إن نيل حوري الذي عاش في بيروت، في سنوات ما قبل الحرب الأهلية الطويلة، يستمد شيئاً من صورة الحياة مع كركمه من حجوم الصحافة التي كانت مردهة، والتي

كان لها تقاليدها العريقة، وهو استدارك يجمع بين الحوري الشخصي الذي توجسه لحظة الأقارب من نوت، وبين الرؤية البعيدة التي تقدم للقارئ، مساً تقديماً خيماً، بعالم بعض الأحداث الثقافية - أو في الآخر - يقدم شهادة حياتية عليها. وفي هذا المجال يورد الكاتب أسماء كتب وصحابين عربهم في حياته المهنية الطويلة، من أولئك الذين صمروا مجد بيروت القتالي والذين صاموا هذا الصدر أو ذاك في صنع جهتها: «يوسف الدكريات قليلاً، ليهود إلى الشعراء، إلى صوات صداقة لمساعد عقل الذي كتب له مقبلة روايته الطويلة الأولى والصحاح الأورق، تلك الرواية التي شغلت سيرت مفتحة وكتماً، وظلت ولا تزال علامة فارقة في حياته، وإحدى العلامات في أيوب الحمصيات». وفي لا يكتفي بيل حوري من هذه الملامسة الخفية، فإنه يعيد إلى شتر مقاطع واقعية من تلك المقابلة، فيضج أمام الغزاة صورة الحياة الثقافية في تلك الأيام، «نت من سرج الفقه في كتب شتة، والتي لم نعد نجده في وقت هذا، بل نلته في كثير من الأحيان إلى خفيضة المسائر كطيف من الذكريات التي يهدها الكاتب عن مذكراتنا وعلمة من عيون وعيد وبعد حلقه حلقاً وهو ذكريات قدس إلى تدعيم رؤية معبرة لأهم أسماء جيله، حين يتحدث عن رأيه في الأغنية الجديدة من خلال رأيه في حلقه غنائية صغرى في الفاعرة للمعنى الشاب عمرو دياب. نيل حوري الذي يصطف إلى جانب ذكريات أبيه، متأزماً بصوت محمد عبد الوهاب، يعود من تلك الحفلة الغنائية، فيها يشبه الاعتذار الشخصي من الأجيال الجديدة، وكأنه يريد بذلك أن يشير إلى أهمية التي باتت تقصر بين الأجيال العربية على مختلف الأصعدة، وخصوصاً على الصعيد الثقافي، وهو مشهد كان يمكن للكاتب أن توسع له مساحة أوسع، إذ هو مشهد ينسج لوحه كثيرة من حياتنا الثقافية بأساليبها وجموعها، ولكن الكاتب، يقدمه فيها يشبه لقطات سريعة تبدو في أكثر الأحيان مسطرة، مقطوعة، أو كأنها امتقالات محانية بين هذا الزمن وذلك، بين هذا الوجه الثقافي وذلك. هذه الملاحظة تطال في الحقيقة - المسار العام لأورق سبيل حوري، التي - رغم لغتها الطازجة الحيوية - ظلت أوراقاً مرصعة - تحمل كل ملامح الدرعة، وكل اختصار العذالة، والتي

تجعل الكتاب شهادة متوترة عن سيرته في بعض المحطات، كما تبدو عند حديث الكاتب عن الصحافة الثانية مثلاً، حيث يقدم مجموعة من الأسماء اللمعة لنيل ارتسخت حياتته بهم في فترات وصية معينة - ولكنه لا يقدم للقارئ، إلا القليل من الذكريات التي كان يمكن أن تضيء جوانب من تلك المرحلة الهامة. كذلك يمكن الإشارة إلى «عضوانة» ما، حكمت تقلبات داكرته في الثقافة في تواليه للأحداث والأشخاص وإن كان واضحاً من سياق الأوراق مجتمعة أن الموضوع الأساس الذي قل يشغل بال الكاتب ولا يزال هو الغربة، بكتبات أكثر عديدة ما حوته القفوة والمستعارة في هديه الحبيبتين القدس وسيرت. هنا يمكن القول إن بيل حوري لا يكتاد يتعد حتى يعود إلى حديث الذكريات عن هاتين المبتدئين، عن سترات وقولته وشابه فيها، متأزماً بين أهم الشخصي والمذكرات الذاتية وسير الموضوعات العامة وأحداثها الكبرى وخصوصاً السياسية التي يفتح باب الحديث عنها وإسماع موضوع مرة وموضوع بيروت والحرب الأهلية اللبنانية مرة أخرى. اعتقد أن محورية موضوع الغربة في «أوراق الشاء» تابع الأساس من انتهاء الكاتب إلى الماضي والتصاله الحميم به. سوع من عودة حديثة إلى رواياته التي استطاع هذه الأوراق الجديدة أن تفصل عبق لا تستطيع فككتة أن تكون حديثة تماماً في كل مرة؟ وهل في إمكان التائب أن يخرج من جلده في كل كتابة جديدة؟

من أجمل فصول الكتاب، وأكثرها التصاقاً بعنونه - الورقة الأخيرة التي تحدثت عن الحب، الحب البلي لا يتصل بزمان الشاب، ولكنه يشغل تحت الرماد، قاسماً لتلاشعنا في كل لحظة، ثم لا يلت في حريم العمر أن يثقل إلى نار من جديد، ولكن بعد فوات الألوان هذه المرة. هو هو الشتاء حقاً

بيل حوري في «أوراق الشاء» يقصد أن يتحدث عن ذهاب خارج الحياة. ذهبت العمر، وذهاب الشاب، ولكنه بلغه الصدى التي طبعته كراتيه، وبخبرة داكرته التي تندع بالصور الحسية، يدخل من جديد في العمر الأجل - عمر الشباب، يعطله الزر واعتباطاته المتوعدة، من الوطن إلى الحب، من السهر الطويل، إلى الشعر والنقصة والصحافة □





كتب

عوانس تحت الطلب

عمر شبانة

اعتماد الأشياء

قصص قصيرة

نسخة النور

دار الشروق - عمان ١٩٩٤

■ طلت القصة القصيرة في الأردن، كما الشعر، منذ الستينات حتى أواخر السبعينات، تخوض في الموضوعات الكبيرة والعارفين الغفظة، سواء على صعيد الملم السطحي العام، أم على مستوى المضمون الاجتماعية، غير أن جلا من كتاب القصة القصيرة، في مرحلة السبعينات أعلن المفارقة ودخل عوالم ومناخات لم يسبق دخولها من قبل، ولكن ما أعلنه أجبل اللاحق، جيل مرحلة نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، جاء معيار، إلى حد أبعد، وفي طبيعة هذا الجيل، أحدث مجموعة أساء سلبية تمثل حيزاً أوسع في ميدان القصة القصيرة، فظهرت - فجأة، وبلا مقدمات، تفريداً - أساء عدد من الكائنات اللاتي يمكن المفارقة بالقول إنهن اخترعن حواجز وجدوا في تكن حرقن من قبل - فاستاء ما كتبه سهر التل في الثمانينات، وما أثار من مشكلات وروايات فعل، حول مجموعتها القصصية «المشفة»، لم تكن أي من كتابات القصة قد حُررت من حيز التهميم والاتفاقيات والغمغيمات غير المبررة.

وسمع وشققة سهر التل انتشرت برواية جديدة طامها الجراحة والمفارقة والدخول في المفارقة على مستوى المضمون أولاً ثم على صعيد الشكل الجندبي القائم على التلطيف والمروبولوغيا ولعبة التشظي. وقد أثارت بمجموعتها هذه قضية استجبت عليها السج عليم مع وقف التنفيذ. ذلك لوجود مفردة والغفظة الذي يلتصق مثل جبل المشقة كانت هذه الفاتحة إحدى القرائح

المشفة للدخول إلى عوالم مختلفة من عوالم للشقة، لكنها في المحصلة، وكما اعتقد، تصح البوابة العريضة لإبداع مغاير، لا على الصعيد نفسه من الجراحة الموضوعية والمباشرة، بل على صعيد التعمق في حالات المرأة وطروفاً وتفاصيل علاقاتها بالعوالم وبالرجل من جهة، ومن جهة ثانية على صعيد التجريب في أشكال وأساليب السرد والقص والفهم الجديد للقصة وسببها

من بين الذين أخذوا يرب اسم مجموعة من الكتابين - حيز الثمانينات مثل سمعة عموقة رسمت بسور وجيلة عمارية وجواهر ربيعة وحسن بدوي وحرارة حديد

كتب مجموعة باسم «سور» قصصه الأول «سهر التل» قبل فاجأت الساحة أدبية، وروى مصداقاً وتهد، حفظ حديد من الكتابة القصصية لا تشهد، من قبل، صاحب مدنية وف هي مجموعة القصصية الثمانية واعتمد الأشياء تعزز أسلوب عوالم الكاتبة وتقدمها على امتلاك سيات خاصة بها. ففي هاتين المجموعتين، تلفظ الكاتبة بلفظ إنساني على درجة عالية من الشعور باليأس والشقاء الناجمين عن الإحساس بالعبث والالجدوى حياء، وهي مظارة الأوامر والتفاعلات حياء آخر.

غير أن موضوعات القصص لا تتم تماماً بأسلوب ولعة السرد إلى قبل الكاتبة في قصصها إلى خط من الكاتبة التي علماً ما تأتي عصرية، بسيطة، تتوالد فيها الأفكار والأحداث تولداً طبيعياً، لا تتسرعاً. ولكن هذا لا يمنع نسخة السور من رسم الشخصيات ووضوح لخط سيرها كما تحب هي، الكاتبة، من أجل حجم موقف ما وكيفيته حياء. هي بعض القصص يبدو واضحا أن الكاتبة، وعلى لسان الراوي أو المفسدة أو البطل أو المطفة، تسعى إلى رسم العالم وترتيب عناصره دون الأساء إلى وجود

عصر الصدقة هنا أو هناك. مخلصود - ابتداء - هو الإعلان عن فكرة ما تجسد في شخصية. وأعمل أرمز ما يظهر حصص الصدقة، هو ما حدث في القصة (المحدد ١٩٦٨) وهي الأولى في المجموعة.

في قصة (المحدد ١٩٦٨) زوجان مضى على زواجهما ربع قرن، يقرآن السفر في رحلة شهر عسل. ولا يصلان متأخرين إلى الطائفة، لا يجادلان مقعدين متجاوزين، فيضطر الرجل أن يجلس بعيداً عن زوجته - وتنتزع المضيئة أن تجلس لمرأة في مقعد إلى جوار رجل غريب، فيما تقترح على الزوج الجلوس في المقعد البرقم ١٩٦٨، ولكن الصدقة تمكن في أن المقعد المذكور يكون مشغولاً يجلس الزوج في مقعد آخر. وأب الزوجة تجلس جوار رجل غريب في كتلة وحسابات، ورغم أنها تبدو زاهية في الحديث إلى رجل غريب، إلا أن الوحشة لدفعها إلى القيام بحركات لإثارة انتباهه، ولكنه لا يتنه فتنبس بالخالق لعدم إكثاره، ونحرق ورقة تكتب عليها عبارة هي دعوة لقصة، سيرة تمتع لا تسب، وتطلب من المضيئة إصاها إلى الرجل في المقعد ١٩٦٨، لكي الصدقة وحدها تجعل الرجل الجالس في هذا المقعد عجزاً فريد عليها بأنه ينبغي أن يلي دعوتها لكنه متردد وبعب زوجته التي تتظار. ونحن نكتشف أن زوجها لم يكن في المقعد نفسه، نريك لأعضدها أن أرسلت رسالتها إلى رجل لا تدري ما الذي سيقله بها ولكنها، في الوقت نفسه تشعر بغضب بالغ لأن الرجل صعباً، فيما يبر حواراتها التواصل مع زوجها وشموها والغضب من الرد - العدد الذي تلقته، وفق مذهب ليرن فليس الفصل في التواصل مع الزوج هنا مجرد تصدع بجاية، بقدر ما هو تعبير عن الرغبة في التواصل مع شخص آخر، وهي رغبة كاسية في اللاوعي - لا وهي البسطة على الأقل (وأبطال قصص نسخة السور بلا أساء، دالها). والكاتبة رتبت العناصر في ظروف تسمح مثل المفارقة الباحة - وهي الظاهر - سوء فهم، بحيث تترك الباب مفتوحاً على الالتفات.

من هذه القصة، ومن بطولات القصص الأخرى في المجموعة، نجد أن معظم النساء في السب أو عانسات، ولا يتفقن الرغبة في اجتذاب الإعجاب، ويبدن الزهد في فتح العلاقة مع الرجل. ثم سرعان ما يتهاوى الزهد وتبرز الرغبة في المادرة إلى فتح

حولها، وشعران بالحدالان حين يوقف الرجل سايحة ويصعد ليشهد المشهد الكائين ويعدنان بأبي نحو التراجيح المزمحم بالوجود الزائفة صوب مصائر مجهولة

تمثل هذه المسرحية تقدم لنا الكاتبة عادتها وشخصياتها من الرجال والنساء فهي تجمع كل هذه التراجيح البشرية وتجعلها تفقه سخوية أو غصياً، تقول لنا إن هذا العالم مليء بالعبث والحطرات والكائنات العجيبة التي يرى الغرب - في قصة تحمل هذا الاسم - أنها كائنات حشة وغريبة إلى أقصى حد ممكن، بينما هو - المغرب - الموسيقى الفذ الذي يبحث عن إتياء ويخجل أنها تحويه مع غرب آخر، ولكنه يتفهم أحياناً معانيها، وكيف أن بعد مصيبة كادمية التي في قصة حلف الانتالرو امرأة سوسنة وطنية وهي تقضي ساعات في توسر واضطراب تنتظر رجلاً ليس به، بل تنتظر أن يأتي ليحلب الشقة في الساعة الخامسة بعد أن تلتفت حوله، ليتأكد من أن أحداً لم يره، ما يعني أنه عشيق المرأة في تلك الشقة، وما إن تشاهده المرأة الأولى التي تراقبه من خلف شئها، حتى تتهي عملية المراقبة وتضي لتناول عشاقها فيليب أنيق أظفارها في جسد صبية (دب لزرق) . فلماذا أزرق؟ فهو ما ينشغل بتحليل علم النفس، وهي المرأة الوحيدة تلتفت اليوم صور قديم تظهر فيه عروساً، ولكن!

إن نسمة السور: إذ تتألف هذه الأنماط من الشخصيات، لا تحاول أن تزيّف الواقع، أو تخفف الوقائع الخيرية. إن تشرّح عالم المرأة وسجالاتها وجوابات الصغبي شخصيتها والهموم الإنسانية الصغيرة للمرأة والرجل على السواء، وذلك كله غير أدور البرد الشديدة والجديلة. بعيداً عن الأشكال التقليدية للقص.

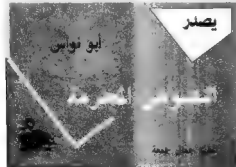
يبدّق، كأن وجهه متجهياً. سارعت إلى التناقل حقيقي، التي جسده حمل القعد مصاطلة، أدركت أنه لا يحسن معاملة السيدات الرقيقات، أخذت قراراً يتجاهل وجوده، تعلّمت بصيق، تعلّمت بحر ساعاً يدي، ألفتها بالغبية المألوف من قلبي، المصافرين معها في (الناصر). كل هذه السيات تفتت أمام امرأة غير عادية. مختلفة. إنكشائية، يمكن لحلم النفس أن يحلل شخصيتها ويخوض معها تجربة عميقة. وهذا أمر ينطق على غالبية شخصيات المجموعة، رجالاً ونساء، وهو الذي عليه تنعقد القصة. عند نسمة السور علة، إضافة إلى ما يتميز به الراوي عندها - وهو غالباً شخصية ذكورية - من رغبة في السرد والثرثرة عبر النجاة

في قصة «الرجل الذي قطع الشارع» كاتب شاب يداوم عليه الكتيب المصور الذي ترع سلك المصنف ليقضي في منزله أمسية خاتمة. وروح يتر وهو يمشي الكتب في مكعبه صديق وقبور. حيرة. خمس قاعات! ما هذا أحياناً من أجله بعض قرائه، ويتابع في وصف عالم الكتاب، والفرق بينه وبين الآخرين، من سمعهم سانس الصليبيين الذي يحوّصون بحر الحياة وتلمسون هرجاً يهاجم جسورة، بينما يجبن الكتاب ومن الاقتراب حقاً من أن يرشقا رقادها! إن علاقتنا بالحبية عذرية إلى حد العجز. ترائهم يعيشونها، ثم نلقي بحقاقتنا على الورق. ويرسل الراوي في فضع عالم الكتاب وترتبه، يصنع الكائين على الثالثة يراقبان الشارع والمارة ويعتقد الكاتب الشاب أن الرجل الذي جيم يقطع الشارع يبدو حالياً من المهموم الكسيرة» ولم يسمع قط شيعوف، وزعم ذلك إن حياته تسير على محور سارة، ونحن أنه انشاع شيئاً خاصاً لروح. ويمتدح الكات المصور معطداً أن الرجل قد قبل زوجته للتو حين عاد إلى المنزل مبكراً وتحيل أن ثمة طعراً، مما يستعمله الرجال، في البيت فقصه إلى سكين المطبخ، وكان ثمة طعام يطهى، فتلى زوجته، وملاح وجهه الخالية من أي تعبير تم بذلك. ويشال الكائين أروماها حول الرجل متشككاً به، غير عاين بالحبية تجري

حوارات تبقى من طرفين دون تجاوب من الطرف الآخر، بل إن تجاوب الرجل يأتي سليماً، متراً، إن لم يظهر قتالاً لزوجه، وغريب الأطوار تسمى المرأة إلى استرضائه، أو قابلاً لإقامة العلاقة مع أكثر من امرأة في آن... إلخ.

قضى قصة «المكحلة التحاسية» امرأة عانس تقطع مسافة طويلة (من عيان إلى العبية، حوالي ٣٥٠ كم) لتسمع عسارة سمعتها قل عام حين كانت في رحلة صحية لنجها وروحة، فتزكح يندمان إلى البحر، وتضي في التسمك في الأسواق، لا لتسوق بل، كما يبدو بخاً من المجهول الغالب الذي انتظروه بأن يأت، فتدخل متجراً ليح التحب الشرقية، وبالصدفة تختار المكحلة تحاسية يرفها الشاب البائع أنها ليست للبيح، ثم يعلن أنها ليست في حاجة إلى المكحلة لأن «عينيك جميلتان للعباسة» فتكتفي هذه العبارة وتضي بها طوال عام تفتدغ عرواطفها، وتعمل حياتها أقل بيأساً، بل تجعلها أشد عسرة إلى الحد الذي يجعل أزرار ماسكة الطباخة رقيقة حين تضغط عليهم. وحدها يخطر على أن تعود إلى المتجر نفسه لتسمع العبارة معها. وتكون المفاجأة أنها لا تجد المكحلة في مكانها، ولا تلقى الاهتمام الذي لفتته في المرة الأولى. وهذا ذلك، فإن الرجل الذي جلست جواره في الرحلة إلى العبية كان جلفاً يرد على أسئلتها بجفاف والتضباب. ولعل أطرف ما في القصة هو - عدا ما تقدم - ما جاء في بدايتها من إنكسار يتعلق بالقدم. عالمة العانس تحطى وجلس مكان شاب يأتي متعشراً ويصاورها القول: «إنك تحلبس في مقدمتي وتنتهي هي إلى أن ثمة فتنة في مقبس العمر تحس في القصد المجاور» وقد قدرت أن الشاب يرد اعطوس بالمزب منها وتذهب إلى أن الشاب والفتاة قد «صحبان صديقين أو حتى عاشقين». قد يتهي الأمر إلى زواج سعيد، فيردان ذات يوم قصة لقائهما الأول.

وتأنيب على ذكرى شيء من الامتنان... هنا يتضاد الحلم، حلم العانس إلى أن تعود مجرد ذكرى في ذاكرة عاشقين - زوجين. وتتسارع إيقاع النص في أثناء الرحلة باستخدام الحملة الإعلامية الصغيرة والمكتنة، وتحديداً باستخدام العمل المائي، وبخاصة حين يصهر الرجل الذي سيجلس جوارها قبل أن تكشف جلافتها، تصف المشهد يصعد المراكب الأخير قبل تحرك الخاملة



غريزة مقنعة

لوحات عاشقة

شعر

عبداللہ خان جبر کی

روما للنشر جلب

■ لو لم يقدم عدنانا جبرئيل للكتابة، لكان ذلك لصاحبه، بالدرجة الأولى. إذ إن مقدمته لم تكن حائلها شيء من السباحة، وكذلك الأضواء الغمغم للبدن لا تناسب وستورتي فضائه، إذ قامت بمحاكاة هذه الغمغمات التي كان يمكن أن تصمم فيلوا بعضنا البعض في شئني هذه التصرّيات: «... وأحب أن أصف بأن هذه اللوحات لا نصف عقبة تتعمق في كسب بل كذلك الحالة النفسية للشعاق في كل فصل». ويضيف في المحصف بعض الشيء: «كنت هذه القصيدة بالعربية ثم رأيت من العالفة أن أسرعها بالكلاكية بقية لتعريف قراء هذه اللغة بأذواق الشعر العربي العرو الحديث».

فهو يقرّر ذلك باطّمان، وكأنما لا يوجد،
 قبل كتابه هذا شيء اسمه الشعر المصري،
 وهذا راجع، ربما، إلى عدم التمثل الحقيقي
 أو الإلمام بالشعر الشعري الحديث، من
 جهة، وكذلك إلى استعمال إطلاق أحكام
 مدنية، ثمّ تصورات قاصرة

قلت سولا مثل هذه الاغصان التي
تضميتها القلعة فكان النطر إلى «الوحات»
الكتاب كما يجب أن يستمعها الشاعر
خفيا، إذ إنها بدون ذلك تبدو قات
تعمري قدي، وبطبيعة الموضوع ما، مكن
اهتما قاضي وبطبيعة الموضوع الحب، مطوعا
اللغة خلال ذلك فواجب سلت في أغلها
حبيب، رغم احتيال «الشاعر» على ذلك في
أعلى مقاطع قصائده، إلا أن غريبه المصنف
لا نلت أن تنصير في مقاطع أخرى

والهيام بنموح
والشوق ينحول إلى عاصمة

بوقت شمتك

وی حساب یازد

تیکس فیلان علی جیس

وَأَرْثُكَ أَقْلَاسِكَ الْجَانَةِ

من: أنحاء جسمك (ص. ٤٩)

وعلى امتداد العشرين قصيدة التي تضمنتها الكتاب، وبماضها التعدد، نجد أن الشاعر قد أغلض لموضوعه حتى السطر الأخير. فالخبيثة، هي المحور والذبيحة التي دارت حوله كلمات الكتاب وأجواؤه، الخبيثة في كل حالها، التي تسامت حكايتها مع كل مقطع وكل قصيدة، ما جعل القصائد، بشكل عام، تتخذ هذا المنحى الحكائي.

وكما اشرت في السطور السابقة إلى قمتع الكتاب بخصوصية «ماء» إلا أن انطبعا آخر يجرى بقوة، وهو أن الخطف لدى الشاعر يحس، بل تلدج من الشعر المزجج، ويشكل حاصلا في نوع من التفكير بالشعر الذي يربط بحركات التحور في بعض دول العالم الثالث

١٠٨٩

سیدھا میں سے ڈیڑھ ساٹھ

1999

.....

(continued)

١٠٠

تجسس في وطني، عذابات، ارضي

غرائب

ما قد تارة لذلك المبحر

قصص

بسم الله الرحمن الرحيم

اصدار خاص - عمان ١٩٩٢.

■ على حادثة سنة يُقَدِّمُ يحيى بن سلام
الندوي (١٩٧٠) صورة متميزة لكيفية كتابية،
اشتملت تقديم ما هو مختلف
والعلامه الأولى التي يمكن أن تؤثر في
هذه المجموعة، هي دأب القاص في
الاشتمال على العناصير، حيث غدت هذه

الأخيرة موضوعاً آخر، يداري الموضوعات
الرئيسية للنص، وكأنه بذلك أراد أن يبرز
ما خلقه بعض تلك الموضوعات من صف أو
موش. وإذا كانت قصائده قد تراوحت بين
عروبي وإن الفخاري، فخطب الشعب به في
لدى الناس في معانيها، سموه من حيث
لربيه أو الفلحة التي شئت عن رعي ما قربها
من الآداب الشعرية في الكثير من قصص
مجموعته. وربما هذا ما يفسر في الوقت
عنه، يُمثل القصائد إلى المتعاطفين مع
الموضوعات ذات النواحي الخلقية،
العروبي... حيث المخيلة حاضرة بشكل
ساعات من إنتاجه لأن ينسج أروسة خاصة
بأسلوبه، مؤسفة، إلى في قصتي /الرجل إلى
كابوس مؤبده، وبذلكناك لأنتك الجبريل،
وحـ /خصوص، فقد عبد القاص إلى رَجْ
أبطال مختارين القمصين في أروما، فاقف
فانهم الأسبانية، تاركهم ينسجرون
مضاميرهم للحمولة على أفك الكابوس

في قصة «الرجل إلى...» يُحكى على
بطلها «هان» يزوج به في كايوس مزيج، ويكثف
به حتى الموت، وذلك عندما لا عمل
جورته... (ص ٧٤)، وقصته تتصل
هنا، إلى أن تجلس وعظم عتبات متعب
للذئبة «العريق»، ومع تنفيذ العقوبة بالبطل،
يشرح القاص في تصوير الأحوال الجديدة التي
يعيشها، وهو ما يكدّسه تنجيحاً لأجل أن
يؤثّر القصة بوقائع غريبة تنجيح لما يكاد
يعظم من عذاب باورسي: «خرجت من أدم
الأسفد عن عالم أشره... فقدم أحد سوري إلى
يارد، حتى التناورات تنجيب مع مائشكالك
خلفه... بالغ المرطبات كتب لافنة كبيرة
حول ما يبيع: (دم مع شراب الرقائل، دم
مع شراب الحب... دم دم... (ص
(ص ٧٤)

ولا ينبغي، هــا، أن القاص قد رُسر
بالنخب في قسـة هذه إلى السـلطة، بجـاهـا
الشائع أو إلى سـلطة العادات القديمة أو إلى
الإثنين معاً. حيث أن التـفـهـيـر عـلـى مـثـل
هذه السـلطة العـفـويـة صـمـت السـلـطـة
لسـلـات، إلى إن عـارة والعصـم صـمـع
هـمـه تـرـدـت أـكـثـر مـرـة عـلـى أـسـتـهـم،
وهـمـا يـعـزـز المـعـرى السـيـ دهب إليه
القاص.
وإذا كـتـبـت أشـر تـلـ إلى قـوي هـيـتـيـ



ناقد ومنقود

إنهيار واعتذار

رد على مقالة عاصم الجبدي الصحوة المتأخرة، في العدد ١٦٢، آب (أغسطس) ١٩٩٣

١٩٩٣ للوحدة بين مصر وسورية والعراق كي أهدأ رآلت في علبتنا بعد مضي ما يقرب من نصف قرن عليها

أما (الحظ) الذي ائتمن على محله للحزب في بداية الوحدة. فإنه يصعب على المرء أن يتصور أن قرار حل الحزب هو مجرد خطأ تكتيكي أو استراتيجي، بل تعبير عن الرؤية السياسية اللاعنفية التي وسمت السياسة وأحزاب

جميعها متفق على أن حل الأحزاب في دولة الوحدة كان من أهم العوامل التي أدت إلى انهيار أول وحدة عربية في التاريخ العربي الحديث ومهما كانت تدعمه. ومما تكن العوامل والأسباب والظروف فإن حل الحزب ساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في انهيار هذه الوحدة ومسؤولية الدين واقفوا على الحل ساهموا في مسؤولية كبيرة إلى بسامح الترويج عليه كي لا يسامح من غيرها. هذا من جهة ومن جهة أخرى فمن اعتقد أن الأستاذ عفيف رسم ملامح السياسات العربية بقدرته التي تمتعت دور المصلحة مثلها وجعلت مواقف قراراتها لها، وبرجسته المجددة تخصبة الأستاذ التي لم تداركه طوال حياته. فلا عجب أن يكون النقد الموجع للتحربة السافرة عند مشاركتها له، والذي بدأ وكأنه هجوم جائر كما يراه الأستاذ الحدي

في المحطة الثانية يرى الأستاذ الحدي أن الهدف الرئيسي لأطفال عبد السلام عارف ضد الحزب كان قسب الوحدة بين سورية والعراق أو على أساس ثلاثي مع مصر. أما الخلاف بين العسكر والحزب فقد كان ثانوي

إني أعتقد أنه من الصعب الحكم على الأسباب التي دفعت إلى الانقلابات العسكرية. ولكن من المؤكد أن موضوع الوحدة بين سورية والعراق ومصر كان قد تم طبعه بعد سقوط ميثاق ١٧ نيسان عام ١٩٦٣ والأحداث التي تلتها كي أن الوحدة بين سورية والعراق لا يكن ممكناً تخفيف في ظل سلطة ضعيفة كالسلطة التي كانت قائمة في العراق، وفي ظل الضغوط الدولية والعربية لئلا هذه الوحدة ولكن من المؤكد أن حلايات حادة كانت بين عساق الجيش وحاسة الفكر منهم وعلى رأسهم عبد السلام عارف، وبين التنظيم الذي وحرسه القومي الذي كان لا يش أساساً بولاً هؤلاء العساق للحزب، وكانت

مشير درويش سورية

لتحليل ظهورها بقدر ما نلتك من معلومات وإمكانات تبيد هذا التحليل سرى لكنت لأحد الحدين في لحظة الأثر. أذكر من ٥٥ سنة كـ هـ على الأستاذ ميشال علفق وأحياناً محروماً جلاً ثم يقول إن نسبة حطابين للأستاذ علفق ورواه المؤلف، لا أحد يستطيع تركه متبساً. الأول، اعتذاره إلى حسي التزمين إلى حسي التزمين ١٩٩٣ تحت المسمى هذا حدة بوق. والثاني حدة الحزب في نهاية الوحدة. علفق لا يسهل (من الحدة) إلا أن الحزب تحدى عن طيبة للهدو وليس اعتذاراً لحصود وحيدو كان اعتذاراً لشعاعنا وروحنا صعدنا قصة الهبار علفق سمح حسي التزمين عام ١٩٨٩ (ص ٧٩) ومهما كان حجم الإتهام، إعتزافاً أو اعتذاراً، ومهما كانت المبررات فإن في البداية شقي (تخادلاً) وموقفاً ضعيفاً حزبياً وشعبياً. إن إحدى أهم صفات الحزب الثوري خاصة في بلد متأخر هي القوة، قوة الحزب، صموده، صمود أفراده، قدرته على الاحتياط، والتفاني في الحزب هو أكثر المعاصر تجسداً لهذه القوة وهذا الصمود

ولكن لا يستطيع أن يرمي الضمة الشرية والعدرة الخسدية على الضعف خاصة أهد التعبد الذي فصل رجسته حداً فوق طاقة الشر. ويصبح لإنهيار لس حازراً شخصياً في أحيان كثيرة، ولكن الذي يبرهن لصحة الإتهام بمرس على أبقني في مراكز القيادة، فكيف إذا كان أستاذ علفق أو رئيس الحزب لقد كان أحدياً بالأستاذ علفق أن يعتزل لفته في الحزب مهما كانت مدراته، لأن هذه التجربة ستبقى نقطة الضعف الدائمة، لأن التاريخ لا يسامح والى يسامح هؤلاء الضعفاء واعتقدت أنا في سبب سبب سبب أجهزة الإعلام المصرية تجرير الأستاذ علفق هذه في هجومها عليه وعلى الحزب من حلاله، بعد سقوط ميثاق ١٧ نيسان

■ المقالة الهادئة الرصينة التي كتبها الأستاذ عاصم الجبدي في مجلة «الناقد»، منتقداً فيها كتاب «أوكار العزبة» لجبري في حرب البعث العراقي ومؤلفه هاني المنكيكي، والمصادر عن شركة «بافس» الرئيس - لند ١٩٩٣ هي مقالة لميرت بوع حديد من الحوار الديمقراطي والنقد الموضوعي، وتواضع الكتاب وهي صفات لا نألفها في الثقافة العربية وخاصة النقدية منها. تلك الثقافة التي عمدت في أسلوب انصراع ولشتم والتجريح وجمعت التحسينات حصوداً لا أصحاب كلمة ووجهة نظر.

لقد جاء عليه الكتاب ومؤلفه بأسلوب شير ومطفي وهادئ، مثلاً المقاري، شوقاً إلى قراءة الكتب والتعرف بصاحبه. وربما كان ما حصل كتبت المقالة بهذه الصفات كونه لا يمارس التجربة الحزبية العربية بكل أبعادها. إنه يكن يوماً ذلك الحزبي التشديد المصطط - كي يقول عن نفسه - وكذلك فإن معاشته للمجتمع الديمقراطي وتجربته في العربية هي التي أملت عليه تلكه بقم الديمقراطية غللاً حقيقياً، لا لعلماً كما يدعي كثير من ديمقراطي هذا الزمان. وبس في نقاشات لقائمة الكتاب ستحاول أن تتبع الأسلوب نفسه الذي اتبعه، مؤكداً على المبدأ القائل أن لا أحد يمتلك كل الحقيقة، لا دفاعاً على الكتاب أو مؤلفه فهذا شأنه، ولكن في محاولة لتبيان ما سره حقيقة، سيما أنه لا يوجد بين أيديني أي ما الوثائق التي تحسم بصفحة أو خطأ هذا الموقف. وذلك لقد تحسم الكتاب في ساقشته للكتاب عند أربع محطات هي:

- موقف المؤلف من ميشال علفق
- الأسباب الرئيسية لإنقلاب عارف ضد الحزب
- محاولة اعتبار عبد السلام عارف
- تباكي الحاكم العربي على الديمقراطية عندما يصبح حارج السلطة.
- ولوروتا ستوقف عند هذه المحطات في محاولة

أسباب الخلاف متعددة، اجتماعية سياسية، اقتصادية، ثقافية، قضية الأكراد... إلخ. وكان كل مهم يتنظر القصة لتتصبة الطرف الآخر حتى جاءت فرصة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي جعلت العسكر يتصر على الحزب المدني.

ويقول الأستاذ الحسني أن المؤلف لم يشأ التطرق إلى حادثة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم التي كان لها أثر بعيد على مسار الأحداث، كما أنه لم يتطرق إلى الذين قتلوا بها وبالأسماء إن قراءة دقيقة للكتاب تثير شعور الذي شغلته حادثة اغتيال مناسم والتي يقول المؤلف نفسه عنها «أن أثراً مدعرة ترسنت عليه»، (ص ٧١) ويذكر أن تزايد العطف الشعبي على الحزب نجم حيساً عن المحاكيات العلنية التي أجريت للمشركين والمواقف الشجاعة التي أبدوها ما جعل قيادة الحزب تدرت في إعلان قرار إدانة الاغتيالات (لا بعد مدة على صدور الأحكام القضائية) (ص ١٠٥).

ويعترف المؤلف أن فؤاد الركابي هو الذي هدس محاولة الاغتيال ولكنه دفع ثمنها، تجميده في الزنجر الرابع ولم يدافع عن نفسه (ص ٩٩). كما يذكر المؤلف الأفرح التي قامت في مدينة البيروكالي السور - أثناء محاولة الاغتيال (ص ١٣٩). أما عن أسبأ الذين شاركوا في محاولة الاغتيال فهو يذكر منهم عد الوهاب العريزي أحد المتعلمين الأساسيين، والذي صرح أثناء العملية (ص ١٤٠)، واثنين من الشبان المشركين بها وهما مالك الصافي وصدام حيدر التركيني الذي وصل جريحاً وكان وجرحه ملتئماً (ص ١٤٢).

إننا نتخلف مع الأستاذ الحسني في أن المؤلف لم يشأ التطرق إلى محاولة الاغتيال، ولكننا نتفق معه على أن المؤلف لم يفرده ما فضلاً خاصاً. كما أن ما ورد في الكتاب لا يوضح الصورة للدمرة لهذه المحاولة. كما نتفق معه على إدانة محاولة الاغتيال هذه (وذكر أن المؤلف يبدو أكثر ميلاً إلى تأييدها) وإدانة أية محاولة اغتيال سياسي أو تصفية جسدية للعصوم السياسيين. أما عن تباني الحكام العربي على البعثية العراقية عندما يصبح حارج السلطة، وعيب الكاتب على المؤلف بأنه استمر في الحكم رغم متابعتها ما كان يجري من قتل وتعذيب وتدمير... إلخ. فاعتقد أننا لا نختلف عن عمارات الحركة السياسية في العراق مختلف وجوهها من قتل وتعذيب وحتى يفسق التصور الإنساني، وعندما ينف الأن تأمل ما حدث يجد أنسأ وكأنا كنا أمام كابوس، ونستأدل هل أسفأله هم فعلاً من البشر الذين يتصور إلى وطى واحد وأمة واحدة، أو إلى الفكر الإنساني القوي أو الماركسي منه. والذين من أضر ملاحه البعثية والحرية والعدالة؟ ولكن مع هذه الدفعة تسأدل أليس ما حصل هو سمة المرحلة التاريخية التي جسدها

الحركة السياسية في العراق؟

ألم يسأله جيمنا مدرجات ما، فيها؟ هل استكر أحد منا علناً هذه الأساليب في حيا أم كما شأني بها بعد أن نضخمها بأحداث أسطورية؟

وإذا كان هأني الفكيكي قد تجراً وأصد عخرت بالطريقة التي احتارها، فهل هناك من فعل مثله من السياسيين الذين لعبوا أدواراً مختلفة في مراكز السلطة؟ لقد كنا جيمنا شهوداً على تلك المرحلة مبرزين ما كان يجري فيها «بأن العراق تميز دائماً مدعونه»

والأن نحن نتفق مع الأستاذ والحسني على أنه بالديمقراطية والحرية وفي المطلق يمكن أن نقدم لمناجاة العصر، وبدونها لن يكون هناك وحدة عربية أو تحرير

لوسط عزل وسفأل راسفون في أسفأل نأفأنا إلى ما شأه الله. وسأني علناً ثالثاً ورابعاً وعأشر إلخ

إني أعتقد ورغم الملاحظات العديدة على كتاب «أوكار الخزيمة» أنه يثني وثيقة مهمة لمحاظاته التي نضخمها حاصلة وأنه اشتمل على نقد شديد وعلي تجربة المؤلف الشخصية، واستأكر أشد الاصطفاة والقتل والتعذيب بكل أشكاله، ونحن بدورنا لا نستكر هذا التعذيب وحسب بل ندعو جيم الدين شهوداً هذه المرحلة أو أسفألها إليها إلى ممارسة تقديم علناً لتجربتهم كما فعل المؤلف وتتشخص هذه المرحلة لصالح مستقبل الأمة. □

ماذا لو كتبت المرأة؟

رد على جمع الفصاة في العدد ٦١ - صور يوليو ١٩٩٣

الكاتب بو سلفام
المغرب

لمأصراً... تواجهها مجموعة من المشاكل المتنوعة والمختلفة، وإن كانت هذه الظاهرة، ظاهرة إنسانية صحت وموسوعية. فلك، إن الإبداع البشري - مع ما لا يوس بالتمييز بين المرأة والرجل عن جيم المستويات بما في ذلك الإبداع - ما زال في حاجة ماسة إلى فهمه واستيعابه وتراوته ودراسته دراسة كافية وتنمقة. وسطراً إلى وضعية المرأة في الوسط العربي، فإن إبداع المرأة العربية هو الآخر، ظل يعاني من هذه الإشكالية، التي كان من المفروض أن تسواك التحولات والتطورات... التي طرأت على الفكر العربي على العموم، والإبداع النسائي على الخصوص

ولقد تميز عدد «النأفة المشار إليه (العدد ٦١) بالتركيز على جانب مهم من إبداع المرأة العربية، في مجال الفصاة القصيرة. هذه المرأة البديعة، تواجهها مشاكل وعصبات كثيرة، في تحقيق مجموعة من الأهداف، التي تصبو إلى تحقيقها، وشير إلى البعض منها

١ - سطرة القارئ العربي إلى المرأة العربية وإلى إبداعها، هذه النظرة التي تمنح في اعتقادنا، إلى الأبحاث الحديثة والدراسات الموضوعية حول أهمية أنتجته وأبدعته المرأة العربية بصفة عامة والبدعة العربية بصفة خاصة

٢ - معأسة المرأة العربية من «الأيبة - الألبية

■ نأفة حالة في آخر الفصاة من كالفيف الفأمر المشرك في عأف، والنأفة (العدد ٦١ - القور - يوليو ١٩٩٣)، هذا القول المأمر الذي انتفأه من قصة «سمة الولدة» بصفحة العرافية عأمر الفطأطي (ص ٥١) «وتسأف ما حد القور العألية - قأأني شأب أسمر، مرقوق الوجه، بحبل الجسد، قأمت له صرة سوداء وقألت

هذه بفتها أي، هبها كل شيء... سأسأف

تلهم

ـ هبها الوثأق أيضاً؟

ـ نعم حق بتيقة الولدة رحمة الله. وبهبها طعام

ومأس؟

ـ فيها كل شيء. قولي لأني أنأفق بآأني، أسأ

كان في إنكأها المأصور هأ؟

ـ أهأر جأر جأرتها... أعلم بآلك، قألت في

سأفأ

ـ أهأر عن رجأها.

ـ ألا تسأفأ السير؟

ـ كلا؟

ـ هل كأك الفصأ سأفتها شأفأ؟ كأأا بظأردون

النور، قصفأا المأية كأها، بيأ بيأ

ـ حسناً، سوب أأعب قريباً، أي أعود معأا

ـ وهل هبك؟ نحن لا نألك شأنا

نأصأرة الإبداع النسائي في الفكر العربي





ناقِب وَجَنَّة

وما يصدق على إبداع الرجل العربي في مجال القصة القصيرة والأدب عموماً، حين جعل من عصر المرأة، عصرها هاماً وأساسياً في إبداعه، لا من أجل التسلية والتخفيف على القراء فقط، ولكن كذلك لغرس المرأة في السوايق الإنساني والاجتماعي، الاقتصادي والسياسي، الفكري والفني... فإنه كذلك يصدق على المرأة العربية المبدعة، الفاعلة، من خلال الملك الشخصي لها، لا تغيب الرجل ولا المشاكل المشتركة بينهما على الإطلاق بل إن كل المحاولات القصصية الواردة في هذا الملف الخاص بالإبداع النسائي في مجال القصة القصيرة، لا تجلو من الاهتمام بالرجل كأحد العناصر الهامة في الإبداع والحكي القصصي...!

إن الواقع المعيش في ربنا، هو الذي فرض هذه الحقيقة على المبدع العربي سواء كان امرأة أو رجلاً. وقد يبدو غريباً وغير معقول ومنطقي، عدم الاعتراف بالمشاكل التي تواجه المبدع العربي والعقبات التي تقف في وجهه، كلما حاول التخلص من كل أنواع التسلط والاستغلال التي تفرض عليه حتى (الآن) على الصنفين: الداخلي والخارجي.

ولكن ومع ذلك، نجد أن أعمال وإبداعات المرأة والرجل المشتركة تحاول التغلب على تلك المشاكل وتكسر الحواجز... لمحاربة التخلف والتبعية بكل أشكالها. وهذه الحقيقة تكمن في كثير من الأعمال والإنتاجات العربية الجيدة والمزمنة. وانطلاقاً من هذا التطور تقول القاصة العراقية عالية حسين حيدر في قصتها «البر» (ص ٤٠):

... وهناك تجمعها أحداث طفولية بريشة عن قريبها وأبائها، عن المدرسة والمعلم اللطيف الغريب عن بلدتها، والحديث المستمر عن الكسوخ المهجور...!

وتضيف القاصة سلوى نعيم في قصتها «القبيلة» (ص ٣٦) قائلة:
... منذ سبعة أيام هو إلى جانبي، لم تكن وحدنا. الماشركون في «تاريخ المرأة العربية والظروف التي أدت إلى حرماتها من المشاركة في الإبداع الحضاري (ص ٤٠)». أعرف أن رغبتي لا تبدأ إلا معي...
وإذا كانت المرأة - كما قلنا - في الإبداعات والكتابات... في المنظور القديم هي الشغل الشاغل للمبدع العربي، ولا سيما في ميدان الأدب، فإن الإبداع العربي السراهن أصبح يتم بإلحاح واستهالة... كما جاء وأوضح في الملف الخاص بالإبداع القصصي النسائي لمجلة «الناس» هذه المشاكل التي أصبحت من أهم الدوافع والحوافز... التي تدفع الإنسان إلى البحث عن البديل الإيجابي وإلى التجديد المحاد إلى التحرير من القيد الظلة التي أصبحت تكبل الإنسان المظلوم...!

وأخيراً أتى أريد أن أكمل دراستي في الجامعة، فيسأل عن الغذاء! مذكراً أنه يجب التزم لأكثر منه! أتعلق بقرانه، بدلاً، يمس: فيما بعد... فيما بعد... يلفظو قليلاً...!

أما سلوى نعيم فقد تساءلت كثيراً في قصتها «القبيلة» حيث قالت في الصفحة ٣٦ مثلاً: «هل فسدت؟ والرجل المصوم يتحول في بيته إلى قاع»... هكذا وإذا كان الرجل العربي المبدع أكثر إنتاجاً (الآن) في مجال القصة القصيرة وفي المجالات الأخرى، بالنسبة إلى واقعته - نسياً - أفلا يجوز لنا أن نقول: إن هذه الحقيقة ترجع في عمقها إلى للواقع العربي نفسه...؟

يطالعنا إبداع المرأة العربية في هذا العصر، بمجموعة من الأعمال الجادة والسواعي لمهنتها ومسؤوليتها، وكأنها تعمل ما في روعها من أجل نشر الحق التي كانت تفصل بين إبداع الرجل وإبداع المرأة وكذلك لتوجد النظرة السليمة للرجل من الإبداع قضية إنسانية واجتماعية وفكرية وثقافية، حصارية وتاريخية... إلخ. وذلك لتخيل الواقع الفكري العربي، عن تلك الصورة التي تحط من دور

والمرة العربية حيث تقول القاصة الليبية شادية الغياثي في قصتها: «ورقة ليلان» (ص ٣٧):
«في قري لا أقدّر أن أقرأ مع أبا عتيق...»

وتضيف قائلة في ص ٣٨: «وإذا طويت قريتي...»
أردت أن أتزوجها، هي في المدينة وأنا في القرية، لكنها تزوجت غربي أسرتها أصرت على أن تزوج الأخير، لأنه يعمل، وله مستقبل ويرغب فيها كثيراً...!

الساحة من النساء العربيات - وباعتبار المرأة المبدعة من عدم توفير الشروط الذاتية والموضوعية، حتى تتمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها المفكرين والمبدعون... في البلدان المتقدمة، هذه الحقوق التي ما زالت مشروبة «العالم الثالث» على العموم والمفكرين والمبدعين المتسوق إلى هذا «العالم الثالث» على الخصوص، يكافحون ويناضلون بشق الوسائل والطرق، من أجل تحقيقها والتمتع بها.

خلال هذا التطور الإشكالي، هذه القراءات، ولا سيما الجانب المشعور حول: ملف القصة القصيرة عند المرأة العربية المبدعة، مهتمين بالكيفية التي تعاملت بها القاصة العربية في إبداعها القصصي مع الواقع العربي أولاً، ومع العناصر المتعددة والمتنوعة التي يتشكل منها هذا الواقع من جهة، والعناصر المكونة للتسليق القصصي والإبداعي من جهة أخرى، ثانياً، معتمدين في ذلك، على النتائج المبدعة الواردة في «الناس» كما أسرنا منذ البداية.

لهذه باسمه محمد بونس نقول في قصتها «زوجة» (ص ٣٣):

«عشت غريبة عنه... كأي امرأة متحبة لشهوات الذئب فيه... يضحك... يماكل... يمارس زوجته... ينام معي... يهينه... لكني أمض فوق لساني صخرة... أسد غليان الشغف في داخلي... أتقبل بانتظار اللحظة المواتية... لحظة التحرير...»

وتقول حنان بيروني في قصتها القصيرة «فجوة» (ص ٣٤):

صدر حديثاً

في سلسلة حكايات مع الأدباء

نازك الملائكة



حياة شرارة



والطريقة التي حاولت بها الناحية القصصية الواردة معالجة الواقع العربي... ظلت مرتبطة بهذا الواقع، نصف وتصور مظاهره وظواهراته، وتحلل وتناقش وتستدل عن مشاكله وهوميه وقواجه. هذه المعالجة، كما ترى، وجدت ما يبرها على مستوى هذا الواقع العربي بالرغم من الاختلاف، اختلاف مواقف ورؤى وطرق المبدعات القاصات العربيات. وهذا ما يدعو إلى الاعتراف بأهمية الإبداع المستمر في فكرنا العربي وهو يتناول ويعالج قضاياها ومشاكلنا الكثيرة.

فكش عن المتعة

رد على مقالة سامي زيادة - فائدته الخيرية لا يعطيهما، في العدد ٦٠، حزيران (يونيو) ١٩٩٢.

علي ديوب سورية

الطريقة، أكثر من علاقة قسرية، إن لم نقل وحدة دم والتباه. وبدقة أكبر علاقة طردية، فيما يخص القوة والضعف والديمومة والزوال والشفقة والأحلال... الخ كل من الاثنين لا تروى إلا من زاوية سيادة الذات، وما يجت إليها من أسباب التعة والمصلحة والقناعة والاستعداد... الخ وهذا ليسا لا اعتد عند مثل السلطة الذكورية - حين يتصدون لبث نصبة المرأة مثلاً - عن آراء علمية حاسمة متحصنة بالحقيقة في الغالبية والأمثولة، في القول والفعل؛ في النهج والدليل العمل، لأن في ذلك سرارة وعنادا للذات التنازع إلى الراحة واللذة، لا يعني بتحملها غير الباحث العلمي الذي يتميز بقدرته، لا بد منها، لكبح جماح عواطفه ورغباته الذاتية العرفية في خبث البحث عن الحقيقة. وإذا كان هذا غير متوافر لدى المستمعين بسلطتهم الذكورية، فإن عواطفهم للتحفة لكسب سوطه، قدم في صف المدافعين عن نصبة المرأة، لا تعدون أن تكون نوعاً من خداع الذات والأخر. لحجم التعمية الذي عمله عواطفهم يغطي على الحقيقة، مهما حسنت نواياهم. ذلك أن إخلاصهم لسلطتهم الذكورية، وما تحظى به من نعم - مهما كانت ضخمة، في حقيقتها، وعابرة - يكون أشد من إخلاصهم في تمجيد موقف عملي الدفاع عن المرأة.

أما الدوافع التي تلي عليهم موقفهم (التناقض - القهوم) ذلك، تعديدية متفاوتة في السرى والشفقة بينهم - تفاوت ملكاتهم واستعداداتهم، ودرجة خلق تعبيراتهم الثقافية (في حقل الممارسة) عن قواضم. ولكني اعتقد أن قاسمها المشترك (أقصد الدوافع) يتحدد في سيكولوجية فرويدية (فروسطية) مغرورة

■ إن من يتناول بالكتابة اليوم قضية المرأة، يبدو للوهلة الأولى كعازف يتأخر عن بقية فرقته الموسيقية، فيخلط نغماً شراً للطنان، ولو أبعث في أدبه في أدبه، أو كمن يوسع الأرض ساعة المعركة؛ ولكن هذا صحيح فقط في حدود النظر إلى المسألة من منظور أحادي هو الزمن. أما حين يتم تعميق النظر أكثر، فإن الوجه المتطفي لبحت قضية المرأة، منفصلة عن متصلة مع قضية الرجل، سرعان ما يكشف عن نفسه، مظهرًا تشابهاً وتداخل مع قضايا الإنسان كافة - وهي قضايا مفتوحة بإطلاق، تزيد من البحث والفهم والسطوحة العريضة والمستمرة للأفراد الأخرى... ولعل تجارب التفنين تقيدنا وفالمروحة المستمرة، طوال العقود الأخيرة، مع قوى الاستمرارية من ناحية، والتخلف والرجعية من ناحية أخرى، كما يقول منصف الله إبراهيم، فدومت بعينين من الضحايا. مثل تلك الخلقة يوضع المرأة، إلى الخلف، وكان التقدير أن حل القضية المجرورة، وهي التنمية المستغلة سيوفر عن حل نصبة القضايا... ١٠

ومثل هذه التجارب تتجلى فانتهاها في تجنبنا العبور من الملك نفسه الذي سلكه مفتقروا فاستبقوا خطاهم. وإذا فتنازل نصبة من القضايا يجب ألا يلبغي وجود نصبة أكثر أهمية، وإذا فلتخذ هذا الكلام حافزاً وحجة للإعلاء، برأياً في جانب من نصبة المرأة، وهو ما يستند إلى الأساس على ما كتبه السيد سامي زيادة في العدد - ٦٠ - من مجلة والتقاء.

بين سلطة الثقافة، التي تعززها ثقافة السلطة، وبين سلطة الذكورة، التي تبنيها ذكورة السلطة

معتدة؛ وأيضاً دونكيسوتية - ساذجة رغم نواياها الحسنة واعتزازها موقف الأخلاص؛ ذلك ما لم يغب خلفها فكر راجع يحد من تناقضها قدر الممكن. ويزيد في وضوحها وأتسافها، أيضاً بالقدر الممكن. سواء أكان الفكر (مبدعاً علمياً (بدونه الخفية) أم كان فكراً سلطوياً وأعباً للدفاع عن مسوده، وتكثيف هذا السؤدد من الدولة، ويشرط أفضل إن أمكن ولا يفتونا هنا أنه لا حياة للحقيقة مع طبيعة فكر كهذا.

ومن أقوى الدلالات التي توجيها مقالة الجديدة، هي تلك الدلالة التي ينطق بها عنوان المقالة - فائدته الخيرية لا يعطيهما - وسوف نشر ذلك فيما بعد.

يقول في مقدمة مقالته: وبطاليون بتحرير المرأة الشرقية ن سلطة الرجل، ترى هل الرجل الشرقي حر الإرادة والتصرف (١٩) بطاليون بالرجوع إلى حقوق المرأة الشرقية وحقوق الرجل، ترى هل الرجل الشرقي مسافر لصورة في مجالات العمل والتفكير (٢٠) مسألة قهر المرأة سلاح ذو حدين... فلنأصانها لا نصيبها وحدها دون الرجل... الخ وهذه مقدمات معقولة، وصحيحة، ولكن كيف بعد هذا يصوغ الكاتب رؤيته للحل الأمثل للأم المرأة والرجل على السواء؟ وما هي حقيقة الدوافع التي تنحو به نحو هذا؟ لنر كيف ينتهي كتابتي إلى هذا الاستنتاج الملمس: عندما يفرض الرجل الحجاب على المرأة فهو لا شك ينتص من حريتها وإرادتها، ولكنه، في المقابل، يجرم نفسه من التمتع بجهاها وإستقامتها، كما إنه يحقق للنساء الشبهات أمنية لمة كثرات منهن برهن على... وهكذا تكشف أفكار مفتقة الفلدة عن طابعها الذكوري، حين تصرفه عن تأثير الحجاب على حرية وإرادة المرأة، ليقتصر إلى ما هو أهم (١) وذلك بتبنيه (أخيه) الرجل إلى أنه في مثل هذه الحالة (حالة) فرضه الحجاب على المرأة) إنما يجرم نفسه (بما للحزن) من التمتع بجهاها!

وإذا فلتألف في مجملها يمكن علاجها بوصفها طلبة تحافظ على مزاج رائق معتدل، عند البوصلة، وجو نفسي لطيف، وتعصت من أي تعكير - ولو من قبل حرماته من التمتع بجهاها إبتسامه المرأة (وطبعاً المرأة الجميلة (بأسحر) أما المرأة البشعة - وهي كما يبدو تقع خارج قضية المرأة، في نظر الكاتب - فتندفع هذه البوصلة الشبهية المتعالة، بتركها من سلاح إبرعاض المدافعين عن الجبال - أشغال كتابته) وذلك بإخفاء لجها - فهل هناك أمنية أصغر من هذه؟

بالأحرى ألا تستحق امرأة تحفي بشاعتها عن عاشق جاء - كاعتينا زيادة - شكر هذا العاشق، حين لم تصدعه بظلمتها المشكورة، وتعتل مزاجه وتكره!؟

هل مرمز برأيي يحمل ما يجمله رأي كاتبتي زيادة من استعفاف المرأة؟



ناقد ومهتد

للسهود في الخالدين شهود الزور؟ فهل شهد شهود الانتصاف لصالح المختصين؟ أم أن الشعب العربي شهد لصالح أي من الطرفين في الحرب العراقية؟ وهو بالأصل لم ير من هذه الحرب إلا ما خطط له، والذي اعتقد أن شعوب العالم أجمع بما فيها شعوب الولايات المتحدة كانت من شهود الفرجة بالنسبة إلى هذه الحرب، هل هي موضة كبل السباب للشعب العربي ليست الشاتم لنفسه أنه يخلف من الصدارة للشعرة.

على العموم، وبدون أن ادعي التطهير الشهير، أنه من المعروف والثابت، أن الولايات المتحدة الأمريكية، تؤثر بتدخلها واشترائها في معالجة مشاكل المناطق الساخنة من العالم، فخلجاً إلى التعامل مع دول الرأس الواحد، وهذا ما يفسر تناقض سياستها مع مبادئها المعلنة. وهذا ما يشكل أيضاً التناقض الواضح بين توثق الجماهير العربية إلى الحرية والديمقراطية، وبين قولها وسكويتها على ما تحكمها به ذاتها الحاكمة. فهل كان للسلطات أن يزور القدس، ويسقط إشارة اليد، بالبقاء نحو السلم وحل مشكلة الشرق الأوسط، معياً كان تفويتها خطوته هذه، لو لم يكن انتفاحه وديمقراطية صوريين، ولو لم يكن رئيساً مطلق الصلاحيات لجمهورية مصر العربية؟ فالجماهير بحسبها القطري أحياناً تؤيد حكم الفرد إن كان شأنه أن يسهل لها حل مشاكلها.

هذا من حيث الجدا، أما لجهة حادثة ميدان العتبة وحادثة الجموع على العراق، فأنا لا ادعي أي شخص يعلم الاحتجاج أو السياسة، وإنما أراهم فقط أنني أملك تصوراً للربط بين الفرجة في الحداثيين بغير رباط الأستاذ الربيعي، دون أن أملك اليقين على صدق تصوري، وإنما هي فكرة أسوقها للبحث والمتحيز.

نحن، لحي شوقي حادثة ميدان العتبة حتماً من الدائرة، لا بد أن نأخذ بجميع الظروف المحيطة بها، عامة وخاصة. فلا بد أن نلاحظ مثلاً انتشار موجة الإرهاب في مصر وإنشاء بعض الفتيات إلى الإراهيين واشترائهن في عيلياتهم. وأن نلاحظ أيضاً بالقبائل ما أعلن رسمياً عن كثافة انتشار عناصر قوى الأمن بالسلمة المدنية في الميادين العامة الرئيسية من القاهرة. وكذلك لا بد أن نلاحظ أن المعتدين عنة أملك تصوراً للربط بين الفرجة في الحداثيين بغير رباط الأستاذ الربيعي، دون أن أملك اليقين على صدق تصوري، وإنما هي فكرة أسوقها للبحث والمتحيز.

ليس منها أو فيها. كما نأمرس تعقفاً كأنها حيناً تتحرع عن فرض الحرية فرضاً مثلاً بيدي الشاجر الذي يغتر إلى الضاعة تعقفاً عن ضرب الطفل - كما يقول بيرناردشو!

قد يبدو أن المرأة المثقفة هي الأقدر على نقل تخايا كثيرة في قضية بنات جنسها، ليس من اليسر على الرجل القبض عليها أو تحسها - وهو الطوع وأزمن طويل على الثقافة الذكورية - ولكن الأقرب إلى الحقيقة هو أن للحقيقة أناساً يشتغلون عليها، ويستغنونها في فكرهم وفي سلوكهم، وهؤلاء هم الأجدر في طرق القضايا - ومنها قضية المرأة، بغض النظر عن جنسهم بالتاكيد... أما تعليق الأسفل في القبض على الحقيقة بواسطة انحصارها، فلا يعدو أن يكون ضرباً من التعلق بالسوهم. ومثلاً تحتاج المجتمعات في عملية تغييرها نحو الأسفل، إلى أشخاص أماء، كذلك تحتاج الحقيقة إلى من هو عليها أمين، وقدر على طلبها دائماً.

وليس للمجتمعات كبير حاجة في قرارات ارجحية، أو حملات خاطفة، وعما رست قضية القدس - وإن بقيت قارية في يومها اليوم - إلا أنها قد تستغنى عن روح هي غلبة في الحرية، وتلتقي في مثال الزكود.

فأمرأة هنا ليست موضوع متعة للرجل وحسب! بل هي إلى ذلك موضوع صالح لتفريع شحنات عدوانية خفية!

حقاً: ألا تنسح روحه الأستاذ زيادة لحرارة بشعة يملكها الحجاب من أمتية، هي أصغر ما يمكن للمره أن يتمتع؟!!

وإذا صبح القول أن الحجاب يقيد العقل وحرية التفكير، بالفعل، ويورث التخلف والعطالة الذهنية؛ فيقابل بل يعتبر القول أن إزالة الحجاب تحقق للمره تطوراً وفكر حرراً، قولاً خاطئاً. ولا أشك في موافقة السيد زيادة من هذا الاستنتاج البسيط.

بتم تناول قضية المرأة غالباً بكثير من الاستسهال والاستعلاء، من قبل متفقين ذكورين، يعتقدون فيها بكتيون (كثيراً كان) إننا يتفلسون على المرأة حين يطرقون موضوعها، الذي لا يعود عليهم بشيء، وبعد من اختصاصها... ولا تكيف لفكر متور أن يصوغ مثل هذا الكلام ضمن قول يندرج تحت عنوان موفق، يتطلب كلاماً يتناسب؟ وهنا تبدو أهمية الدلالة التي قلنا سابقاً أن العنوان يحملها. وهي دلالة تشمل صاحب القول أيضاً، بل وتعنيه أولاً وحتى إذا قلنا العنوان على وجهه الآخر، وقلنا نملك الحرية لا يجرها، أمكن لنا كذلك أن نصل إلى النتيجة نفسها؛ سلطة ذكورية تغرز ثقافتها، حيناً تروم أن تعطي ما

مفاجأة مصنعة جيداً

رد على مقالة فاضل الربيعي - شهود الزور - في العدد ٢٤، أيلول / سبتمبر ١٩٩٢.

مصطفى أباد الأصفري سورية

إلا جزءاً يسيراً من حرته وحرية اختياره. ثم إن الشعوب لا تتعرض للاغتصاب، ولعل الكلمة استعملت للبلادة ولكن في غير موضعها الصحيح. فالشعوب تتعرض للفهر. والفهر قديم قدم الإنسان على الأرض. فالفهر فخر، وكذلك المرض والعجز والحاجة والسجن والضعف وكثير غيرها، كلها قهر. أما الانتصاف فأمره مختلف. هو في العادة أن يتملك المعتصب المعتصب لا يرد به ذاته، كالقائمة التي أكلها معتصبها، أو لال المعتصب الذي دخل في رضة المعتصب. فهل للجمع العربي معتصب، هكذا وأنه الأمر. فالقائمة تشكو قصوراً في العلية، وفي فقة التعبير "إشهاد". وإلا كيف نفسر تسبب الكاتب

أفروت والناقد: خمس صفحات لقالة الأستاذ فاضل الربيعي لربط لنا بين دوافع السلبية لدى شهود حادثة اغتصاب فتاة في موقف بائس في ميدان القبة بالقاهرة، وبين دوافعها لدى مشاهدي قناة التلفزيون الأمريكي CNN من بغداد يوم قصفت بالصواريخ الأمريكية، ليتبي أن القول أن السبب في هذه السلبية لدى الجماهير العربية، هو أنها تعيش في مجتمع معتصب.

إن الشعوب إن تعرضت لشيء يشبه الاغتصاب لفترة، فهي على العموم قادرة على التغيير. وما التقدم العلمي والاقتصادي إلا نتاج تطور الإنسان وتحرره. فاعني الديكتاتوريات لا تستطيع أن تأسر من المجتمع

العملية عملية اغتصاب لم أنها عملية تخفيش واستزاع للغام على سبيل المثال الذي أوردناه.

أما الظروف الخاصة التي يجب أن نحيط بها في حالة ميدان العينة لكثيرة، لعلنا نذكر منها ملابس القتلة. أن كانت ترتدي ملابس تتحدى من أخلاق شعبنا ومبادئه. ففي مثل هذه الحالة تفقد الضحية تعاطف الناس وتجاوزهم معها.

إن أهم الأسباب على الإطلاق، التي جعلت جمهور ميدان العينة شهود فجرة، هو المياعة المذهلة والموقعولة المشوهة للحادث. فهل لإسنان أن يستوعب خلال دقائق أن ما يجري للفتاة هو عملية اغتصاب علنية في ميدان عام وفي وضع الهارب بعد أن يستبعد جميع الاحتمالات الأخرى؟ ليس من إنسان قادر خلال هذه الدقائق أن يصدق عينيه ويستوعب أن مثل ذلك يمكن أن يحدث. خاصة أن الفرجح، كما قلنا، لم يستطع أن يرى من الفرجة إلا أجزاء غير واضحة ولم يصرح. وهذا ما حدث تماماً لغير الضحى الذي ابتدأ الفرجة على حرب الخليج الثانية عبر قناة التلفزيون الأمريكي CNN والأذاعات الصوتية العالمية في صبيحة السادس عشر من شهر كانون الثاني/يناير، عام ١٩٩١، وهو في حالة اندعاش واندهاش وفعل، هكذا جمعة، فليس من تعجب قادر على وصف حالة الجماهير العربية آنذاك.

على سبيل المثال، لنقرأ ما قالته السيدة نبي الرضي عن بغداد في مذكراتها وفي صبيحة يوم ١٩٩١/١/١٥ بالذات الذي سبق مباشرة عاصفة الصحراء، والمنشورة في الملتقى، عدد آب ١٩٩٣: ويكامل اللغة أخبرت سبوح أن الحرب لم تنجح... لست أعري في كنت واثقة أن الحرب لم تنجح... موقفى الوقت هذا... و، هي تميز لفتها هذه في آخر الفقرة من الحديث إلى أسباب تشك فيها. فهي إذن دعت للحرب وذهلت وقومها. فالخبر ليس معقولة على الإطلاق. ليست مقبولة بأية مقاييس ذهنية أو منطقية. فهل يعقل أن تتحدى دولة من دول العالم الثالث جميع دول العالم من أول وياض وتلك؟ خاصة أنها في ترتيبها بين دول العالم الثالث متأخرة، فهي ليست البرازيل أو الهند أو الصين المتأخرة، فيجمهور ميدان العينة إن كان بحالة في دقائق أكثر ليسوعب ما جرى أمامه، فالجماهير للعربية أمام شاشات CNN مستحاج إلى سنين عديدة قادمة لاستيعاب ما جرى في حرب الخليج الثانية. فجمع الناس على الفكرة الغصية قلل من قدرهم على الاستيعاب السريع لما جرى وهم بالأصل ذاهلون. كذلك تتكاثر الدول وتعاظمها ضد العراق منع الجماهير، وهي الملهولة بالأصل، من استيعاب ما جرى على أرضه. ليس حرص الولايات المتحدة على إشراك على إشراك عدد كبير من الدول في هذه الحرب، وإن بقوة رمزية، وحرصها على الإجماع الدولي لتأييدها، ما تركبها للنظام الدولي الجديد

الذي تختصت عنه الحرب، هذا النظام القائم على ترؤس الولايات المتحدة للعالم.

إن حرب الخليج الثانية ما كانت لتقوم لولا أن مهدت لها وسبقها حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، التي أدت إلى تحجيم دور إيران في المنطقة وتحجيم طموحاتها كذلك بتحجيم دور التطرفيين بين مؤيديها. أدت أيضاً إلى استجراح العراق للإغاثات والفروض من دول كثيرة ومن الدول الخليجية بخاصة. وأدى ذلك إلى إكسائه تطويره الصواريخ السوفياتية بكساء الشط. وإلى بروز قوة عسكرية عراقية مؤهلة لتكون متعنة في أية عملية عسكرية توجه إليها ليجبا فيقهاها.

توجعها للمشكلات التي سبقت حرب الخليج الثانية، والتي لقرنا إليها وكذلك الحشود الأميركية والدولية خلال عدة أشهر مع ما رافقها من مفاوضات ووساطات، ساهمت جميعها في إفساد الشطن والمقولة في هذه الحرب، وإن بسبب عمدة، حتى يأتى تيلو بظاهرها ضرورة لا بد منها. وبالرغم من ذلك فالشعب العربي لم يعدلها أو يفتح بها وبغى متحفلاً بتجاهلها. فتعاظم مع الشعب العراقي دون أن يتحرك ليتهدد لطرف دون آخر. وطشورية عبرت عن ذلك خططت وعارضت زيارة السادات الشهيرة للندن والحرب العراقية الإيرانية وإجهاج الكويت، فقد كانت الحرب العراقية غاضبة الأهداف، إلى أن بدلت نظرتها لتجاهلها تماماً وألبدت استيعاب معاملة أيضاً كما هي أسياها وكما هو وقومها.

فهي التي آتت حالة التردد في الاتحاد السوفياتي التي تخال يمكن أن تقول: بعد أن البورت سرفونية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على أسسحت الداخلية والخارجية. فأجهزت عليه قنطط آخر يقف قبالة الولايات المتحدة الاميركية. وبالنسبة هي التي ساهمت في ترسيخ نظام علالي جديد ترأسه رسمياً الولايات المتحدة الاميركية بلا منازع ولستين قلته. - وهي التي اجتحت من الشعوب العربية معتقداتها التي رسخها لديها حكمها المتعاقبون، أن مآل اليهود إلى الجحيم. خاصة أن الشعوب العربية والإسلامية، من طبيعتها، أن تقبل بمثل هذه القولة لانهاها مع ما وعد به القرآن الكريم من سوء مصير هذه الطائفة. وهي بالنتيجة هيأت العرب للقبول بتقدم التنازلات والصالح مع إسرائيل.

- وهي التي زعمت لإسرائيل وللمهود في العالم أجمع، الفتة بإحدى أهم العقائد الاستراتيجية، حيث أن الأرض هي التي تشكلت عسلل الأمن والسلامة لها. بعد أن وصلت رسائل التهديد العربية إليها، وإلى قلب عاصمتها تزل على على من الصواريخ العراقية. وعبر مسافة تتجاوز الأرض المحتلة. وهي بالنتيجة أيضاً هيأت لإسرائيل، الدولة المحتلة، المناخ الذي يجب أن يقرض عليها لتقبل بتقدم التنازلات والصالح مع العرب.

- وأهم هذه النتائج على الإطلاق، هو أن حرب الخليج الثانية حررت الأجهزة السلطوية في الولايات المتحدة الاميركية من سيطرة القوى الضاغطة اليهودية هناك. فالولايات المتحدة وعدت قبيل الحرب أن تنظر إلى مشكلة العراق الأنسط نظرة جديدة حلها حلها شاملاً وعادلاً يوفر للفلسطينيين حق تقرير المصير. وبها هي رأت العالم وتبتت نظاماً عالمياً جديداً، كانت الحرب العراقية عملاً في إقامته وأول إنجازاته بل ويحت بدوره إسرائيل على القبول بهذا مقايضة الأرض بالسلم. ولم بعد تلك دعوة الولايات المتحدة إلى مخالفة النظام العالمي الجديد الذي حررت باسمه دولة الكويت، وقدمت من أجله وليس لأجلها، مئات الضحايا وعشرات المليارات من الدولارات. وفي البداية، لا بد أن أشير إلى أن الحرب لم تكن مدلعة بمقدمتها وأسبابها ووقوعها ونتائجها فحسب. بل هي مدلعة وعبرة في عبراتها أيضاً:

أقترض منذ البداية، وعلى سبيل الاحتمال المبني على الحيلال، أن العراق لو أراد لأجباهاه الكويت مدداً قوياً خالصاً ومباراته المنفرة، لكان عليه أن يصل بجيشه إلى الرياض وإن كانت تعدد عن الكويت يضع مناش من الأميا. فهو لو فعل ذلك لفتد للترابين من المنطقة كلها. فالشعب في السعودية وهو بالأصل مؤلف من قبائل ومشائير متصاحفة. وكذلك أقترض أيضاً، كما اقترضت سابقاً، أن العراق لو فعل لتلقى الضعفة الأميركية صبيحة يوم الاثنين، وبدون اللجوء إلى أي تحالف. ولكانت تشتط وتصلبت الفتات اليسارية الراديكالية في موسكو. ولما قام النظام العالمي الجديد، هناك تنازلات كثيرة أثرت في الصحافة العالمية والمحافل الرسمية، وفي مجلس الشيوخ الأمريكي بالذات. لإحجام الولايات المتحدة عن إسقاط الحكم في العراق. إن كان مسوراً ما الوصول إلى بغداد. وقد تسامت الصحافة والشيخ الأميركيون كذلك عن كنه التفرقة بين القوتات الفرنسية - الأميركية وبين شط العرب، والتي تسربت منها قوات الحرس الجمهوري العراقي لإيهام الفتة في الجوب.

ويحت للشعب العربي في آخر مثال لورده لحجريات الحرب للمنظمة. أن يقاماً ويتسلل في قرارة نفسه عن لغز الإعلام المتفن التنظيم، الذي كان يبدو وكأنه عصر سببقاً من اللحظة الأميركية CNN إلى جميع أنحاء العالم. أليس غريباً وعبراً أن يسمح حكام عرب بتصوير نصف عاصمتها وهزائمه وعرضها على العالم؟ والحكومات العربية ورتت عن السلطة الخلية ما كانت تفعله في الحرب العالمية الأولى أثر كل كارثة تحمل بجيوثها واستسلام إحدى قلاعها. فقد كانت محتفل بالصرى بالليل والأهراج.